جوامع الأدعية النبوية

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع

طباعة - نشر - توزيع

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

شارع الفيصليَّة - خلف الجامعة الإسلاميَّة

00966532627111

00966590960002

daremslm@gmail.com

daremslm

Sutor.center@gmail.com

بحث علمي - طباعة - صفّ - تنسيق - تصميم

ح دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع، ١٤٤٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد

جوامع الأدعية النبوية. / عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر.

المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

ردمك: ٨-٩٥-٨٢٨٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الأدعية والأذكار أ. العنوان

ديوي ٢١٢,٩٣ ١٤٤٣-٣٢١٠

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٣٢١٠

ردمك: ٨-٩٥-٨٢٨٧-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢م

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فهذا مجموع نافعٌ فيه انتقاء لطائفة من جوامع الأدعية النبوية، مفردًا كل دعاء بتفصيل في بيان حِكَمه ومعانيه، وإيضاح هداياته ودلالاته؛ رجاء أن يكون في ذلك معونة على مزيد العناية بها.

وهو في الأصل حلقات يومية قدمتها في شهر رمضان المبارك لعام ١٤٤٢هـ عبر قناة السنة النبوية -جزى الله القائمين عليها خير الجزاء وأوفاه-، وقد لقيت بحمد الله قبولًا، ورغب الكثير في طبعها ونشرها لتتنوع سبل الإفادة منها.

وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفِّقنا أجمعين لحسن الدعاء، وحسن الرجاء، وحسن العمل، إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

مكانة الأدعية النبوية الجامعة ومنزلتها

إنَّ الأدعيةَ المأثورةَ الَّتِي كان يدعو بها نبيُّنا ﷺ ويعلِّمُها أصحابَه قد جمعت الخير كلَّه؛ لكمالها في مبانيها ومعانيها، ولاشتمالِها على جوامع الخير وفواتِحِه وخواتِمِه، كما قالت أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها: «كَانَ النبي ﷺ يُعْجِبُهُ الْجَوَامِعُ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ». رواه أبو داود في سننه، والإمام أحمد في مسنده، وابن حِبَّان في صحيحه[(١)].

وروى الفريابِيُّ وغيرُه[(٢)] من حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لها: «يَا عَائِشَةُ، عَلَيكِ بِجَوَامِعِ الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مَنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ قَضَاءٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رشْدًا».

وخرَّجه الإمام أحمد، وابن ماجه، وابن حِبَّان في صحيحه،

---

(١) رواه أبو داود (١٤٨٢)، وأحمد (٢٥١٥١)، وابن حِبَّان (٨٦٧)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبليِّ (٢/ ٥٣٣).

والحاكم[١]، وليس عندهم ذكر جوامع الدُّعاء، وعند أحمد والحاكم: «**عَلَيْكِ بِالْكَوَامِلِ**...»، وذكرَ الحديث.

وخرَّجه البخاريُّ في الأدب المفرد[٢]، ولفظه: قال: «**يَا عَائِشَةُ عَلَيْكَ بِجُمَلِ الدُّعَاءِ وَجَوَامِعِهِ**»، فلمَّا انصرفتُ قلتُ: «يا رسول الله، وما جمل الدُّعاء وجوامعه؟...». فذكر الحديث.

وخرَّجه أبو بكر الأثرم، وعنده أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لها: «**مَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْخُذِي بِجَوَامِعِ الكَلِمِ وَفَوَاتِحِهُ**؟»[٣]. وذكر هذا الدُّعاء.

وفي الصَّحيحين[٤] عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا نَقُولُ فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ السَّلَامُ عَلَى اللهِ السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ»، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلِ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ**».

وروى الإمام أحمد في المسند[٥] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عُلِّمَ فَوَاتِحَ الخَيْرِ وَجَوَامِعَهُ، أَوْ جَوَامِعَ الخَيْرِ

---

(١) رواه أحمد (٢٥٠١٩)، وابن ماجه (٣٨٤٦)، وابن حِبَّان (٨٦٩)، والحاكم (١٩١٤)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٢) رواه البخاريُّ في الأدب المفرد (٦٣٩)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٣) فتح الباري لابن رجب الحنبليِّ (٩/ ٣١٠)، وقال بعد نقله عن الأثرم بسنده: «وهذا إسناد جيِّد».
(٤) رواه البخاريُّ (٦٣٢٨)، ومسلم (٤٠٢).
(٥) رواه أحمد (٣٨٧٧)، وانظر: السِّلسلة الصَّحيحة (١٤٨٣).

وَفَوَاتِحَهُ، وَإِنَّا كُنَّا لَا نَدْرِي مَا نَقُولُ فِي صَلَاتِنَا حَتَّى عَلَّمَنَا، فَقَالَ: «قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ».

وروى ابن ماجه[1] عَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ ﵁ قَالَ: «أُوتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَوَامِعَ الخَيْرِ وَخَوَاتِمَهُ -أَوْ قَالَ: فَوَاتِحَ الخَيْرِ- فَعَلَّمَنَا خُطْبَةَ الصَّلَاةِ، وَخُطْبَةَ الحَاجَةِ؛ خُطْبَةُ الصَّلَاةِ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وَخُطْبَةُ الْحَاجَةِ: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ تَصِلُ خُطْبَتَكَ بِثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ [آل عمران:١٠٢]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ [النساء:١]، وَ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ [الأحزاب:٧٠-٧١]».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فإنَّه ﷺ أُعْطِي جوامع الكلم، وخُصَّ ببدائع الحكَم، كما في الصَّحيحين[2] عن أبي هريرة ﵁ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «بُعِثْتُ بجوامع الكَلِم». قال الإمام محمَّد بن شهاب الزُّهريُّ ﵀: «جوامع الكلم فيما بلغنا: أنَّ الله يجمع له الأمور

(١) رواه ابن ماجه (١٨٩٢)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٢) رواه البخاريُّ (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

الكثيرة الَّتِي كانت تُكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك»[١]. اهـ.

وحاصلُه أنَّه ﷺ كان يتكلَّم بالكلام الموجَزِ القليلِ اللَّفظ، الكثير المعاني، وهكذا الشَّأن في أدعيته المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام، كان يُعجبه من ذلك جوامع الدُّعاء ويدَع ما بين ذلك.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: «دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَم نَحفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ دَعَوْتَ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَم نَحفَظْ مِنْهُ شَيْئًا»، فَقَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ البَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**». رواه التِّرمذيُّ[٢].

قال الشَّوكانِيُّ رحمه الله: «ولا شيء أجمع ولا أنفع من هذا الدُّعاء؛ فإنَّ رسول الله ﷺ قد صحَّ عنه من الأدعية الكثيرُ الطَّيِّب، وصحَّ عنه من التَّعوُّذ ممَّا ينبغي التَّعوُّذ منه الكثيرُ الطَّيِّب، حتَّى لم يَبق خير في الدُّنيا والآخرة إلَّا قد سأله من ربِّه، ولم يَبق شرٌ في الدُّنيا والآخرة إلَّا وقد استعاذ ربَّه منه، فمَن سأل الله عز وجل من خير ما سأله منه نبيُّه ﷺ واستعاذ من شَرِّ ما استعاذ منه نبيُّه ﷺ فقد جاء في دعائه بما لا يحتاج بعد إلى غيره، وسأله الخير على اختلاف أنواعه، واستعاذ من الشَّرِّ على اختلاف أنواعه، وحظي بالعمل بإرشاده ﷺ إلى هذا القول الجامع والدُّعاء النَّافع»[٣]. اهـ.

إنَّ الواجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يعرف عِظَمَ قدر الأدعيةِ النَّبويَّة ورفيع

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٥٣). (٢) رواه التِّرمذيُّ (٣٥٢١).
(٣) تحفة الذَّاكرين للشَّوكاني (ص٤٥٨).

مكانتها، وأنَّها مشتملةٌ على مجامع الخير وأبواب السَّعادةِ ومفاتيح الفلاح في الدُّنيا والآخرة، فخيرُ السُّؤال أن يسألَ المسلمُ ربَّه مِن خير ما سأله منه عبدُه ورسولُه ﷺ، وأفضلُ الاستعاذة أن يستعيذ بالله من شرِّ ما استعاذ منه عبدُه ورسولُه محمَّد ﷺ، فإنَّ في ذلك فواتحَ الخير وخواتِمَه وجوامعَه، وأوَّلَه وآخرَه، وظاهره وباطنَه، ومَن يتأمَّل جميعَ الأدعيةِ الواردةِ في القرآن والسُّنَّةِ يجدها كذلك، فإنَّ الله تبارك وتعالى قد اختار لنبيِّه محمَّد ﷺ جوامعَ الأدعيةِ وفواتح الخير وتمام الأمرِ وكماله في الدُّنيا والآخرة، فكيف يدَعُ المسلمُ هذا الخيرَ العميمَ والفضلَ العظيم الَّذِي اشتملت عليه أدعيةُ النَّبِيِّ الكريم ﷺ، ويُقبِلُ على أدعيةٍ أخرى لغيره ممَّن لا تُؤمَنُ غائلتُهم من المتكلِّفين في الدِّين ما ليس منه!!

ولهذا يقول الخطَّابيُّ رحمه الله: «أوْلى ما يُدعى به ويُستعمل منه ما صحَّت به الرِّوايةُ عن رسول الله ﷺ وثبت عنه بالأسانيد الصَّحيحة، فإنَّ الغلطَ يعرض كثيرًا في الأدعية الَّتِي يختارها النَّاس لاختلاف معارفهم وتباينِ مذاهبهم في الاعتقاد والانتحال، وبابُ الدُّعاء مطيَّةٌ مظِنَّةٌ للخطر، وما تحت قدم الدَّاعي دحضٌ، فليحذر فيه الزَّلل، وليسلك منه الجَدَد، الَّذِي يؤمَن معه العِثار، وما التَّوفيق إلَّا بالله عزَّ وجلَّ»[(١)]. اهـ.

وقول النَّبِيِّ ﷺ في الحديث المُتَقدِّم لعائشة رضي الله عنها: «**يا عائشة عليك بالكوامل من الدُّعاء**»، ثمَّ علَّمها ذلك الدُّعاء العظيم الكامل الجامع للخير كلِّه؛ فيه تأكيد على الأدعية النَّبويَّة بألفاظها كما جاءت دون أن يزاد عليها، فإنَّ الكامل لا يزاد فيه، ولهذا تعجب ممَّن يدعو بهذا الدُّعاء نفسه ثمَّ يزيد فيه، وخاصَّة عند قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمَّد** ﷺ». فيزيد بعضهم: «**وعبادُك**

---

(١) شأن الدُّعاء للخطَّابيِّ (ص٢).

الصَّالحون»، مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ وصفه بأنَّه كامل!، ثمَّ هل عند عباد الله الصَّالحين قدرٌ من الخير زائدٌ عمَّا حوَته دعوات النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام؟!

وهذا يؤكِّد أنَّ المسلم إن استحسنت نفسه بعض الألفاظ وأراد أن يزيدها في الدُّعاء المأثور عليه أن يتركها أدبًا مع أدعية النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام الكاملة العظيمة، حتَّى لا يكون كالمستدرك على أدعية الرَّسول ﷺ، وإن كان لا يقصد مَن يزيدها الاستدراك إلَّا أنَّ عليه أن يتركها؛ لأنَّ زيادتها نقص، وعليه أن يتقيَّد بدعوات النَّبيِّ ﷺ بألفاظه كما جاءت؛ لعِصمتها، وكمالها في مبناها ومعناها، وسلامتِها من الخطأ والزَّلل في ألفاظها ودلالاتها؛ لأنَّها وحيُ الله وتنزيلٌ منه، اختارها اللهُ لنبيِّه محمَّد ﷺ وعلَّمه إيَّاها، فعلِمَها ﷺ وعمِل بها على التَّمام والكمال، وبلَّغها أمَّتَه البلاغ المبين، وتلقَّاها عنه صحبُه الكرام خيرَ تلقٍّ؛ فعملوا بها واجتهدوا في تطبيقها وعمارةِ الأوقات بها، ثمَّ بلَّغوها مَن وراءَهم وافيةً تامَّةً بحروفها وألفاظها، فكان لهم بذلك الحظُّ الأوفرُ والنَّصيب الأكملُ من قوله ﷺ: «**نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها وحفظها، ثمَّ أدَّاها إلى مَن لَم يسمعها**»[1].

ولقد كان الصَّحابة رضي الله عنهم في غاية الحرص على ضبطِ الأدعيةِ النَّبويَّة وتعلُّمِها، وحرِصَ النَّبيُّ ﷺ على توجيههم وتسديدِهم فيها، بل كان يُعلِّمهم إيَّاها كما يُعلِّمهم السُّورةَ من القرآن الكريم؛ روى مسلم في صحيحه[2] عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ كان يُعلِّمهم هذا الدُّعاءَ كما يُعلِّمهم السُّورةَ من القرآن، يقول: «**اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك من عذاب جهنَّم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنةِ المسيح**

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٢٦٥٨)، وابن ماجه (٢٣٦)، وصحَّحه الألبانيُّ.
(٢) رواه مسلم (٥٩٠).

الدَّجَّال، وأعوذ بكَ من فتنة المحيا والممات». وفي دعاء الاستخارة في صحيح البخاريِّ[١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «**كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا دعاءَ الاستخارة كما يُعلِّمنا السُّورةَ من القرآن**».

وكان الصَّحابة رضي الله عنهم يأتونه ﷺ ويطلبون منه أن يعلِّمهم ما يدعون الله به، مع أنَّهم أهلُ علمٍ وفصاحةٍ وقدرة على إنشاء كثير من الأدعية الحسنة! بل ها هو فقيه الأُمَّة وخيرها وأفضلها أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه يقول لرسول الله ﷺ: «علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي»، وفي رواية: «وفي بيتي»، قال: «**قل: اللهمَّ إنِّي ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذُّنوبَ إلَّا أنتَ، فاغفرْ لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنَّك أنت الغفور الرَّحيم**». رواه البخاريُّ ومسلم[٢].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو بَكرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ وَإِذَا أَخَذْتُ مَضْجَعِي، قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ**». رواه أحمد[٣].

وكان ﷺ يُصوِّبُ مَن يخطئ منهم ولو في لفظ من ألفاظ الذِّكر والدُّعاء، كما في الصَّحيحين[٤] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إذا أتيتَ مَضجعَك فتوضَّأ وضوءك للصَّلاة، ثمَّ اضطجع على شِقِّك الأيمن، وقل: اللهمَّ أسلمتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ**

(١) رواه البخاريُّ (١١٦٢).
(٢) رواه البخاريُّ (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).
(٣) رواه أحمد (٥١)، وصحَّحه الألبانيُّ في السِّلسلة الصَّحيحة (٢٧٥٣).
(٤) رواه البخاريُّ (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلَّا إليك، آمنتُ بكتابك الَّذِي أنزلت، وبنبيِّك الَّذِي أرسلت؛ فإن مُتَّ متَّ على الفطرة، فاجعلهُنَّ آخر ما تقول»، فقلت: أستذكرهُنَّ: «وبرسولك الَّذِي أرسلت»، قال: «**لا، وبنبيِّك الَّذِي أرسلت**».

قال الحافظ في الفتح[(١)]: «وأوْلى ما قيل في الحكمة في ردِّه ﷺ على مَن قال الرَّسول بدل النَّبِيِّ: أنَّ ألفاظ الأذكار توقيفيَّة، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فيجب المحافظة على اللَّفظ الَّذِي وردت به» اهـ.

ثم إنَّ الإنسان قد يختار لنفسه صيغةً معيَّنةً من الدُّعاء يرى أنَّ فيها تحقيقَ سعادته في الدُّنيا والآخرة، ويخفى عليه ما قد تتضمَّنه من شرٍّ أو خطر إمَّا في الدُّنيا أو الآخرة، بينما الأدعية النَّبويَّة ليس فيها إلَّا الخير والصَّلاح والسَّلامة في الدُّنيا والآخرة، وتأمَّل هذه القصَّة العجيبة؛ روى مسلم في صحيحه[(٢)] عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ عاد رجلًا من المسلمين قد خفَتَ فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إيَّاه؟**» قال: «نعم كنت أقول: اللَّهُمَّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجِّله لي في الدُّنيا»، فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه، أفلا قلت: اللَّهُمَّ آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النَّار**»، قال: فدعا اللهَ له فشفاه.

فجمع له عليه الصلاة والسلام في هذا الدُّعاء العظيم الَّذِي أرشده إليه بين خيري الدُّنيا والآخرة والسَّلامة فيهما من جميع الشُّرور.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٢).
(٢) رواه مسلم (٢٦٨٨).

وهذا كلُّه ممَّا يُبيِّن لنا مكانةَ الأدعية النَّبويَّة وأهمِّيَّة العناية بألفاظها المأثورة لكمالِها ورِفعتِها وعصمتها وسلامتِها ووفائها بتحقيق أهمِّ المطالب وأجلِّ الغايات، وأنَّها تميزت بخصائص وصفات ليست موجودة في أدعية غيره، مهما أوتي غيره من الفهم والدِّراية والعلم، وأنَّ المسلم لا غنى له عنها، رزقنا الله حسن الاعتناء بدعائه ﷺ، والاهتداء بهديه القويم.

شرح حديث «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً...»

روى البخاريُّ ومسلم(١) عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: **اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**».

هذا الدُّعاء من أعظم الأدعية وأجلِّها شأنًا، وهو من جوامع الدُّعاء، وقد جمَع خير الدُّنيا والآخرة، وهو من أدعية القرآن الَّتِي ذكرها الله سبحانه في معرض الثَّناء على أهل الإيمان في سياق آيات الحجِّ، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:٢٠١]، فمدح الله تعالى في هذه الآية مَن يدعوه سبحانه بهذا الدُّعاء المشتمل على طلب الحسنة في الدُّنيا والآخرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «فجمعت هذه الدَّعوة كلَّ خير في الدُّنيا وصرفت كلَّ شرٍّ، فإنَّ الحسنة في الدُّنيا تشمل كلَّ مطلوب دنيويٍّ من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، إلى غير ذلك ممَّا اشتملت عليه عبارات المُفَسِّرين، ولا منافاة بينها؛ فإنَّها كلَّها مندرجة في الحسنة في الدُّنيا.

وأمَّا الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخولُ الجنَّة وتوابعُه من الأمن

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

من الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصَّالحة، وأمَّا النَّجاة من النَّار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدُّنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشَّهوات والحرام»[(١)]. اهـ.

ويُعد هذا الدُّعاء من أجمع الأدعية لخيري الدُّنيا والآخرة، ولهذا وردت فيه أحاديث كثيرة تدلُّ على فضله وعظيم مكانته وأنَّه من أكثر أدعية النَّبيِّ ﷺ، كما تقدَّم في حديث أنس رضي الله عنه المُتَّفق على صِحَّته قال: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: **اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**». وزاد مسلم في روايته: «وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه».

وروى أبو داود[(٢)] عن عبد الله بن السَّائب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين الرُّكنين: «**ربَّنا آتنا في الدُّنيا حَسَنة وفي الآخِرَة حَسَنة وقِنَا عَذَاب النَّار**».

وعن حبيب بن صَهبان الكاهليِّ قال: «كنت أطوف بالبيت وعمر بن الخطَّاب يطوف ما له قول إلَّا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، قال: ما له هِجِّيرٌ غيرَها». رواه أحمد في الزُّهد.

قال محمَّد بن الحسن الآجُرِّيُّ رحمه الله في كتابه مسألة الطَّائفين[(٣)]: «فمَن أحبَّ أن يكون من هؤلاء خشع لله عز وجل الكريم في طوافه، وكان شغله بقلبه وبلسانه بالله العظيم متَّصل، وعن غيره من المخلوقين منفصل، يمشي بالسَّكينة والوقار، دائمَ الذِّكر طويل الفكر، تارة يحذر

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٥٨).
(٢) رواه أبو داود (١٨٩٢)، وحسَّنه الألبانيُّ.
(٣) مسألة الطَّائفين (ص٢٨).

وتارة يرجو، إن قال فيما بين الرُّكنين: ربَّنا آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النَّار، قاله بحضور فهمٍ وتذلُّل وافتقار، فمَن كان في طوافه بهذا الوصف رجوتُ أن يجيب الله الكريمُ دعوته ويرحم عبرته ويباهي به ملائكته، وتؤمِّن الملائكة على دعائه إن شاء الله».

وعَن أَنَسٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ عِندَ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَمْ تُعْطِنِي مَالًا فَأَتَصَدَّقَ بِهِ، فَابْتَلِنِي بِبَلَاءٍ يَكُونُ** -أَوْ قَالَ: فِيهِ- **أَجْرٌ**»، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللهِ، لَا تُطِيقُهُ، أَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**». رواه البخاريُّ في الأدب[1].

وروى مسلم في صحيحه[2] عن أنس ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ عاد رجلًا من المسلمين قد خفَتَ فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إيَّاه؟**»، قال: «نعم، كنت أقول: اللَّهُمَّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجِّله لي في الدُّنيا»، فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله! لا تطيقه -أو لا تستطيعه- أفلا قلت: اللَّهُمَّ آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النَّار؟**» قال: فدعا الله له فشفاه.

قال ابن تيميَّة ﵀: «فهذا حمَلَه خوفه من عذاب النَّار ومحبَّته لسلامة عاقبته على أن يطلب تعجيل ذلك في الدُّنيا، وكان مخطئًا في ذلك غالطًا، والخطأ والغلط مع حسن القصد وسلامته وصلاح الرَّجل وفضله ودينه وزهده وورعه وكراماته كثير جدًّا»[3]. فكيف إذا مع الضعف والقصور.

---

(١) رواه البخاريُّ في الأدب المفرد (٧٢٧)، وقال الألبانِيُّ: «حسن صحيح».
(٢) رواه مسلم (٢٦٨٨).
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيميَّة (١٠/ ٦٩٣).

وروى البخاريُّ في الأدب المفرد[(١)] أنَّ قومًا أتوا أنس بن مالك رضي الله عنه ليدعو لهم، فقيل له: «إنَّ إخوانك أتوك لتدعو الله لهم». قال: «اللَّهُمَّ اغفر لنا وارحمنا، وآتنا في الدُّنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النَّار»، فاستزادوه، فقال مثلها، فقال: «إن أوتيتم هذا فقد أوتيتم خير الدُّنيا والآخرة».

قال الطِّيبيُّ: «إنَّما كان يكثر من هذا الدُّعاء؛ لأنَّه من الجوامع الَّتِي تحوز جميع الخيرات الدُّنيويَّة والأخرويَّة، وبيان ذلك: أنَّه كرَّر الحسنة ونكَّرها تنويعًا، وقد تقرَّر في علم المعاني أنَّ النَّكرة إذا أُعِيدت كانت الثَّانية غير الأولى، فالمطلوب في الأولى الحسنات الدُّنيويَّة؛ من الإعانة والتَّوفيق والوسائل الَّتِي بها اكتساب الطَّاعات والمَبَرَّات بحيث تكون مقبولةً عند الله، وفي الثَّانية ما يترتَّب من الثَّواب والرِّضوان في العقبى، وقوله: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. تتميم، أي: إن صدر منَّا ما يوجبها من التَّقصير والعصيان فاعفُ عنَّا وقنا عذاب النَّار، فحُقَّ لذلك أن يُكثر من هذا الدُّعاء»[(٢)].

قوله: (﴿رَبَّنَا﴾)؛ هذا نداء فيه إقرار بالرُّبوبيَّة المستلزم لتوحيد الألوهيَّة.

قال ابن القيِّم رحمه الله: «وتأمَّل كيف صُدِّر الدُّعاءُ المتضمِّنُ للثَّناء والطَّلب بلفظة: «**اللَّهُمَّ**» كما في سيِّد الاستغفار: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ**»، وجاء الدُّعاءُ المُجَرَّد مصدَّرًا بلفظ: (الرَّبِّ)، نحو قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران:١٤٧]، وقول آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣]، وقول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي

(١) رواه البخاريُّ في الأدب المفرد (٦٣٣)، وقال الألبانيُّ: «صحيح الإسناد».
(٢) شرح المشكاة للطِّيبيِّ (٦/ ١٩٢٥).

ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص:١٦]، وقول نوح: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود:٤٧]، وكان النَّبيُّ يقول بين السَّجدتين: «رَبِّ اغْفِرْ لِي رَبِّ اغْفِرْ لِي»، وسرُّ ذلك: أنَّ الله تعالى يُسئل بربوبيَّته المتضمِّنة قدرته وإحسانه وتربيته عبده وإصلاح أمره، ويثنى عليه بإلاهيَّته المتضمِّنة إثبات ما يجب له من الصِّفات العلى والأسماء الحسنى. وتدبَّر طريقة القرآن تجدها كما ذكرت لك؛ فأمَّا الدُّعاء فقد ذكرنا منه أمثلةً وهو في القرآن حيث وقع لا يكاد يجيء إلَّا مصدَّرًا باسم (الرَّبِّ)، وأمَّا الثَّناء فحيث وقع فمصدَّر بالأسماء الحسنى»[(١)].

وقوله: (﴿ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾) دعاءٌ بخير الدُّنيا كلِّه؛ فإنَّ الحسنة المطلوبة في الدُّنيا تشمل كلَّ مطلوب دنيويٍّ، فقوله: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يشمل: الرِّزق الهنيء، والدَّار الرَّحبة، والزَّوجة الصَّالحة، والولد الصَّالح، والعلم النَّافع، والعمل الصَّالح، والأمن، والثَّناء الجميل؛كلُّ هذا داخل فيه.

وهذا لا يعني الحصر، وإنَّما يعني التَّوضيح؛ فمَن قال: الحسنة في الدُّنيا هي الزَّوجة الصَّالحة، هذا حقٌّ، ومَن قال: الولد الصَّالح هذا حقٌّ، ومَن قال: الرِّزق الحلال هذا حقٌّ؛ لأنَّ هذه كلَّها من حسنات الدُّنيا، فالتَّفسير للَّفظ الجامع بشيء من أفراده يعدُّ من قبيل التَّفسير بالمثال، وليس للحصر.

وقوله: (﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾)، أي: مغفرة ورحمة وشفاعة وفوزًا ونجاة وجنَّة عالية، وقد تقدَّم قول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنَّة وتوابعه من الأمن من الفزع

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٩٣ - ١٩٤).

الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصَّالحة»[١].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الحسن في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي العلم والعبادة، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هي الجنَّة، وهذا من أحسن التَّفسير؛ فإنَّ أجلَّ حسنات الدُّنيا العلم النَّافع والعمل الصَّالح»[٢].

وقوله: (﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾)، أي: اصرف عنَّا عذابها؛ وهذا يتضمَّن النَّجاة من النَّار ومن الأسباب الَّتِي تفضي بالعبد إلى النَّار. وزاد في هذا الدُّعاء: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾؛ لأنَّ حصول الحسنة في الآخرة قد يكون بعد عذابٍ فجاء هذا الدُّعاء فيه التَّصريح بطلب نعيم الآخرة مع الوقاية من النَّار.

وفي قوله: ﴿ءَاتِنَا﴾، ﴿وَقِنَا﴾ أتى به بصيغة ضمير الجمع؛ أي: نحن معاشر عبيدك مُقِرُّون لك بالعبوديَّة، وكما يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد تضمَّن ذلك من الثَّناء على الرَّبِّ بسعة مجده وكثرة عبيده وكثرة سائليه الهداية ما لا يتضمَّنه لفظ الإفراد فتأمَّله. وإذا تأمَّلت أدعية القرآن رأيت عامَّتها على هذا النَّمط، نحوَ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، ونحوَ دعاءِ آخرِ البقرة وآخرِ آلِ عمران وأوَّلها، وهو أكثر أدعية القرآن الكريم»[٣].

قال الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اختُلف في تفسير الحسنة في الدُّنيا والحسنة في الآخرة؛ فرُوِي عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: الحسنة في الدُّنيا

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٥٨).
(٢) مفتاح دار السَّعادة لابن القيِّم (١/ ١٢١).
(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٤٥٢).

المرأة الصَّالحة، وفي الآخرة الحور، وعذاب النَّار امرأة السُّوء، وقال الحسن البصريُّ: الحسنة في الدُّنيا العلم والعبادة، وفي الآخرة الجنَّة، ومعنى: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: احفظنا من كلِّ شهوة وذنب. وقيل الحسنة في الدُّنيا: الصِّحَّة والكفاف والعفاف والتَّوفيق للخير، والحسنة في الآخرة الثَّواب والرَّحمة. وقيل غير ذلك ممَّا يطول ذكره. والحاصل أنَّه لا عموم؛ لأنَّه لا صيغة عامَّة هاهنا؛ لأنَّ وقوع النَّكرة في حيِّز الإثبات لا يفيد العموم إلَّا أنَّ العبد يعطى في الدُّنيا حسنةً واحدة وفي الآخرة حسنة واحدة، ومعلوم أنَّه لو كان المطلوب حسنةً واحدة لم يكن هذا الدُّعاء من جوامع الكلم ولا وقعت منه ﷺ المواظبة عليه حتَّى كان أكثر دعائه، فالظَّاهر أنَّ المراد: أنَّه يكون ما يعطاه في الدُّنيا حسنة فيكون كلُّ خصلة من خصال الدُّنيا حسنة، وكلُّ خصلة من خصال الآخرة حسنة، أو تُفَسَّر الحسنة في الدُّنيا بفردٍ من أفرادها يستلزم سائر الأفراد، وتُفَسَّر الحسنة في الآخرة بفرد من أفرادها يستلزم جميع الأفراد، وذلك بأن يقال: المراد حسن المعاد، وحسن المعاش، وحسن الحياة، وحسن الممات، فإنَّ ذلك يستلزم أن يكون كلُّ أمور دنياه وآخرته حسنة. قال النَّوويُّ: وأظهر الأقوال في تفسير الحسنة في الدُّنيا: أنَّها الصِّحَّة والعافية، وفي الآخرة: التَّوفيق للخير والمغفرة. ولا يخفاك أنَّ الصِّحَّة داخلة في العافيةِ، والتَّوفيقُ للخير يستلزم عدمَ وجودِ الشَّرِّ فلا ذنب حتَّى يُغفر، ولو فسَّر حسنة الدُّنيا بمجرَّد العافية وحسنة الآخرة بها لكان ذلك أوْلى وأنسب لما سيأتي من أنَّ سؤال العافية يستلزم حصول المطالب كلِّها للعبد»[(١)]. اهـ.

وقال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والَّذِي عليه أكثر أهل العلم أنَّ المراد

(١) تحفة الذَّاكرين للشَّوكانيِّ (ص٤٥٧).

بالحسنتين نِعَمُ الدُّنيا والآخرة؛ وهذا هو الصَّحيح، فإنَّ اللَّفظ يقتضي هذا كلَّه، فإنَّ ﴿حَسَنَةً﴾ نكرة في سياق الدُّعاء، فهو محتمل لكلِّ حسنة من الحسنات على البدل، وحسنة الآخرة: الجنَّة بإجماع»[(١)].

(١) تفسير القرطبيِّ (٢/ ٤٣٢).

شرح حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقى وَالعَفَافَ وَالغِنَى»

روى الإمام مسلم في صحيحه[١] عَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى**».

هذا دعاءٌ عظيمٌ جامع اشتمل على أربعة مطالبَ عظيمة وهي: الهداية، والتَّقوى، والعفاف، والغنى. ودعاءُ النَّبيِّ ﷺ بها مجتمعة يدلُّ على شرفها وعظيمِ أهمِّيَّة الالتجاء إلى الله عز وجل بسؤاله هذه المطالب في سائر الأحوال. قال النَّوويُّ في الأذكار[٢]: «وممَّا يستحبُّ الدُّعاء به في كلِّ موطن: «**اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك العفوَ والعافية**[٣]، **اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك الهُدَى والتُّقَى والعفافَ وَالغِنَى**». والله أعلم».

- والهداية تتناول الهداية إلى كلِّ مصالح العبد من أمر دينه ودنياه.
- والتُّقى يتناول البعد عن كلِّ ما يسخط الله من الشِّرك والمعاصي والأخلاق الذَّميمة.
- والعفاف -وفي رواية العِفَّة- هو: التَّنزُّه والبُعد عن كلِّ ما لا يحلُّ ولا يباح.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢١).
(٢) الأذكار للنَّوويِّ (ص١٤٧).
(٣) رواه التِّرمذيُّ (٣٥١٢).

- والغنى: غنى النَّفس وقناعتُها بما قسم الله سبحانه.

فجمع هذا الحديث خيرَ الدُّنيا والآخرة؛ فمَن رزقه الله الهدى والتُّقى والعفاف والغنى نال السَّعادتين؛ سعادة الدُّنيا وسعادة الآخرة.

قال الطِّيبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أطلق الهدى والتُّقى ليتناول كلَّ ما ينبغي أن يهتدي إليه من أمر المعاش والمعاد ومكارم الأخلاق، وكلَّ ما يجب أن يتقي منه من الشِّرك والمعاصي ورذائل الأخلاق، وطلبُ العفاف والغنى تخصيصٌ بعد تعميم»[(١)].

وقال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا العفاف والعِفَّة: فهو التَّنزُّه عمَّا لا يباح، والكفُّ عنه. والغنى هنا: غنى النَّفس والاستغناء عن النَّاس، وعمَّا في أيديهم»[(٢)].

وفي شرح لطيف لهذا الحديث يقول الشَّيخ عبد الرَّحمن السِّعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الدُّعاء من أجمع الأدعية وأنفعها، وهو يتضمَّن سؤال خير الدِّين وخير الدُّنيا، فإنَّ الهدى: هو العلم النَّافع، والتُّقى: العمل الصَّالح وترك ما نهى الله ورسوله عنه، وبذلك يصلح الدِّين، فإنَّ الدِّين علوم نافعة ومعارف صادقة، فهي الهدى، وقيامٌ بطاعة الله ورسوله، فهو التُّقى. والعفاف والغنى يتضمَّن العفاف عن الخلق وعدم تعليق القلب بهم، والغنى بالله وبرزقه، والقناعة بما فيه، وحصول ما يطمئن به القلب من الكفاية؛ وبذلك تتمُّ سعادة الحياة الدُّنيا والرَّاحة القلبيَّة وهي الحياة الطَّيِّبة، فمَن رُزق الهدى والتُّقى والعفاف والغنى نال السَّعادتين، وحصَّل كلَّ مطلوب، ونجا من كلِّ مرهوب»[(٣)].

---

(١) شرح المشكاة للطِّيبيِّ (٦/ ١٩٢٤).
(٢) شرح النَّوويِّ لمسلم (١٧/ ٤١).
(٣) بهجة قلوب الأبرار للسِّعديِّ (ص٢٠٥).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن دعاء النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى**». فجمع الخير كلَّه في هذا الدُّعاء، فالهدى: هو العلم النَّافع، والتُّقى: هو العمل الصَّالح، وترك المحرَّمات كلِّها، هذا صلاح الدِّين. وتمام ذلك بصلاح القلب، وطمأنينته بالعفاف عن الخلق، والغنى بالله، ومَن كان غنيًّا بالله فهو الغنيُّ حقًّا، وإن قَلَّتْ حواصلُه، فليس الغنى عن كثرة العرَض، إنَّما الغنى غنى القلب، وبالعفاف والغنى يتمُّ للعبد الحياة الطَّيِّبة، والنَّعيم الدُّنيويُّ، والقناعة بما آتاه الله»[(١)].

وقال الشَّيخ محمَّد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان النَّبيُّ ﷺ يدعو الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الدُّعاء: «**اللَّهُمَّ إنِّي أسألك الهدى والتُّقى والعفاف والغنى**»؛ الهدى هنا بمعنى العلم، والنَّبيُّ ﷺ محتاج إلى العلم كغيره من النَّاس؛ لأنَّ الله سبحانه قال له: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، وقال الله له: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النِّساء:١١٣]، فهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ محتاج إلى العلم فيسأل الله الهدى، والهدى إذا ذكر وحده يشمل العلم والتَّوفيق للحقِّ، أمَّا إذا قُرن معه ما يدلُّ على التَّوفيق للحقِّ فإنَّه يفسَّر بمعنى العلم، لأنَّ الأصل في اللُّغة العربيَّة أنَّ العطف يقتضي المغايرة فيكون الهدى له معنى وما بعده ممَّا يدلُّ على التَّوفيق له معنى آخر.

وأمَّا قوله: (**والتُّقى**)؛ فالمراد بالتَّقوى تقوى الله عَزَّوَجَلَّ فسأل النَّبيُّ ﷺ ربَّه التُّقى، أي: أنْ يُوَفِّقه إلى تقوى الله؛ لأنَّ الله هو الَّذِي بيده مقاليد كلِّ شيء، فإذا وُكِل العبد إلى نفسه ضاع ولم يحصل على شيء، فإذا وَفَّقه الله عَزَّوَجَلَّ ورزقه التُّقى صار مستقيمًا على تقوى الله.

---

(١) بهجة قلوب الأبرار للسِّعديِّ (ص٨٩).

وأمَّا قوله: (**العفاف**) فالمراد به أن يمنَّ الله عليه بالعفاف والعِفَّة عن كلِّ ما حرَّم الله عليه، فيكون عطفه على (التَّقوى) من باب عطف الخاصِّ على العامِّ إن خصصنا العفاف بالعفاف عن شيء معيَّن، وإلَّا فهو من باب عطف المترادفين، فالعفاف: أن يعفَّ عن كلِّ ما حرَّم الله عليه فيما يتعلَّق بجميع المحارم الَّتِي حرَّمها الله عَزَّوَجَلَّ.

وأمَّا الغنى فالمراد به الغنى عمَّا سوى الله؛ أي: الغنى عن الخلق بحيث لا يفتقر الإنسان إلى أحد سوى ربِّه عَزَّوَجَلَّ. والإنسان إذا وَفَّقه الله ومنَّ عليه بالاستغناء عن الخلق صار عزيز النَّفس غير ذليل، لأنَّ الحاجة إلى الخلق ذُلٌّ ومهانة، والحاجة إلى الله عِزٌّ وعبادة، فهو يسأل الله عَزَّوَجَلَّ الغنى، فينبغي لنا أن نقتدي بالرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هذا الدُّعاء، وأن نسأل الله الهدى والتُّقى والعفاف والغنى. وفي هذا دليل على أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وأنَّ الَّذِي يملك ذلك هو الله. وفيه دليل على إبطال من تعلَّقوا بالأولياء والصَّالحين في جلب المنافع ودفع المضارِّ كما يفعل بعض الجُهَّال؛ لأنَّ هؤلاء المدعوين هم بأنفسهم لا يملكون لأنفسهم شيئًا، قال الله لنبيِّه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام:٥٠]. وقال له: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:١٨٨]، وقال له: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ۝٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ [الجنّ:٢١-٢٢]، فالإنسان يجب أن يعلم أنَّ البشر مهما أوتوا من الوجاهة عند الله عَزَّوَجَلَّ ومن المنزلة والمرتبة عند الله فإنَّهم ليسوا بمستحقِّين أن يُدْعَوا من دون الله، بل إنَّهم يتبرَّؤون تبرُّؤا تامًّا ممَّن يدعونهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، قال عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما قال الله له: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ

لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾ [المائدة:١١٦]. ليس من حقِّ عيسى ولا غيره أن يقول للنَّاس: اتَّخذوني إلهًا من دون الله: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة:١١٦-١١٧]»[١]. اهـ.

فالأمر كلُّه لله وطوع تدبيره، هو المعطي المانع، فالهدى والتُّقى وتوابعها كلُّها من صفة العطاء، والإضلال والعذاب وتوابعها كلِّها من صفة المنع، وهو سبحانه يصرِّف خلقه بين عطائه ومنعه، وذلك كلُّه صادرٌ عن حكمة بالغة وملكٍ تامٍّ وحمد تامٍّ، فلا إله إلَّا الله ولا ربَّ سواه.

والهدى أوَّل هذه المطالب الأربعة وهو أجلُّها وأعظمها وأجمعها للخير.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان أنفع الدُّعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦-٧]؛ فإنَّه إذا هداه هذا الصِّراط؛ أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شرٌّ لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، لكن الذُّنوب هي من لوازم نفس الإنسان، وهو محتاجٌ إلى الهدى في كلِّ لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشُّرب، ليس كما يقوله طائفة من المُفَسِّرين: إنَّه قد هداه فلماذا يسأل الهدى! وأنَّ المراد بسؤال الهدى الثَّبات أو مزيد الهداية! بل العبد محتاج إلى أن يعلِّمه ربُّه ما يفعله من تفاصيل أحواله، وإلى ما يتولَّد من تفاصيل الأمور في كلِّ يوم، وإلى أن يُلهَم أن يعمل ذلك، فإنَّه لا يكفي مجرَّد علمه إن لم يجعله الله مريدًا للعمل بعلمه، وإلَّا كان العلم حُجَّة عليه ولم يكن مهتديًا. والعبد محتاجٌ إلى أن يجعله الله قادرًا على العمل

---

(١) شرح رياض الصَّالحين لابن عثيمين (١/ ٣٥٠).

بتلك الإرادة الصَّالحة، فإنَّه لا يكون مهتديًا إلى الصِّراط المستقيم -صراط الَّذِين أنعم الله عليهم من النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين- إلَّا بهذه العلوم والإرادات والقدرة على ذلك. ويدخل في ذلك من أنواع الحاجات ما لا يمكن إحصاؤه، ولهذا كان النَّاس مأمورين بهذا الدُّعاء في كلِّ صلاةٍ لفرط حاجتهم إليه، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى هذا الدُّعاء. وإنَّما يعرف بعض قدر هذا الدُّعاء من اعتبر أحوال نفسه ونفوس الإنس والجنِّ المأمورين بهذا الدُّعاء، ورأى ما في النُّفوس من الجهل والظُّلم الَّذِي يقتضي شقاءها في الدُّنيا والآخرة، فيعلم أنَّ الله -بفضله ورحمته- جعل هذا الدُّعاء من أعظم الأسباب المقتضية للخير المانعة من الشَّرِّ.

وأمَّا التَّقوى فهي أعظم الوصايا، والقرآن من أوَّله إلى آخره يأمر بالتَّقوى ويحضُّ عليها، حتَّى لم يُذكر في القرآن شيء أكثر منها، وهي وصيَّة الله للأوَّلين والآخرين من خلقه، لم تزل منذ أوجد العالم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء:١٣١]، وهي أوَّل دعوة الأنبياء وشعار الأولياء، وأهلُها أصحابُ العاقبة الحميدة أهلُ مقعد الصِّدق عند مليك مقتدر، وهي خير ما يستفيده العبد في هذه الحياة، روى أبو نعيم في حلية الأولياء(١) «عَن مُحَمَّدِ بنِ يَزِيدَ الرَّحَبِيِّ قَالَ: قِيلَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: مَا لَكَ لَا تُشعِرُ؟ -أي: لا تقول الشِّعر- فَإِنَّهُ لَيسَ رَجُلٌ لَهُ بَيتٌ مِنَ الأَنصَارِ إِلَّا وَقَد قَالَ شِعرًا، قَالَ: وَأَنَا قَد قُلتُ فَاسمَعُوا:

يُرِيدُ المَرءُ أَن يُعطَى مُنَاهُ ... وَيَأبَى اللهُ إِلَّا مَا أَرَادَ
يَقُولُ الْمَرءُ: فَائِدَتِي وَمَالِي ... وَتَقوَى اللهِ أَفضَلُ مَا استَفَادَا

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٢٢٥).

وما من خير عاجل ولا آجل إلَّا والتَّقوى سبيل موصل إليه، وما من شرٍّ عاجل ولا آجل ظاهر ولا باطن إلَّا والتَّقوى حرز حصين للسَّلامة منه والنَّجاة من ضرره.

وليست تقوى الله مجرَّد ترك السَّيِّئات، بل التَّقوى كما فسَّرها الأوَّلون والآخرون: فعلُ ما أُمرتَ به وتركُ ما نهيت عنه؛ كما قال طلق بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ لما وقعت الفتنة: «اتَّقوها بالتَّقوى»، قالوا: وما التَّقوى؟ قال: «أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله»[(١)].

وقد قال الله تعالى في أكبر سورة في القرآن: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:١-٣] إلى آخرها، فوصف المُتَّقين بفعل المأمور به من الإيمان والعمل الصَّالح من إقامة الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وأمَّا العفافُ والغنى وكثيرًا ما يقرن بينهما لما بينهما من تلازم، فإنَّ المُتَعفِّف عن السُّؤال حتَّى يحسبه الجاهل غنيًّا من التَّعفُّف يغنيه الله فيجعله غنيًّا، أي: بالقلب، فليس الغنى عن كثرة العرَض، وإنَّما الغنى غني النَّفس.

---

(١) رواه هنَّاد في الزُّهد (٥٢٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٦٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «جمع النَّبيُّ ﷺ بين العِفَّة والغنى في عدَّة أحاديث: منها: قوله في حديث أبي سعيد المُخَرَّج في الصَّحيحين[1]: «**مَن يستغن يغنه الله، ومَن يستعفف يُعِفّه الله**»، ومنها: قوله في حديث عياض بن حمار في صحيح مسلم[2]: «**أهل الجنَّة ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلطَانٍ مُقسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُربَى وَمُسلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**»، ومنها: قوله في حديث الخيل الَّذِي في الصَّحيح[3]: «**ورجل ارتبطها تغنيًّا وتعفُّفًا، ولم ينسَ حقَّ الله في رقابها وظهورها فهي له ستر**»، ومنها: ما روي عنه: «**مَن طلب المال استغناء عن النَّاس واستعفافًا عن المسألة لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر**»[4]، ومنها: قوله في حديث عمر وغيره: «**ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مشرف فخذه**»[5]، فالسَّائل بلسانه وهو ضدُّ المُتَعَفِّف، والمشرف بقلبه وهو ضدُّ الغنى. قال في حقِّ الفقراء: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة:٢٧٣]، أي: عن السُّؤال للنَّاس، وقال: «**ليس الغنى عن كثرة العرض وإنَّما الغنى غنى النَّفس**»[6]، فغني النَّفس الَّذِي لا يستشرف إلى المخلوق؛ فإنَّ الحُرَّ عبدٌ ما طمع، والعبد حُرٌّ ما قنع، وقد قيل: أطعت مطامعي فاستعبدتني. فكُرِه أن يُتبع نفسه ما استشرفت له لئلَّا يبقى في القلب فقرٌ وطمع إلى المخلوق؛ فإنَّه خلاف التَّوكُّل المأمور به وخلاف غنى النَّفس»[7].

---

(١) رواه البخاريُّ (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤).
(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥). (٣) رواه البخاريُّ (٢٣٧١).
(٤) روى نحوه ابن أبي شيبة في المصنَّف (٢٢١٨٦).
(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف (٢١٩٧٤).
(٦) رواه البخاريُّ (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).
(٧) مجموع الفتاوى لابن تيميَّة (١٨/ ٣٢٨).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي...»

روى البخاريُّ ومسلم[(١)] عَن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدعُو: «**اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهلِي، وَإِسرَافِي فِي أَمرِي، وَمَا أَنتَ أَعلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِندِي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي مَا قَدَّمتُ وَمَا أَخَّرتُ، وَمَا أَسرَرتُ وَمَا أَعلَنتُ، وَمَا أَنتَ أَعلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنتَ المُقَدِّمُ وَأَنتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**».

هذا الدُّعاء من أجمع الأدعية في الاستغفار؛ لأنَّه دعاءٌ بألفاظ التَّعميم والشُّمول مع البسط والتَّفصيل، بذكر كلِّ معنى بصريح لفظه دون الاكتفاء بدلالة اللَّفظ الآخر عليه، ليأتي هذا الاستغفار على ذنوب العبد كلِّها؛ المتقدِّمِ منها والمتأخِّر، والظَّاهرِ والمعلن، ما علمه العبد من ذنوبه وما لم يعلمه. ومعلوم أنَّه لو قيل: «اغفر لي كلَّ ما صنعتُ». كان أوجز، ولكن ألفاظ الحديث في مقام الدُّعاء والتَّضرُّع وإظهار العبوديَّة والافتقار واستحضار الأنواع الَّتِي يتوب العبد منها تفصيلًا أحسن وأبلغ من الإيجاز والاختصار. قال الأوزاعيُّ رحمه الله: «كان يُقال: أفضل الدُّعاء الإلحاح على الله والتَّضرُّع». رواه البيهقيُّ[(٢)].

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩).
(٢) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان (١١٥٧).

وهذا الدُّعاء والاستغفار من النَّبِيِّ ﷺ هو على سبيل الافتقار والعبوديَّة لربِّه عَزَّوَجَلَّ، والتَّعليم لأُمَّته، وأنَّ أحدًا من العباد لا يكون في غنى عن ربِّه وعن عفوه ورحمته ومغفرته، بل حاجة العباد إلى مغفرته ورحمته وعفوه، كحاجتهم إلى حفظه وكلاءته ورزقه؛ فإنْ لم يحفظهم هلكوا، وإن لم يرزقهم هلكوا، وإن لم يغفر لهم ويرحمهم هلكوا وخسروا، ولهذا قال أبوهم آدم وأُمُّهم حواء عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وهذا شأن ولدهما من بعدهما.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والدُّعاءَ عبوديَّةٌ لله وافتقارٌ إليه وتذلُّلٌ بين يديه، فكلَّما كثَّره العبدُ وطوَّله وأعاده وأبداه ونوَّع جُملَه كان ذلك أبلغَ في عبوديَّته وإظهار فقره وتذلُّلِه وحاجته، وكان ذلك أقربَ له من ربِّه وأعظمَ لثوابه، وهذا بخلاف المخلوق، فإنَّك كلَّما كثَّرت سؤاله وكرَّرت حوائجك إليه أبرمته وثقَّلت عليه وهِنتَ عليه، وكلَّما تركتَ سؤاله كان أعظمَ عنده وأحبَّ إليه، والله سبحانه كلَّما سألتَه كنتَ أقربَ إليه وأحبَّ إليه، وكلَّما أَلْححتَ عليه في الدُّعاء أحبَّك، ومَن لَم يسأل الله يغضب عليه.

فالله يغضب إن تركتَ سؤاله وبُنَيُّ آدم حين يُسألُ يغضبُ»[(١)]

ثمَّ إنَّ هذا التَّعميم في هذه الاستغفار وهذا الشُّمولُ؛ لتأتي التَّوبةُ متناولة لجميع ذنوب العبد، ولا ريبَ أنَّ هذا من النُّصح في التَّوبة المأمورِ به في قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [التَّحريم:٨]، وقد بيَّن ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ النُّصحَ في

(١) جلاء الأفهام (ص٢٩٩).

التَّوبةِ يتضمَّن ثلاثةَ أشياء:

الأوَّل: تعميمُ جميعَ الذُّنوب واستغراقُها بها، بحيث لا تَدَعُ ذنبًا إلَّا تناولَتْه.

والثَّاني: إجماع العزم والصِّدق بكلِّيَّته عليها، بحيث لا يبقى عنده تردُّدٌ ولا تلوُّمٌ ولا انتظارٌ، بل يجمع عليها كلَّ إرادته وعزيمتِه مبادرًا بها.

الثَّالث: تخليصُها من الشَّوائب والعلل القادحة في إخلاصِها، ووقوعُها لمحضِ الخوفِ من الله وخشيتِه والرَّغبة فيما لديه والرَّهبة ممَّا عنده، لا كمَن يتوب لحِفظ جاهه وحُرمتِه ومنصِبه ورياستِه، ولحفظ حاله، أو لحفظ قوَّته وماله، أو استدعاء حمدِ النَّاس، أو الهربِ من ذمِّهم، أو لئلَّا يتسلَّط عليه السُّفهاء، أو لقضاء نهمته من الدُّنيا، أو لإفلاسِه وعجزه، ونحوِ ذلك من العلل الَّتِي تقدح في صحَّتها وخلوصِها لله عَزَّوَجَلَّ.

فالأوَّل يتعلَّق بما يتوب منه.

والثَّالث يتعلَّق بمَن يتوب إليه.

والأوسطُ يتعلَّق بذات التَّائبِ ونفسِه.

وبهذه الأمورِ الثَّلاثة يكون العبدُ قد أتى بأكمل ما يكون من التَّوبةِ»[١]. والتَّوفيق بيد الله وحده.

قوله: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي)؛ الخطيئة: الذَّنب، أي: ما وقعت فيه من ذنب وتقصير في حقِّك.

(وَجَهْلِي)؛ أي: ما وقع منِّي من خطيئة بسبب الجهل وهو ضدُّ العلم.

(وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي)؛ الإسراف الإفراط في كلِّ شيء، ومجاوزة الحدِّ فيه، أي: تجاوزي عن حدِّي (في أمري)، أي: في أموري كلِّها.

---

(١) مدارج السَّالكين (١/ ٤٧٨).

(وَمَا أَنتَ أَعلَمُ بِهِ مِنِّي)؛ أي: تعلمه ولا أعلمه من المعاصي والسَّيِّئات والتَّقصيرات في الطَّاعة، ففيه أنَّ عند العبد ذنوبٌ لا يعلمها ولا يذكرها، يعلمها ربُّ العالمين.

قوله: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي)؛ الهزل ضدُّ الجِدِّ، وخطأ الإنسان إمَّا أن يكون عن جِدٍّ، أو يكون عن هزلٍ وهو المزاح. أي: ما وقع منِّي في الحالين.

قوله: (وَخَطَئِي وَعَمْدِي)؛ أي: ما وقعت فيه من الذُّنوب عن خطأ، أي: عن غير عمدٍ وقصد، وما وقعت فيه من الذُّنوب عن عمد، أي: عن تقصُّدٍ، أي: فاغفر لي ذلك.

(وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي)؛ أي: جميع ما ذكر من الذُّنوب والعيوب عندي، أي: موجود فِيَّ وأنا متَّصف بجميع هذه الأشياء فاغفرها لي.

وهذا الاعتراف المتنوِّع بأصناف الذُّنوب؛ الخطأِ، والعمد، والإسراف، والجهل... إلى آخره، هذا بوابة التَّوبة وحُسن الإقبال على الله؛ أن يُقرَّ العبد بشدَّة تقصيره وتنوُّع خطاياه، وتفريطه في جنب الله تبارك وتعالى.

قوله: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ)؛ أي: من الذُّنوب والأعمال السَّيِّئة أو من التَّقصير في العمل قبل هذا الوقت، (وما أخَّرت)؛ أي: وما يقع منِّي بعد ذلك على الفرض والتَّقدير، وعبَّر عنه بالماضي؛ لأنَّ المتوقَّع كالمتحقِّق.

(وَمَا أَسْرَرْتُ)؛ أي: أخفيت (وَمَا أَعْلَنْتُ)؛ أي: أظهرت.

(وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي)؛ يحتمل وجهين: أحدهما ما قد نسيته من الزَّلل، والثَّاني ما هو خطأ عندك وأنا لا أعلم أنَّه خطأ.

(أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ)؛ (أَنْتَ الْمُقَدِّمُ) الأمر بيدك، مَن شئت قدَّمته ورفعته إلى عالي الدَّرجات ورفيع الرُّتب، ومَن شئت أخَّرته، وهذا المعنى هو كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزُّمر:٣٦-٣٧]؛ وكقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر:٨]؛ ومَن هداه الله فهو المقدَّم، ومَن أضلَّه الله فهو المؤخَّر، والأمر بيده عَزَّوَجَلَّ.

وقد أُتي بهذين الاسمين هنا في هذا المقام توسُّلًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ بهما؛ ليقيل العبد من عثراته الَّتِي تُؤخِّره، وطلبًا للرِّفعة بفعل الطَّاعات والعبادات والبعد عن الذُّنوب الَّتِي يحصل بها تقدُّمه، وهذا كلُّه بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)؛ أي: فما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله. وفي هذا المعنى يقول الإمام الشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أبياتٍ له[(١)]:

مَا شِئْتَ كَانَ، وإنْ لم أشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إن لَمْ تَشأْ لَمْ يكنْ
خَلقْتَ العِبَادَ على مَا عَلِمْتَ ... فَفِي العِلْمِ يَجْرِي الفَتَى وَالْمُسِنْ
عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَذَا خَذلْتَ ... وَذَاكَ أَعَنْتَ، وَذَا لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ، وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ... وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ، وَمِنْهُمْ حَسَنْ

الحاصل: أنَّ هذه الدَّعوة العظيمة المباركة الَّتِي هي في مقام الاستغفار فيها تنبيه للمسلم أنَّ مقام الاستغفار من الذُّنوب يحتاج من العبد أن يلحظ أنواع الذُّنوب الَّتِي عنده؛ السِّر والعلن، الخطأ والعمد،

(١) شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٤/ ٧٧٦).

الإسراف.. إلى آخر ذلك، يلحظ أنواع الذُّنوب الَّتِي عنده، ويتوجَّه إلى الله عَزَّوَجَلَّ هذا التَّوجُّه العظيم المبارك، يسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يغفر له هذه الذُّنوب كلَّها.

وقد أمر الله نبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستغفار في آيٍ عديدة؛ قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمَّد:١٩]، وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [غافر:٥٥]، وقال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النَّصر:٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ العباد لا بُدَّ لهم من الاستغفار أوَّلهم وآخرهم، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصَّحيح[١]: «**يا أيُّها النَّاس توبوا إلى ربِّكم فوالَّذِي نفسي بيده إنِّي لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرَّة**»، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّه ليغان على قلبي وإنِّي لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرَّة**»[٢]. وكان يقول: «**اللَّهُمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به منِّي؛ اللَّهُمَّ اغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجِدِّي وكلَّ ذلك عندي؛ اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منِّي، أنت المُقَدِّم وأنت المُؤَخِّر**»[٣]، وقد ذكر عن آدم أبي البشر أنَّه استغفر ربَّه وتاب إليه فاجتباه ربُّه فتاب عليه وهداه، وعن إبليس أبي الجنِّ أنَّه أصرَّ متعلِّقًا بالقدر فلعنه وأقصاه؛ فمَن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه، ومَن أشبه أباه فما ظلم»[٤].

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٠٤). (٢) رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٣) رواه البخاريُّ (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٢٠).

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحقيقة الأمر: أنَّ العبد فقير إلى الله من كلِّ وجه وبكلِّ اعتبار، فهو فقيرٌ إليه من جهة ربوبيَّته له وإحسانه إليه وقيامه بمصالحه وتدبيره له، وفقير إليه من جهة إلهيَّته وكونه معبوده وإلهه ومحبوبه الأعظم الَّذِي لا صلاح له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلَّا بأن يكون أحبَّ شيء إليه، فيكونَ أحبَّ إليه من نفسه وأهله وماله ووالده وولده ومن الخلق كلِّهم، وفقير إليه من جهة معافاته له من أنواع البلاء؛ فإنَّه إن لم يعافه منها هلك ببعضها، وفقير إليه من جهة عفوه عنه ومغفرته له، فإن لم يعفُ عن العبد ويغفر له فلا سبيل إلى نجاته، فما نجى أحد إلَّا بعفو الله، ولا دخل الجنَّة إلَّا برحمة الله»(١).

---

(١) شفاء العليل (١/ ٣٨٥).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»

روى مسلم في صحيحه[(١)] عن عَلِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى: هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ: سَدَادَ السَّهْمِ**». وفي رواية: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ**».

يُعدُّ هذا الحديث ُمن أجمع الأدعية وأخصرها وأوجزها؛ ففيه سؤال الله عز وجل الهدى والسَّداد، وهما أجلُّ المطالب وأشرفها وأعظمها، بل لا يحصِّل العبد سعادة الدُّنيا والآخرة إلَّا بهما، ولهذا أرشد النَّبِيُّ ﷺ إلى هذين المطلبين الجامعين للخير كلِّه؛ فالهدى يراد به: المعرفة بالحقِّ تفصيلًا وإجمالًا، والتَّوفيق لاتِّباعه ظاهرًا وباطنًا، والسَّداد يراد به: إصابة الحقِّ وموافقة هدي النَّبِيِّ الكريم عليه الصلاة والسلام والاستقامة على ذلك.

ومن كمال نصح النَّبِيِّ ﷺ وحسن بيانه وتوجيهه جعل مع هذين المطلبين العظيمين ما يُذَكِّر بهما وبمدلولهما من الأمور الحسِّيَّة المشاهدة؛ ليتحقَّق ذكرُ اللَّفظ وعدمُ نسيانه، وفهمُ المعنى المراد واستحضارُه وعدمُ إغفاله.

قوله: (**اهدني**)؛ أي: إلى الحقِّ والخير والفلاح وثبِّتني على الهداية إلى الصِّراط المستقيم إلى الختام؛ لأنَّ طلب الهداية يشمل أمرين:

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٥).

التَّثبيتَ على ما قد حصل، والمزيدَ ممَّا لم يحصل،كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمَّد:١٧].

وقوله: (وسدِّدني)؛ أي: اجعلني على السَّداد، وهو إصابة الحقِّ ولزومه، ومنه قول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:٧٠].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمهتدي هو العالِمُ بالحقِّ المريدُ له، وهي أعظمُ نعمةٍ لله على العبد، ولهذا أمرنا سبحانه أن نسأله هداية الصِّراط المستقيم كلَّ يومٍ وليلةٍ في صلواتنا الخمس؛ فإنَّ العبدَ محتاجٌ إلى معرفة الحقِّ الَّذي يُرضي اللهَ في كلِّ حركةٍ ظاهرةٍ وباطنة، فإذا عرفها فهو محتاجٌ إلى من يُلْهِمُه قصدَ الحقِّ فيجعلُ إرادتَه في قلبه، ثمَّ إلى مَن يُقْدِرُه على فعله. ومعلومٌ أنَّ ما يجهلُه العبدُ أضعافُ أضعاف ما يعلمُه، وأنَّ كلَّ ما يعلمُه أنَّه حقٌّ لا تطاوعُه نفسُه على إرادته، ولو أراده لعجز عن كثيرٍ منه؛ فهو مضطرٌّ كلَّ وقتٍ إلى هدايةٍ تتعلَّقُ بالماضي وبالحال وبالمستقبل.

أمَّا الماضي؛ فهو محتاجٌ إلى محاسبة نفسه عليه، وهل وقع على السَّداد فيشكر الله عليه ويستديمُه، أم خرج فيه عن الحقِّ فيتوبَ إلى الله منه ويستغفره، ويعزمَ على أن لا يعود؟

وأمَّا الهدايةُ في الحال؛ فهي مطلوبةٌ منه؛ فإنَّه ابنُ وقته، فيحتاجُ أن يعلمَ حكمَ ما هو متلبِّسٌ به من الأفعال، هل هو صوابٌ أم خطأ؟

وأمَّا المستقبل؛ فحاجتُه فيه إلى الهداية أظهر، ليكونَ سيرُه على الطَّريق.

وإذا كان هذا شأن الهداية؛ عُلِمَ أنَّ العبدَ أشدُّ شيءٍ اضطرارًا إليها، وأنَّ ما يوردُه بعض النَّاس من السُّؤال الفاسد، وهو أنَّا إذا كنَّا مهتدين فأيُّ حاجةٍ بنا أن نسأل الله أن يهدينا؟! وهل هذا إلَّا تحصيلُ الحاصل؟ أفسدُ سؤالٍ وأبعدُه عن الصَّواب، وهو دليلٌ على أنَّ صاحبه لم يحصِّل

معنى الهداية، ولا أحاط علمًا بحقيقتها ومسمَّاها؛ فلذلك تكلَّفَ من تكلَّفَ الجوابَ عنه بأنَّ المعنى: ثَبِّتنا على الهداية وأدِمْها لنا.

ومَن أحاط علمًا بحقيقة الهداية وحاجة العبد إليها، عَلِمَ أنَّ الذي لم يحصُل له منها أضعافُ ما حصَل له، وأنَّه كلَّ وقتٍ محتاجٌ إلى هداية متجدِّدة، لا سيَّما والله تعالى خالقُ أفعال القلوب والجوارح، فهو كلَّ وقتٍ محتاجٌ إلى أن يخلقَ الله له هدايةً خاصَّة، ثمَّ إن لم تُصْرَف عنه الموانعُ والصَّوارفُ الَّتِي تمنعُ مُوجَبَ الهداية وتَصْرِفُها لم ينتفع بالهداية، ولم يتمَّ مقصودُها له؛ فإنَّ الحكمَ لا يكفي فيه وجودُ مقتضيه، بل لا بُدَّ مع ذلك من عدم مانعه ومُنافيه.

ومعلومٌ أنَّ وساوس العبد وخواطرَه وشهوات الغيِّ في قلبه كلٌّ منها مانعٌ من وصول أثر الهداية إليه، فإن لم يصرفها الله عنه لم يهتد هدًى تامًّا؛ فحاجتُه إلى هداية الله له مقرونةٌ بأنفاسه، وهي أعظمُ حاجةٍ للعبد»[(١)].

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا سؤالُ المؤمن من الله الهداية، فإنَّ الهدايةَ نوعان؛ هداية مجملة: وهي الهدايةُ للإسلام والإيمان وهي حاصلة للمؤمن، وهدايةٌ مفصَّلة: وهي هدايته إلى معرفة تفاصيلِ أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانتُه على فعل ذلك، وهذا يحتاج إليه كلُّ مؤمن ليلًا ونهارًا، ولهذا أمر الله عباده أنْ يقرؤوا في كُلِّ ركعةٍ من صلاتهم قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦]، وكان النَّبيُّ ﷺ يقول في دعائه باللَّيلِ: «**اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إنَّكَ تَهدي من تشاءُ إلى صراط مستقيم**»[(٢)]، ولهذا يُشمَّت العاطس فيقال له: (يرحمك الله) فيقول: (يهديكم الله) كما جاءت السُّنَّة بذلك[(٣)]،...

(١) مفتاح دار السَّعادة (١/ ٨٤). (٢) رواه مسلم (٧٧٢).
(٣) رواه البخاريُّ (٦٢٢٤).

وقد أمر النَّبيُّ ﷺ عليًّا أنْ يسأل الله السَّداد والهدى، وعلَّم الحسن أنْ يقولَ في قُنوتِ الوتر: «**اللهم اهدني فيمَن هديت**»[(١)]»[(٢)].

وقوله: (**وَاذْكُرْ بِالْهُدَى: هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ: سَدَادَ السَّهْمِ**)؛ هذا من باب ضرب المثال الَّذِي يثبِّت للعبد حسن الإقبال على الله بهذا الدُّعاء العظيم؛ لأنَّ الإنسان عندما يتذكَّر الضَّال في الطَّريق الَّذِي لا يدري أين الطَّريق ثمَّ هُدي إلى الطَّريق، أو يتذكَّر الَّذِي يرمي سهمه ولا يصيب الهدف وإنَّما يذهب سهمه طائشًا بعيدًا عن الهدف؛ فيذكر هاتين الحالتين ويتذكَّر أنَّ اهتداء الضَّال في طريقه يُعدُّ سلامةً وعافية وغنيمةً وربحًا عظيمًا ونجاةً من الهلاك، وأيضًا سداد السَّهم يعدُّ غنيمة عظيمة وتحصيلًا للمقصود، فاذكر في الهداية هداية الطَّريق وفي السَّداد سداد السَّهم.

وهداية الطَّريق: الدَّلالة، وسداد السَّهم: إصابة الهدف، والدِّين مبنيٌّ على هذين الأمرين: على مسائل ودلائل؛ دلائل يهتدي إليها العبد يبني عليها دينه وهي: قال الله قال رسوله، ومسائل يعمل بها في حياته طاعةً وتعبُّدًا لله، فيكون جامعًا بين الهدى ودين الحق، العلم النَّافع والعمل الصَّالح، فكان هذا الدُّعاء من أجمع الدُّعاء وأنفعه وأشمله للخير كلِّه.

قال الخطَّابيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**واذكر بالهدى هدايتك الطَّريق**»، معناه: أنَّ سالك الطَّريق والفلاة إنَّما يؤم سمت الطَّريق، ولا يكاد يفارق الجادَّة، ولا يعدل عنها يمنةً ويسرة خوفًا من الضَّلال، وبذلك يصيب الهداية وينال السَّلامة. يقول: إذا سألت الله الهدى فأخْطِرْ بِقَلْبِك هداية

---

(١) رواه أبو داود (١٤٢٥)، والتِّرمذيُّ (٤٦٤)، والنَّسائِيُّ (١٧٤٥)، وابن ماجه (١١٧٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٠).

الطَّريق وسل الله الهدى والاستقامة كما تتحرَّاه في هداية الطَّريق إذا سلكتها. وقوله: «**واذكر بالسَّداد تسديدك السَّهم**»، معناه: أنَّ الرَّامي إذا رمى غرضًا سدَّد بالسَّهم نحو الغرض، ولم يعدل عنه يمينًا ولا شمالًا، ليصيب الرَّميَّة فلا يطيش سهمه ولا يخْفِقْ سعيه. يقول: فأخْطِرْ المعنى بقلبك حين تسأل الله السَّداد، ليكون ما تنويه من ذلك على شاكلة ما تستعمله في الرَّمي»(١).

وقال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: تذكَّر ذلك في حال دعائك بهذين اللَّفظين؛ لأنَّ هادي الطَّريق لا يزيغ عنه، ومسدِّد السَّهم يحرص على تقويمه، ولا يستقيم رميه حتَّى يقوِّمه، وكذا الدَّاعي ينبغي أن يحرص على تسديد علمه وتقويمه ولزوم السُّنَّة، وقيل: ليتذكَّر بهذا اللَّفظ السَّداد والهدى لئلَّا ينساه»(٢).

وقد تضمَّنت هذه الدَّعوةُ مضامينَ عديدةً عظيمة:

فمن مضامين هذه الدَّعوة: شدَّة فقر العبد إلى الله وحاجته إليه جلَّ في علاه؛ فإنَّ العبد لن ينال هدايةً ولن يصيب سدادًا إلَّا إذا هداه الله جَلَّ وَعَلَا وسدَّده، وفي الحديث القدسيِّ: «**يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**»(٣)، فالهداية بيده وحده، والسَّداد بيده وحده، فما أعظم فقر العبد وحاجته إلى الله بأن يهديه وأن يسدِّده، وأن يُصلح له شأنه كلَّه.

ومن مضامين هذه الدَّعوة: كمال تعليم النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمَّته، وعظيم بيانه، وجميل نصحه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن ذلكم أنَّ من طريقته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في التَّعليم توضيح الأمور المعنويَّة بالأمور المحسوسة المشاهدة قال: «**اذكر**

---

(١) معالم السُّنن الخطَّابيِّ (٤/ ٢١٤). (٢) شرح النَّوويِّ لمسلم (١٧/ ٤٤).
(٣) رواه مسلم (٢٥٧٧).

بالهداية هدايتك الطَّريق، والسَّداد سداد السَّهم»، وعندما يُحضر الدَّاعي هذا المعنى في ذهنه ويتذكَّر حال شخص في فلاة لا يعرف أين السَّبيل ولا يهتدي إلى الوجهة الَّتي يريد؛ كم هي حاجته حينئذ إلى هادٍ خرِّيت يدلُّه طريقه ويرشده إلى وجهته، وكذلك مَن يصوِّب سهمًا نحو رَمِيَّة، كم يدقِّق ويعتني عناية دقيقة بأن يصيب سهمه الرَّمِيَّة؛ فكذلك السَّائر إلى الله ﷻ والطَّالب لرضاه سبحانه كم هو بحاجة إلى أن يُعنى هذه العناية وأن يهتمَّ هذا الاهتمام. فبهذا المثل العظيم الَّذِي ضربه النَّبِيُّ الكريم ﷺ يتبيَّن هذا المعنى ويتَّضح تمام الوضوح.

ومن مضامين هذه الدَّعوة: أنَّ أعمال العبد ليست كلُّها مقبولة، وإنَّما الَّذِي يُقبَل منها ما أصاب فيه السَّداد، ووافق فيه الهدي؛ هدي النَّبِيِّ الكريم عليه الصلاة والسلام، فما أحوج السَّائر إلى الله إلى أن يعنى بأن تكون أعماله موافقة للسُّنَّة، مطابقة لهدي النَّبِيِّ الكريم عليه الصلاة والسلام.

ومن مضامين هذه الدَّعوة: حاجة الأُمَّة إلى العلماء النَّاصحين، والأئِمَّة المصلحين، دعاة الحقِّ والهدى؛ ليبصِّروا الجاهل، وينبِّهوا الغافل، ويعلِّموا المسترشد، ويهدوا بإذن الله ﷻ إلى طريق الحقِّ والهدى، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجدة: ٢٤].

ومن مضامين هذه الدَّعوة: أهمِّيَّة التَّوسُّط والاعتدال، وأنَّ دين الله ﷻ وسطٌ بين الغلو والجفاء والإفراط والتَّفريط؛ فإنَّ السَّداد هو: إصابة الحقِّ دون غلوٍّ أو جفاء، ودون إفراط أو تفريط.

ومن مضامين هذه الدَّعوة العظيمة: خطورة الضَّلال وخطورة الانحراف، فإنَّ ضدَّ الهداية: الضَّلال، وضدَّ السَّداد: الانحراف، وهما أخطر ما يكون على العبد في هذه الحياة، فيجب على العبد أن

يتَّقي الله، وأن يحذر أشدَّ الحذر من أن يضلَّ عن سواء السَّبيل، أو أن ينحرف عن صراط الله المستقيم.

ومن مضامين هذه الدَّعوة: أنَّ الهداية والتَّوفيق بيد الله جلَّ في علاه، فلا مهتدي ولا مستقيم إلَّا مَن هداه الله جَلَّ وَعَلَا ووفَّقه وأعانه، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧].

ومن مضامين هذه الدَّعوة: أنَّ المؤمن إذا رأى أخاه خالَف طريق السَّداد عليه أن ينصحه ويعظه ويذكره، لا أن يزدريه وينتقصه ويحقره ويرى نفسه خيرًا منه، حتَّى وإن كان عمل الإنسان في الظَّاهر حسنًا؛ فقد يختم لذلك المنحرف عن الجادَّة بحسن العمل ويبلغ الأمل ورُبَّما صار خيرًا ممَّن ازدراه، والتَّوفيق بيد الله وحده يهدي مَن يشاء إلى صراطه المستقيم.

ومن مضامين هذه الدَّعوة: خطورة دعاة الضَّلال الَّذين يحرفون النَّاس عن سواء السَّبيل، وكما أنَّ الإنسان إذا أضاع طريقه الحسِّيِّ إلى بلده أو وُجهته المعيَّنة فوُفِّق في طريقه مَن يضلِّه ولا يهديه الطَّريق، كيف يكون أمره في شدَّة الانحراف!! كما لو أنَّ شخصًا يريد بلدة معينة أو وِجهة معيَّنة فلقيه رجل فسأله عن الطَّريق فدلَّه إلى غير وجهة وهداه إلى غير سبيل، كم تكون حاله في مزيد انحراف وضياع وتوَهان عن طريقه! بينما إذا وُفِّق إلى ناصح أمين وهادٍ خرِّيت؛ فإنَّه بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يسلَمُ من الضَّياع في طريقِه بإذن الله.

وكم في هذه الدَّعوة العظيمة من المعاني الجليلة وجوامع الخير؛ فعلينا أن نُعنى بها في جملة دعائنا وسؤالنا وتوَجُّهنا إلى ربِّنا، مستحضرين ما جمَعَتْه من الخير العظيم والفضل العميم.

شرح حديث: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي...»

روى مسلم في صحيحه[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**».

هذا دعاء عظيم من الدَّعوات الجامعة، ومن كوامل الدُّعاء وجوامعه، جمع فيه عليه الصلاة والسلام خير الدُّنيا والآخرة، وصلاح الدِّين والدُّنيا والآخرة، والازدياد من الخيرات، والاستكثار من الصَّالحات، وأن يكون موتُ الإنسان انتهاءً للشَّرِّ وقدومًا على الخير والسَّعادة.

قال الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «هذا الحديث من جوامع الكلم لشموله لصلاح الدِّين والدُّنيا، ووصَف إصلاح الدِّين بأنَّه عصمة أمره؛ لأنَّ صلاح الدِّين هو رأس مال العبد وغاية ما يطلبه، ووصَف إصلاح الدُّنيا بأنَّها مكان معاشه الَّذي لا بُدَّ منه في حياته، وسأله إصلاح آخرته الَّتِي هي المرجع وحولها يدندن العباد، وقد استلزمها سؤال إصلاح الدِّين؛ لأنَّه إذا أصلح الله دين الرَّجل فقد أصلح له آخرته الَّتِي هي دار معاده، وسأله أن يجعل الحياة زيادة له في كلِّ خير؛ لأنَّ مَن زاده الله خيرًا في

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٠).

حياته كانت حياته صلاحًا وفلاحًا، وسأله أن يجعل له الموت راحةً له من كلِّ شَرٍّ؛ لأنَّه إذا كان الموت دافعًا للشُّرور قاطعًا لها ففيه الخير الكثير للعبد، ولكنَّه ينبغي أن يقول: «**اللَّهُمَّ أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفَّني إذا كان الموت خيرًا لي**»[١]. كما علَّمنا رسول الله ﷺ، فإنَّه يشمل كلَّ أمر، ومعلوم أنَّ مَن لم يكن في حياته إلَّا الوقوع في الشُّرور فالموت خيرٌ له من الحياة وراحة له من محنها»[٢].

قوله: (**اللَّهُمَّ أصلح لي ديني**)؛ دعاء بإصلاح الدِّين، أي: بأن تُوَفِّقني للقيام بواجباته وآدابه ومقتضياته على الوجه الأكمل والأتمِّ، وذلك بأن يُوَفِّق الله العبد للتَّمسُّك بالكتاب والسُّنَّة وفق هدي السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين والأئِمَّة الصَّالحين في أمور الاعتقاد والعبادات والدَّعوة إلى الله ﷻ والأخلاق والآداب والسُّلوك، وبدأ بصلاح الدِّين لأنَّه الأساس الَّذِي يُبنى عليه ما بعده.

وقوله: (**الَّذِي هو عصمة أمري**)؛ أي: ما أعتصم به في جميع أموري، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وفيه أنَّ التَّمسُّك بالدِّين على المنهج الصَّحيح عصمة للعبد من مُضِلَّات الفتن ومن الوقوع في الانحرافات الاعتقاديَّة والعمليَّة، وأنَّ إضاعة الدِّين به انفراط الأمر وضياعه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقوله: (**وأصلح لي دنياي**)؛ دعاء بإصلاح الدُّنيا، أي: بإعطاء الكفاف فيما يحتاج إليه، وبأن يكون حلالًا ومعينًا على طاعة الله تعالى.

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٥١)، ومسلم (٢٦٨٠).
(٢) تحفة الذَّاكرين (ص٤٢٧).

وقوله: (**الَّتِي فيها معاشي**)؛ أي: فيها مكان عيشي وزمان حياتي، وفي هذا أنَّ للإنسان في هذه الحياة معاشًا محدودًا ورزقًا مقدَّرًا لن يموت المرء حتَّى يستتمَّه.

وقوله: (**وأصلح لي آخرتي**)؛ دعاء بإصلاح الآخرة، وإصلاحها باللُّطف من الله سبحانه والتَّوفيق منه للإخلاص في الطَّاعة وحسن الخاتمة والفوز بالنَّعيم المقيم في الجنَّة.

وقوله: (**الَّتِي فيها معادي**)؛ أي: فيها مكان رجوعي وزمن إعادتي إلى الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النَّجم: ٣١].

وقوله: (**واجعلِ الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خير**)؛ أي: اجعل طول عمري فرصة وسببًا لي في إتيان الخير من القول والعمل. وفيه: أنَّ طول عمر العبد المسلم مدعاةٌ للزِّيادة من أعمال البرِّ والخير.

وقوله: (**واجعل الموت راحةً لي من كلِّ شَرٍّ**)؛ أي: واجعل موتي وخروجي من هذه الحياة الدُّنيا راحة لي من الفتن والمحن والابتلاء بالمعصية والغفلة. وفيه أنَّ الدُّنيا للصَّالحين دار نصَب وتعب، وأنَّ الرَّاحة لا تكون إلَّا بالموت على الصَّلاح والدِّين، وأنَّ المؤمن يستريح غاية الرَّاحة ويسْلم كامل السَّلامة بلقاء ربِّه عَزَّوَجَلَّ، حين يظفر بثوابه العظيم ونعيمه المقيم، وقد سُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: متى يجد العبد طعم الرَّاحة؟ قال: «عند أوَّل قدم يضعها في الجنَّة»(١). نسأل الله الكريم من فضله.

وقد اشتمل هذا الحديث العظيم والدَّعوة الجامعة على فوائد

---

(١) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٢٩٣).

عظيمة جليلة القدر، ممَّا يؤكِّد أنَّ هذه الدَّعوة المباركة ينبغي على كلِّ مسلم أن يحفظها وأن يُحافظ عليها.

فمن فوائد هذه الدَّعوة: أنَّ العبد مُفتقرٌ إلى الله ﷻ في كلِّ شئونه، مفتقرٌ إليه عَزَّوَجَلَّ في صلاح دينه، وصلاح دنياه، وصلاح أُخراه. ومحتاجٌ إلى الله ﷻ من كلِّ وجه، ولا يمكن أن يصلح له دينٌ أو دنيا أو آخرة إلَّا إذا أصلحه الله له، فهو فقيرٌ إلى الله غاية الفقر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

وهذه الدَّعوة تهدي العبد إلى شدَّة افتقاره إلى الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أموره الدِّينيَّة والدُّنيويَّة والأخرويَّة، فلا يصلح منها شيء إلَّا إذا أصلحه الله.

ومن فوائد هذه الدَّعوة المُباركة: أنَّ الدِّين مُقدَّمٌ على غيره، والاهتمام به مُقدَّم على الاهتمام بأيِّ أمرٍ آخر، ولهذا قدَّمه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبدأ به، قال: «**اَللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي**»؛ فهذا فيه فائدة أنَّ العبد يهتمُّ بصلاح دينه اهتمامًا مقدَّمًا على صلاح دُنياه، وتكون عنايته بصلاح الدِّين ألزم عليه، بينما واقع كثير من النَّاس في هذا الباب اهتمامه في حياته بإصلاح دنياه، ودينه له الفضلة من الوقت والزَّائد منه، أمَّا جُلُّ وقته فمنصرفٌ إلى إصلاح دنياه، فإن بقي في وقته فضلٌ شغله بإصلاح دينه. ثمَّ أيضًا تجده في إصلاح دنياه يعتني بالأمر من كلِّ جانب ومن كلِّ حيثيَّة، فإذا أراد مثلًا أن يبني بيتًا تجده لا يستعجل، بل يتروَّى ويسأل أهل الخبرة والصَّنعة ويكثر من التَّحرِّي والسُّؤال حتَّى يطمئنَّ لسلامة العمل ودقَّته، بينما إذا أراد أن يؤدِّي شيئًا من أمور الدِّين ومبانيه العظيمة أدَّاه كيفما اتَّفق،، فإذا أراد مثلًا أن يقوم بشيءٍ من مباني الإسلام كأن يحجَّ أو أن يصوم يأتي بها كيفما اتَّفق بدون تحرٍ أو سؤال؛ فهذا من ضعف الاهتمام بالدِّين وقُوَّة الاهتمام بأمر الدُّنيا. فالحديث يرشدنا إلى أنَّ

الاهتمام بالدِّين مُقدَّم، ولهذا بدأ به النَّبِيُّ ﷺ.

ومن فوائد هذا الحديث العظيم: أنَّ صلاح الدِّين عصمة الأمر، ولهذا قال: «**اَللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي اَلَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي**»؛ فعصمة الأمر، أي: سداده وسلامته والوقاية من الشُّرور والآفات، كلُّ ذلك لا يستقيم إلَّا بصلاح الدِّين، فبصلاح الدِّين عصمة الأمر، وبضياع الدِّين انفراط الأمر، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]؛ فبدون الدِّين ينفرط الأمر، وبالدِّين يكون للإنسان العصمة في أمره؛ فعصمة أمر الإنسان وهو قراره، وطمأنينته، وسكونه، واجتماع شمله، وسكون قلبه، إلى غير ذلك، كلُّ ذلك إنَّما يكون بصلاح الدِّين.

ومن فوائد الحديث: أنَّ الإنسان لا ضير عليه أن يهتمَّ بدنياه، وأن يكون عنده اهتمامٌ بدنياه وإصلاحها، لا ضير في ذلك، ولهذا قال: «**وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ اَلَّتِي فِيهَا مَعَاشِي**»؛ فلا ضير على العبد أن يهتمَّ بإصلاح دُنياه، لكن المصيبة عندما يكون إصلاح الدُّنيا مقدَّمًا على إصلاح الدِّين، والاهتمام بالدُّنيا أكبر من الاهتمام بالدِّين، وتأمَّل هذا المعنى في الدَّعوة الأخرى الَّتِي كان يدعو بها ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعلِ الدُّنْيَا أكبَرَ همِّي**»؛ فقوله «**أَكْبَرَ هَمِّي**» فيه دليلٌ على جواز الاهتمام بالدُّنيا، وإنَّما الإشكال يأتي إذا كانت الدُّنيا أكبر همِّ المرء، بحيث تطغى الدُّنيا على الدِّين.

وتأمَّل قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ

يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التَّوبة: ٢٤]؛ فالإشكال هنا إذا كانت ﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾، أمَّا كون المرء يحبُّ ماله وتجارته وعشيرته ونحو ذلك من المحابِّ فلا شيء في ذلك، لكن إذا كانت هذه المحبَّة لها مقدَّمة عنده على محبَّة الله والدِّين، أو كان الاهتمام بها مقدَّمًا على الاهتمام بالدِّين؛ فهذا موطن الإشكال؛ فلك أن تهتمَّ بدُنياك، وأن تسعى في إصلاحها، وتسعى في إطابتها بالوسائل المشروعة، كلُّ ذلك لا بأس به، ولا ضير عليك فيه، ما لم يبلغ الأمر أن تكون الدُّنيا هي المقدَّمة أو أن يكون الاهتمام بها هو المقدَّم.

ومن فوائد هذا الحديث في قوله: «فِيهَا مَعَاشِي»: أنَّ للمرء في هذه الدُّنيا معاشًا محدودًا وأمدًا معدودًا، له معاش لن يخرج من هذه الدُّنيا إلَّا إذا استتمَّه، فلا تموت نفس حتَّى تستتمَّ رزقها؛ فلو بقي للمرء من الحياة شربة ماء لن يموت حتَّى يشربها، وقد جاء في حديث ابن مسعود المعروف بحديث الصَّادق المصدوق قال فيه ﷺ: «**ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»(١)، فالإنسان له في هذه الحياة معاشٌ مكتوب، ولن يموت حتَّى يستوفي ما كُتب له من الرِّزق. والقصص في مثل هذا عجب يراها النَّاس، تجد إنسانًا ينجو من الموت بتوفيق الله سبحانه وتعالى نجاةً ما يظُنُّها النَّاس أن تكون؛ لأنَّه لا يزال له عيش قد كتبه الله تبارك وتعالى له، وآخر على فراشه ليس به علَّة وليس به مرض لكنَّه استوفى معاشه ورزقه فيموت على فراشه، صغيرًا ليس به كبر، صحيحًا ليس به مرض.

ومن فوائد الحديث: أنَّ خير النَّاس من طال عمره وحسن عمله

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٣).

وكان له في زيادة الأيَّام كثرة الحسنات وزيادة الأجور، وخطورة الأمر إذا كان الإنسان على الضِّدِّ من ذلك.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَن لم يورثه التَّعميرُ وطولُ البقاء اصلاحَ معائبه وتـدارك فارطه واغتنام بقيَّة أنفاسه؛ فيعمل على حياة قلبه وحصول النَّعيم المقيم، وإلَّا فلا خير له في حياته. فإنَّ العبد على جناح سفر إمَّا الى الجنَّة وإمَّا الى النَّار، فإذا طال عمره وحسن عمله كان طول سفره زيادةً له في حصول النَّعيم واللَّذَّة؛ فإنَّه كلَّما طال السَّفر إليها كانت الصَّبابة أجلَّ وأفضل، واذا طال عمره وساء عمله كان طول سفره زيادةً في ألمه وعذابه ونزولًا له إلى أسفل، فالمسافر إمَّا صاعد وإمَّا نازل، وفي الحديث المرفوع: «**خَيرُكُم مَن طَالَ عُمُره وَحَسُن عَمَلُه، وَشَرُّكُم مَنْ طَالَ عُمُره وَقَبُحَ عَمَلُه**». رواه التِّرمذيُّ في السُّنن[1]»[2].

الحاصل أنَّ هذا الدُّعاء مشتمل على خيراتٍ عظيمة ومغانم جليلة، فلا ينبغي أن يفوِّتها المسلم، وعليه أن يكثر من الدُّعاء به. قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا دعاء عظيم جمع خيري الدَّارين الدُّنيا والدِّين، فحقٌّ على كلِّ سامع له أن يحفظه ويدعو به آناء اللَّيل وأطراف النَّهار، ولعلَّ الإنسان يوافق ساعة إجابة يحصل على خيري الدَّارين»[3].

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٢٣٢٩)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٢) الفوائد لابن القيِّم (ص٢٧٥).
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٤٩).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»

روى الإمام مسلم في كتابه الصَّحيح(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

هذا الدُّعاء دعاءٌ عظيم، بل هو من أكثر أدعية النَّبِيِّ الكريم عليه الصلاة والسلام. فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَعَوَاتٌ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تُكْثِرُ تَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ!! فَقَالَ: «إِنَّ قَلْبَ الآدَمِيِّ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عز وجل، فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ، وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ». رواه أحمد(٢).

وعن شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرَ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آدَمِيٍّ، إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عز وجل مَا شَاءَ

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).
(٢) رواه أحمد (٢٤٦٠٤)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصَّحيحة (٢٠٩١).

أَقَامَ، وَمَا شَاءَ أَزَاغَ». رواه أحمد[(١)].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ». رواه التِّرمذيُّ[(٢)].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، تَخَافُ عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ؟ فَقَالَ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يَقُولُ بِهِ هَكَذَا». رواه الحاكم[(٣)].

وقد بيَّن النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام الموجب لاهتمامه بهذا الدُّعاء والعنايةِ به، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»[(٤)].

قال الشَّوكانِيُّ رحمه الله: «سأل رسول الله ﷺ ربَّه سبحانه بعد بيانه أن قلوب العباد بين يدي الله سبحانه بمنزلة قلب واحد يصرِّفه كيف يشاء أن يصرِف قلبه إلى طاعته؛ لأنَّ مَن جعل الله سبحانه قلبه مصروفًا إلى طاعته لم يكن له اهتمام بغير طاعة الله والعملِ بما يقرِّب منه تعالى؛ إذ لا رغبة لقلبه إلى غير طاعته ولا التفات إلى شيء من المعصية، ومثل هذا ما ورد من دعائه ﷺ: «يا مقلِّب القُلُوب ثَبِّت قَلْبِي عَلَى دِينِك».

والحاصل: أنَّ تثبيت قلب العبد على الدِّين وانصرافه إلى الحقِّ

---

(١) رواه أحمد (٢٦٦٧٩)، وصحَّحه الألبانِيُّ في السِّلسلة الصَّحيحة (٢٠٩١).

(٢) رواه التِّرمذيُّ (٢١٤٠)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٣١٤٠).

(٤) رواه مسلم (٢٦٥٤).

من أعظم أسباب النَّجاة والفلاح والعصمة عن كثير من الذُّنوب الَّتِي يقارفها كثير من العباد»[(١)]. اهـ.

وهذا فيه أنَّ قلوب العباد بيد الله سبحانه هو الَّذِي يتصرَّف فيها ويقلِّبها كيف يشاء؛ يهدي مَن يشاء، ويُضِلُّ مَن يشاء، يثبِّت على الحَقِّ مَن يشاء، ويُزِيغ مَن يشاء، يَمُنُّ على مَن يشاء بالهداية، ويوجب على مَن يشاء الخذلان، فالأمر أمره والخلق خلقه، وجميعهم طوع تدبيره سبحانه؛ ولهذا وجب على العبد أن يُكثر من دعاء ربِّه سبحانه أن يثبِّت قلبه وألَّا يُزِيغه، وأن يصرف قلبه على طاعته كما كان رسول الله ﷺ يُكثر من ذلك.

وإذا كان النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو سيِّد ولد آدم مفتقرًا إلى أن يلجأ إلى الله ليُثَبِّت قلبه ويكثر من هذا الدُّعاء، فكيف بمَن دونه؟!! وكلُّ العباد دونه، فما أحوج كلِّ مسلم إلى أن يكثر من هذا الدُّعاء وأن يلحَّ على الله دائمًا أن يثبِّت قلبه على الحَقِّ والهدى وأن يجنِّبه الزَّيغ والرَّدى.

قال البغويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه بيان أنَّ العبد ليس إليه شيء من أمر سعادته أو شقاوته، بل إن اهتدى فبهداية الله إيَّاه، وإن ثبت على الإيمان فبتثبيته، وإن ضلَّ فبصرفه عن الهدى، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات:١٧]، وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إخبارًا عن حمد أهل الجنَّة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»[(٢)].

فتبيَّن بهذا أنَّ الله تعالى هو الَّذِي يتولَّى قلوب عباده فيتصرَّف فيها

(١) تحفة الذَّاكرين (ص٤٧٧).
(٢) شرح السُّنَّة للبغويِّ (١/ ١٦٧).

بما شاء، لا يمتنع عليه شيء منها، ولا تفوته إرادة، ولا يكلها إلى أحد من خلقه، فعلى العبد أن يلجأ إلى الله تعالى ويكثر من هذا الدُّعاء كما كان رسول الله ﷺ يكثر منه، وفي هذا إعلامٌ للأُمَّة بأنَّ نفسَه الزَّكيَّة إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله سبحانه لتثبيت قلبه فكيف الأمر بمَن هو دونه!! فما أحوج المسلم إلى تثبيت الله له على دينه القويم الَّذِي هو سبب النَّجاة والفلاح والوقاية من الذُّنوب وغوائلها، والله تعالى يقول: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾. والعبد مع هذا محتاج إلى بذل المساعي النَّافعة وسلوك المسالك الصَّالحة لينال رضى الله وهدايته وتوفيقه وتثبيته، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمَّد: ١٧].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ العبد إذا علم أنَّ الله ﷻ هو مُقَلِّب القلوب وأنَّه يحول بين المرءِ وقلبه، وأنَّه تعالى كلَّ يوم هو في شأْن، يفعل ما يشاءُ ويحكم ما يريد، وأنَّه يهدى مَن يشاءُ ويُضِلُّ مَن يشاءُ، ويرفع مَن يشاءُ ويخفض مَن يشاءُ، فما يؤمِّنه أن يقلِّب الله قلبه ويحول بينه وبينه ويُزِيغه بعد إقامته؟ وقد أثنى الله على عباده المؤمنين بقولهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران:٨]، فلولا خوف الإزاغة لما سألوه أن لا يزيغ قلوبهم. وكان من دعاء النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّف القُلُوبِ صَرِّف قُلُوبَنا عَلَى طَاعَتِك**»[(١)]، و«**مُثَبِّت القُلُوبِ، ثبِّت قُلُوبَنا عَلَى دِينِك**»[(٢)]، وفي التِّرمذيِّ[(٣)] عنه ﷺ أنَّه كان يدعو: «**أَعُوذ بِعِزَّتك**

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٢) رواه ابن ماجه (١٩٩)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٣) لم أجده في التِّرمذيِّ وهو جزء من حديث عند البخاريِّ (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).

أَنْ تُضِلَّني أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِى لَا يَمُوت»[١].

ومن فوائد هذا الدُّعاء العظيمة: معرفة أهمِّيَّة القلب وخطره؛ فإنَّ القلب هو الَّذِي جعله الخلَّاق العليم قائمًا بأمر البدن كقيام الملك بالرَّعيَّة، وهو أوَّل عضو يتحرَّك في البدن وآخر عضو يسكن منه، وهو مبدأ جميع الخلق، وما يلحقه من صلاح أو فساد يسري إلى غيره من الأعضاء كما قال ﷺ: «**وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**». متَّفق عليه[٢].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأشرف ما في الإنسان قلبه؛ فهو العالم بالله، السَّاعي إليه، المحبُّ له، وهو محلُّ الإيمان والعرفان، وهو المخاطب المبعوث إليه الرُّسل، المخصوص بأشرف العطايا من الإيمان والعقل، وإنَّما الجوارح أتباعٌ للقلب يستخدمها استخدام الملوك للعبيد والرَّاعي للرَّعيَّة، والَّذِي يسري إلى الجوارح من الطَّاعات والمعاصي إنَّما هي آثاره؛ فإنْ أظلم أظلمت الجوارح، وإن استنار استنارت، ومع هذا فهو بين إصبعين من أصابع الرَّحمن عَزَّ وَجَلَّ.

فسبحان مُقَلِّب القلوب ومودعها ما يشاء من أسرار الغيوب، الَّذِي يحول بين المرء وقلبه ويعلم ما ينطوي عليه من طاعته ودينه، مُصَرِّف القلوب كيف أراد وحيث أراد؛ أوحى إلى قلوب الأولياء أن أقبلي إليَّ فبادرت وقامت بين يدي ربِّ العالمين، وكره عَزَّ وَجَلَّ انبعاث آخرين فثبَّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، كانت أكثر يمين رسول الله ﷺ: «**لا وَمُقَلِّب القُلُوبِ**»[٣]، وكان من دعائه: «**اللَّهُمَّ يا مُقَلِّب القُلُوب ثبِّت**

---

(١) طريق الهجرتين (ص٢٨٨).
(٢) رواه البخاريُّ (٥٢)، مسلم (١٥٩٩).
(٣) رواه البخاريُّ (٦٦١٧).

قُلُوبَنا عَلَى طَاعَتِك»[١]، قال بعض السَّلف: القلب أشدُّ تقلُّبًا من القِدْر إذا استجمعت غليانها. وقال آخر: القلب أشدُّ تقلُّبًا من الرِّيشة بأرضٍ فلاة في يوم ريحٍ عاصف»[٢].

ومن فوائد هذا الدُّعاء: شدَّة فقر القلوب إلى الله في جلب الصَّلاح والهداية إليها وفي سلامتها من الزَّيغ والضَّلال. قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهنا يتحقَّق الفقر والفاقة والضَّرورة التَّامَّة إلى مالك الإرادات وربِّ القلوب ومصرِّفها كيف شاءَ، فما شاءَ أَن يزيغه منها أزاغه، وما شاءَ أَن يقيمه منها أقامه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

فهذا هو الفقر الصَّحيح المطابق للعقل والفطرة والشَّرع، ومَن خرج عنه وانحرف إلى أَحد الطرفين زاغ قلبه عن الهدى، وعطَّل مالك الملك الحَقّ وانفراده بالتَّصريف والرُّبوبيَّة عن أَوامره وشرعه وثوابه وعقابه.

وحُكم هذا الفقير المضطرِّ إلى خالقه في كلِّ طرفة عين وكلِّ نَفَس أَنَّه إن حُرِّك بطاعة أَو نعمة شكرها، وقال: «هذا من فضل الله ومنَّه وجوده فله الحمد»، وإِن حرّك بمبادىء معصيته صرخ ولجأَ واستغاث وقال: «أَعوذ بك منك، يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك، يا مصرِّف القلوب صرِّف قلبي على طاعتك». فإن تمَّ تحريكه بالمعصية التجأَ التجاءَ أَسيرٍ قد أسره عدُوُّه وهو يعلم أَنَّه لا خلاص له من أَسره إلَّا بأَن يفتكَّه سيِّده من الأَسر، ففكاكه في يد سيِّده، ليس في يده منه شيء البتة، ولا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا،

---

(١) رواه البخاريُّ في الأدب المفرد (٦٨٣)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٢) التِّبيان في أقسام القرآن (ص٤١٣).

فهو في أَسْر العَدُوِّ ناظرٌ إِلى سيِّده، وهو قادر على تخليصه، قد اشتدَّت ضرورته إِليه، وصار اعتماده كلُّه عليه... فهو سبحانه الَّذِي ينجي من قضائه بقضائه، وهو الَّذِي يعيذ من نفسه بنفسه، وهو الَّذِي يدفع ما منه بما منه، فالأَمر كلُّه له، والحكم كلُّه له، والخلق كلُّه له. وما شاءَ كان وما لم يشأْ لم يكن، وما شاءَ لم يستطع أَن يصرِفه إِلَّا مشيئته، وما لم يشأْ لم يمكن أَن يجلبه إِلَّا مشيئته. فلا يأتي بالحسنات إِلَّا هو، ولا يذهب بالسَّيِّئات إِلَّا هو، ولا يهدى لأَحسن الأَعمال والأَخلاق إِلَّا هو، ولا يصرف سيِّئها إِلَّا هو»[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففي هذا المشهد يشهد توفيق الله وخذلانه كما يشهد ربوبيَّته وخلقه، فيسأله توفيقه مسألة المضطرِّ، ويعوذ به من خذلانه عياذ الملهوف، ويلقي نفسه بين يديه طريحًا ببابه مستسلمًا له ناكس الرَّأس بين يديه، خاضعًا ذليلًا مستكينًا لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ونشورًا. والتَّوفيق إرادة الله من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد، بأن يجعله قادرًا على فعل ما يرضيه، مريدًا له محبًّا له مؤثرًا له على غيره، ويبغِّض إليه ما يسخطه ويكرهه إليه، وهذا مجرَّد فعله والعبد محلٌّ له، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحجرات:٧-٨]، فهو سبحانه عليمٌ بمَن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصحُّ له، حكيمٌ يضعه في مواضعه وعند أهله لا يمنعه أهلَه ولا يضعه عند غير أهله»[٢].

ولما سئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمَّن أصابه سهمٌ من سهام إبليس المسمومة كيف يصنع؟ قال: «مَن أصابه جرح مسموم فعليه بما يخرج

---

(١) طريق الهجرتين (ص٢٩). (٢) مدارج السَّالكين (٢/ ٢٦).

السّمَّ ويبرئ الجرح بالتِّرياق والمرهم وذلك بأمور؛ منها: أن يداوم على الصَّلوات الخمس والدُّعاء والتَّضرُّع وقت السَّحر، وتكون صلاته بحضور قلب وخشوع، وليكثر من الدُّعاء بقوله: «يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك، يا مُصَرِّف القلوب صرِّف قلبي إلى طاعتك وطاعة رسولك»، فإنَّه متى أدمن الدُّعاء والتَّضرُّع لله صرف قلبه عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]»[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٥).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ...»

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحيهما[(١)] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ نَبِيُّ الله ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ».

هذا الدُّعاء العظيم المبارك يتعلَّق كلُّه بالاستعاذة، والاستعاذة: هي طلب العوذ، وهو لجوءٌ من شيء يخافه الإنسان ويحذر منه إلى مَن يخلِّصه منه. فالاستعاذة اعتصامٌ والتجاء واستنصار وفرارٌ إلى الله سبحانه بأن يخلِّص العبد ممَّا يخشاه ويخاف منه، إمَّا شيء واقع موجود فيطلب من الله بتعوِّذه أن يرفعه ويُبعده، أو شيء مفقود يخشى أن يقع أو يحصل؛ فيتعوَّذ بالله من وقوع ذلك الشَّيء.

فالتَّعوُّذ في الجملة يرجع الى هذين الأمرين: إمَّا تعوُّذ من شيء موجود، أو شيء مفقود. وهي فرار إلى الله والتجاء إليه وعبادة لا تصرف لغيره، ومَن صرف تعوُّذه إلى غير الله عز وجل صرفه إلى ذلٍّ وهوان، ولم يزده مَن صرف تعوُّذه اليه إلَّا رهقًا وذُلَّا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجنُّ:٦]، فلا يحصِّل منفعةً بل يهدم بذلك دينه.

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦).

والتَّعوُّذ هو من الدُّعاء، لذا ترى في الأحاديث: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ**»، لكنَّه دعاء مخصوص بطلب الخلاص من مخوف ومرهوب وشيء يخشى منه الإنسان، فيطلب من الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيذه منه. ولهذا يُسَمَّى المستعاذ به: «مَعاذًا» كما يُسَمَّى «مَلجأ» و«وزرًا»، والمستعاذ به هو الله وحده ربُّ الفلق وربُّ النَّاس ملك النَّاس إله النَّاس؛ الَّذِي لا ينبغي الإستعاذة إلَّا به، ولا يستعاذ بأحد من خلقه، بل هو الَّذِي يعيذ المستعيذين ويعصمهم ويمنعهم من شرِّ ما استعاذوا من شَرِّه، ولا ملجأ ولا نجاة إلَّا بالفرار إلى الله ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذَّاريات: ٥٠].

لهذا يجب على المسلم أن يحقِّق هذه العبوديَّة العظيمة عبوديَّة التَّعوُّذ، ففي كلِّ شيء يخافه ويخشاه لا يلجأ إلَّا إلى الله ولا يفرُّ إلَّا إليه، طالبًا نجاته وخلاصه ممَّا يخشاه ويخافه منه وحده.

وقد جاءت السُّنَّة النَّبويَّة بأنواع كثيرة ممَّا يستعاذ منه بتفصيل في بعض المواطن وإجمال في بعضها، وقد عقد الإمام النَّسائِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه السُّنن كتابًا عظيمًا اسماه: «الاستعاذة»(١)، وساق فيه أحاديثَ كثيرة كلُّها في هذا الباب، وهو من أحسن ما جمع في هذا الباب، وأيضًا للإمام ابنِ مُفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالةٌ نافعة في هذا سمَّاها: «الاستعاذة» وهي مطبوعة.

هذا وقد اشتمل هذا الدُّعاء على الاستعاذة من سبعة أمور:

أحدها: قوله: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ**)؛ وهو تعوُّذ من العجز، وهو ضدُّ القدرة، وأصله التَّأخُّر عن الشَّيء، مأخوذٌ من العَجُزِ، وهو مؤخَّر الشَّيء، وللزومه الضَّعف عن الإتيان بالشَّيء استُعمل في مقابل القدرة، فقيل: هو ذهاب القدرة. وشُرعت الاستعاذة من العجز

(١) سنن النَّسائِيِّ كتاب الاستعاذة (٨/ ٢٥٠).

لئلَّا يعجز العبد عن القيام بمهمَّات العبادات النَّاشئ عن ارتكاب الذُّنوب؛ لأنَّها توجب لمرتكبها توالي العوائق وتسابق الموانع إليه.

والثَّاني: قوله: (**وَالْكَسَلِ**)؛ وهو معطوف على العجز، أي: وأعوذ بك من الكسل، وهو فترة النَّفس والتَّثاقل عن صالح الأعمال مع القدرة عليها إيثارًا لراحة البدن على التَّعب، ويكون ذلك لعدم انبعاث النَّفس للخير وضعف الرَّغبة فيه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعجز والكسل قرينان، فإنَّ تخلُّفَ مصلحةِ العبد وكمالِهِ ولذَّتِهِ وسروره عنه إمَّا أن يكون مصدره عدم القدرة؛ فهو العجز، أو يكون قادرًا لكن تخلَّف لعدم إرادته؛ فهو الكسل، وصاحبه يلام عليه ما لا يلام على العجز، وقد يكون العجز ثمرة الكسل، فيلام عليه أيضًا، فكثيرًا ما يكسل المرء عن الشَّيء الَّذِي هو قادرٌ عليه وتضعف عنه إرادته فيفضي به إلى العجز عنه»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإنسان مندوب إلى استعاذته بالله تعالى من العجز والكسل؛ فالعجز عدم القدرة على الحيلة النَّافعة، والكسل عدم الإرادة لفعلها، فالعاجز لا يستطيع الحيلة، والكسلان لا يريدها، ومَن لم يحتل وقد أمكنته هذه الحيلة أضاع فرصته وفرَّط في مصالحه، كما قيل:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جِدُّهُ ... أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ وَهْوَ مُدْبِرُ

وفي هذا قال: بعض السَّلف الأمر أمران: أمرٌ فيه حيلة فلا يَعْجز عنه، وأمرٌ لا حيلة فيه فلا يجزع منه»[(٢)].

وإنَّما استعاذ النَّبِيُّ ﷺ من العجز والكسل؛ لأنَّهما يمنعان العبد من أداء الحقوق الواجبة عليه، ومن تحصيل مصالحه النَّافعة له،

(١) مفتاح دار السَّعادة (١/ ١١٣). (٢) إعلام الموقعين (٣/ ٢٦١).

ولو نظر النَّاظر في أحوال النَّاس لوجد أنَّ الفتور في النَّاس عن العبادة والطَّاعة سببه العجز والكسل، لهذا ما أحوج العبد إلى أن يتعوَّذ كثيرًا بالله منهما لأنَّهما يعيقانه عن الطَّاعة والعبادة وعن الخيرات.

هذا؛ وقد يخلط بعض النَّاس بين التَّوكُّل والعجز فيكون توكُّله عجزًا، وفرقٌ شاسع بينهما، وفي هذا يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والفرق بين التَّوكُّل والعجز: أنَّ التَّوكُّل عمل القلب وعبوديَّته اعتمادًا على الله وثقةً به والتجاء إليه وتفويضًا إليه ورضًا بما يقضيه له، لعلمه بكفايته سبحانه وحُسن اختياره لعبده إذا فوَّض إليه مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها، فقد كان رسول الله أعظم المتوكِّلين وكان يلبس لأَمَته ودرعه، بل ظاهر يوم أحد بين درعين واختفى في الغار ثلاثًا، فكان متوكِّلًا في السَّبب لا على السَّبب. وأمَّا العجز فهو تعطيل الأمرين أو أحدهما؛ فإمَّا أن يُعَطِّل السَّبب عجزًا منه ويزعم أنَّ ذلك توكُّل، ولعمر الله إنَّه لعجز وتفريط، وإمَّا أن يقوم بالسَّبب ناظرًا إليه معتمدًا عليه غافلًا عن المُسَبِّب معرضًا عنه، وإن خطر بباله لم يثبت معه ذلك الخاطر ولم يعلق قلبه به تعلُّقًا تامًّا بحيث يكون قلبه مع الله وبدنه مع السَّبب، فهذا توكُّله عجزٌ وعجزه توكُّل»(١).

والثَّالث: قوله: (**وَالْجُبْنِ**)؛ أي: وأعوذ بك من الجبن، وهو ضدُّ الشَّجاعة، أي: المهابة للأشياء والتَّأخُّر عن فعلها، وهو ناتج عن ضعف القلب وخشية النَّفس، وهو من الخلال المذمومة الَّتي لا تصلح أن تكون في المؤمن، ويُقرن معه في بعض النُّصوص التَّعوُّذ من البخل؛ وهو منع الواجب، أو منع السَّائل عمَّا يفضل عنده، أو أن لا يعطى شيئًا، وهو من الصِّفات المذمومة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ

---

(١) كتاب الرُّوح لابن القيِّم (ص٢٥٤).

ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجبن والبخل قرينان، فإنَّ الإحسان يُفرح القلب ويشرح الصَّدر ويجلب النِّعم ويدفع النِّقم، وترْكه يوجب الضَّيم والضِّيق، ويمنع وصول النِّعم إليه، فالجبن: ترك الإحسان بالبدن، والبخل: ترك الإحسان بالمال»(١). وقال أيضًا: «فإنَّ الإحسان المتوقَّع من العبد إمَّا بماله، وإمَّا ببدنه، فالبخيل مانعٌ لنفع ماله، والجبان مانعٌ لنفع بدنه»(٢).

والرَّابع: قوله: (**وَالْهَرَمِ**)؛ أي: وأعوذ بك من الهرم، وهو البلوغ في العمر إلى سنٍّ تضعف فيه الحواسُّ والقوى، ويضطرب فيه الفهم والعقل، وهو أرذل العمر الَّذِي جاء التَّعوُّذ منه في قوله: «**وأَعُوذ بِكَ مَنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُر**»(٣). قال الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا مُجَرَّد طول العمر مع سلامة الحواسِّ وصحَّة الإدراك فذلك ممَّا ينبغي الدُّعاء به؛ لأنَّ بقاء المؤمن مُمَتَّعًا بحواسِّه قائمًا بما يجب عليه متجنِّبًا لما لا يحلُّ فيه حصول الثَّواب وزيادة الخير»(٤). وفي الحديث: «**خيرُ النَّاسِ مَن طَالَ عُمُره وحَسُن عَمَلُه، وشَرُّ النَّاس مَن طَال عُمُره وَسَاء عَمَلُه**». رواه أحمد(٥). وأعظم ما يعين على سلامة الحواسِّ وصحَّة الإدراك حال الكبر المحافظة على الطَّاعة والمواظبة على العبادة، وفي الحديث: «**احفظ الله يحفظك**»(٦). وكذلك ذكر الله وتلاوة كتابه، قال

(١) مفتاح دار السَّعادة (١/ ١١٤).
(٢) مفتاح دار السَّعادة (١/ ١١٣).
(٣) رواه البخاريُّ (٦٣٧٤).
(٤) تحفة الذَّاكرين (ص٤١٧).
(٥) رواه أحمد (٢٠٤١٥)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح الجامع (٣٢٩٧).
(٦) رواه التِّرمذيُّ (٢٥١٦)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

عبد الملك بن عمير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أبقى النَّاس عقولًا قَرَأَةُ القرآن»[١]. وقال الشَّعبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن قرأ القرآن لم يَخْرف»[٢].

والخامس: قوله: (**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**) وعذاب القبر حقٌّ، قد قال ﷺ: «**أَيُّها النَّاس، استَعِيذُوا باللهِ مِن عَذَابِ القَبْرِ؛ فإنَّ عَذَاب القَبْر حَقٌّ**»[٣].

والنَّاس يُعَذَّبون في قبوهم إلَّا أهل الإيمان والطَّاعة، والعذاب في القبر يكون على الكفر وهو عذابٌ دائم مستمر: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾، أي: في قبورهم، لقوله بعدها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦]، وعذاب العصاة وهو نوع آخر فهو بقدر ذنوبهم، كما في الحديث عن عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِير، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»»[٤].

والسَّادس والسَّابع: قوله: (**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**)؛ وهو تعوُّذٌ من فتنة الحياة وفتنة الموت. قال ابن دقيق العيد: «وفتنة المحيا: ما يتعرَّض له الإنسان مُدَّة حياته من الافتتان بالدُّنيا والشَّهوات والجهالات، وأشدُّها وأعظمها -والعياذ بالله- أمر الخاتمة عند الموت.

وفتنة الممات يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إلى

---

(١) رواه ابن أبي الدُّنيا في العمر والشَّيب (٨٠).
(٢) رواه ابن أبي الدُّنيا في العمر والشَّيب (٧٩).
(٣) رواه أحمد (٢٤٥٢٠)، ابن أبي خيثمة في التَّاريخ الكبير (٣٠٨٨).
(٤) رواه البخاريُّ (٢١٨).

الموت لقربها منه، وتكون فتنة المحيا -على هذا- ما يقع قبل ذلك في مُدَّة حياة الإنسان وتصرُّفه في الدُّنيا، فإن ما قارب شيئًا يعطى حكمه، فحالة الموت تشبه بالموت ولا تعدُّ من الدُّنيا، ويجوز أن يكون المراد بفتنة الممات فتنة القبر، ولا يكون على هذا متكرِّرًا مع قوله: «**وَأَعُوذ بِكَ مِن عَذَابِ القَبْر**»؛ لأنَّ العذاب مرتَّب على الفتنة، والسَّبب غير المسبَّب، ولا يقال: إن المقصود زوالُ عذاب القبر؛ لأنَّ الفتنة نفسها أمرٌ عظيم، وهو شديدٌ ويستعاذ بالله من شرِّه»[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر: «وأمَّا فتنة المحيا والممات، فقال ابن بطَّال: هذه كلمة جامعة لمعان كثيرة، وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربِّه في جميع ذلك»[(٢)].

والشَّيطان أحرصُ ما يكون على إغواء بني آدم وقت الموت؛ لأنَّه وقتُ الحاجة، قد قال ﷺ: «**الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا**»[(٣)]. وعدو الله أحرص ما يكون على ألَّا يُختم لعبد الله المؤمن بالخاتمة الحسنة الطَّيِّبة، قال عبد الله ابن الإمام أحمد رحمهما الله: «لمَّا حضرت أبي الوفاةُ جعل يقول: لا بعد، لا بعد، فقلت: يا أبت أيُّ شيء هذا؟ فقال: إبليس قائم حذائي عاضٌّ على أنامله يقول لي: يا أحمد، فُتَّني، وأنا أقول له: لا بعد، حتَّى أموت»[(٤)]. أعاذنا الله جميعا منه.

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ٣١١).

(٢) فتح الباري (١١/ ١٧٧). (٣) رواه البخاريُّ (٦٤٩٣).

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ١٨٣).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالهَرَمِ...»

روى البخاريُّ ومسلم[1] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

هذا من الدَّعوات العظيمة الَّتِي كان يدعو بها نبيُّنا ﷺ وهو مشتمل على الاستعاذة من أحد عشر أمرًا، والدُّعاء بثلاثة أمور أخرى.

فأمَّا الأمور المستعاذ منها فهي:

الأوَّل: قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ)؛ والمراد بالكسل: عدم انبعاث النَّفس للخير مع كون المرء قادرًا عليه.

الثَّاني: قوله: (وَالهَرَمِ)؛ والمراد به: الاستعاذة من الرَّدِّ إلى أرذل العمر كما جاء في الحديث الآخر، وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواسِّ والضَّبط والفهم.

الثَّالث: قوله: (وَالمَأْثَمِ)، وهو ما يوجب الإثم، أي: يكون سببًا للوقوع فيه.

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٦٨)، ومسلم (٥٨٩).

الرَّابع: قوله: (**وَالْمَغْرَمِ**)؛ هو ما يقتضي الغُرم، وهو الدَّين، أي: ما يلزم الإنسان أداؤه بسبب جناية أو معاملة ونحوها. والمأثم والمغرم يتضمنان الإشارة إلى حقِّ الله وحقِّ العابد، فالمأثم إشارة إلى حقِّ الله، والمغرم إشارة إلى حقِّ العباد، والمأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنُّيا.

وفي الحديث: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قيل له: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّث فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**». رواه البخاريُّ ومسلم[١]. وذلك أنَّ مَن عليه دينٌ وتأخَّرَ في السَّداد وطالت المُدَّة وصار معسرًا وليس عنده ما يسدِّد، إذا أتاه أصحاب المال يطالبونه وألحُّوا عليه في إعطائهم حقوقهم ورُبَّما هدَّدوه وتوعَّدوه، فقد يصل إلى هذه المرحلة الَّتِي أشار إليها النَّبِيُّ ﷺ بقوله: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّث فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**»[٢]، فيقول لمَن أتاه والله ما عندي شيء، ويكون عنده بعض الشَّيء، وقد يَعِدُ ولا يفي يقول: أمهلني شهرًا، ثمَّ يمرُّ الشَّهر والشَّهران والثَّلاثة ويفرُّ منه، ويحرص على أن لا يلقاه، ورُبَّما إذا اتَّصل عليه في الهاتف لا يرد عليه، وإذا طرق بابه لا يفتح له، فالدَّين أَرَقٌ وشدَّةٌ وهمٌّ عظيم.

وقد صحَّ عن نبيِّنا ﷺ التَّعوُّذ من غلبة الدِّين ومن ضِلَعِ الدَّين؛ وهي شدَّته وثِقله بسبب تحمل العبد له وعدم قدرته على الوفاء به لقلَّة ذات يده، والمسلم الَّذِي يخاف الله ﷻ الدَّيْن ثقيلٌ عليه، يؤرِّقه ويؤلمه، ولهذا جاء في المسند للإمام أحمد[٣] أنَّ النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام قال:

---

(١) رواه البخاريُّ (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٧).
(٢) رواه البخاريُّ (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٧).
(٣) رواه أحمد (١٧٣٢٠)، وحسَّنه الألبانِيُّ في صحيح الجامع (٧٢٥٩).

«لَا تُخِيفُوا أَنْفُسَكُمْ بَعْدَ أَمْنِهَا»، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟، قال: «الدَّيْن»، فهو حملٌ ثقيل.

ولا ينبغي للمسلم أن يستدين إلَّا إذا كان مضطرًّا، ويعزم صادقًا على الوفاء، وإذا علِم الله ﷻ من عبده الصِّدق والنُّصح والحرص يسَّر له أمره وقضى عنه دينه. روى البخاريُّ[1] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَها أَتْلَفَهُ اللهُ». وروى الإمام أحمد[2] عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِن عَبدٍ كَانَتْ لَه نِيَّةٌ فِي أَدَاءِ دَيْنِه إِلَّا كَانَ لَه مِنَ اللهِ عَوْنٌ». وروى النَّسائيُّ[3] عن ميمونة ﵂، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُدَانُ دَيْنًا فَعَلِمَ اللهُ مَنْه أَنَّه يُرِيدُ قَضَاءَه إِلَّا أَدَّاه اللهُ عَنه فِي الدُّنْيَا».

الخامس: قوله: (وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ)؛ هي سؤال الملكين في القبر، فإنَّ النَّاس يُمتحنون في قبورهم فيقال للرَّجل: ما ربُّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك؟ فيثبِّت الله الَّذين آمنوا بالقول الثَّابت في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: ربِّي الله، والإسلام ديني، ومحمَّد ﷺ نبيِّي. وأمَّا المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري سمعتُ النَّاس يقولون شيئًا فقلتُه: فيُضرب بمِرْزَبَّة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كلُّ شيء إلَّا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصُعق -ثمَّ بعد هذه الفتنة- إمَّا نعيمٌ وإمَّا عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد وتقوم القيامة الَّتِي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وأجمع عليها المسلمون.

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٣٨٧).

(٢) رواه أحمد (٢٤٤٣٩)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح الجامع (٥٧٣٤).

(٣) رواه النَّسائيُّ (٤٦٨٦)، وقال الألبانِيُّ: «صحيح دون قوله: (في الدُّنيا)».

السَّادس: قوله: (وَعَذَابِ الْقَبْرِ)؛ وهو ضرب مَن لم يُوَفَّق للجواب بالمِرْزَبَّة من الحديد، وغيرُ ذلك من العذاب الَّذِي يكون فيه.

السَّابع: قوله: (وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ)؛ وهي سؤال الخزنة على سبيل التَّوبيخ والتَّقريع، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك:٨].

الثَّامن: قوله: (وَعَـذَابِ النَّـارِ)؛ أي: نجني من عذابها وأجرني من دخولها، وقد أثنى الله تعالى على خاصَّته وهم أولو الألباب بأنَّهم سألوه أن يقيهم عذاب النَّار فقالوا: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١]، وقال ﷺ لأمِّ حبيبة: «لَوْ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ»[١]. وكان ﷺ يستعيذ كثيرًا من عذاب النَّار.

التَّاسع: قوله: (وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى)؛ ومعناه: ما يحصل بسببه من البطر والأشر والشُّحِّ بما يجب إخراجه من واجبات المال ومندوباته.

العاشر: قوله: (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ)؛ ويراد به الفقر المدْقِع الَّذِي لا يصحبه خير ولا ورع حتَّى يتورَّط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدِّين والمروءة، ولا يبالي بسبب فاقته على أيِّ حرامٍ وثب، ولا في أيِّ حالةٍ تورَّط، وقيل: فتنة الفقر ما يحصل بسببه من السَّخط والقنوط لمَن لا صَبْرَ له يمنعه من ذلك، ولا إيمانَ قويَّ يدفعه عن ذلك. وقيل المراد بالفقر: فقر النَّفس الَّذِي لا يردُّه ملك الدُّنيا بحذافيرها.

وإذا كان الغنيُّ شاكرًا والفقيرُ صابرًا فاز كلٌّ منهما فيما فُتن به؛ لأنَّ الفقر فتنة والغنى فتنة، والنَّجاة في فتنة الغنى هو الشُّكر، والنَّجاة في فتنة

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٣).

الفقر هو الصَّبر. قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا استعاذته ﷺ من فتنة الغنى وفتنة الفقر فلأنَّهما حالتان تخشى الفتنة فيهما بالتَّسخُّط وقلَّة الصَّبر والوقوع في حرامٍ أو شبهةٍ للحاجة، ويُخاف في الغنى من الأشر والبطر والبخلِ بحقوق المال أو إنفاقِه في إسرافٍ وفي باطل أو في مَفاخر»[(١)].

وقال ابن بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا فتنة الغنى فيُخشى منها بطر المال وما يؤول من عواقب الإسراف في إنفاقه، وبذلِه فيما لا ينبغي، ومنعِ حقوق الله فيه، ففتنة الغنى متشعِّبة إلى ما لا يحصى عدُّه، وكذلك فتنة الفقر يُخشى منها قلَّةُ الصَّبر على الإقلال والتَّسخُّطُ له وتزيينُ الشَّيطان للمرء حال الغنى وما يؤول من عاقبة ذلك لضعف البشريَّة»[(٢)].

الحادي عشر: قوله: (**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**)؛ وهو تعوُّذٌ بالله من فتنة المسيح الدَّجَّال، وهي أعظم الفتن الكائنة في الدُّنيا، كما في حديث أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطبنا رسـول الله ﷺ... فذكر الحديث، وفيه: «**إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ مُنْذ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**»[(٣)]. قال الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بفتنة المسيح الدَّجَّال: هي ما يظهر على يده من الأمور الَّتِي يُضلُّ بها مَن ضَعُف إيمانُه، كما اشتملت على ذلك الأحاديث المشتملةُ على ذكره وذكر خروجه وما يُظهر للنَّاس من تلك الأمور»[(٤)].

وأمَّا الأمور الثَّلاثة الَّتِي دعا بها النَّبِيُّ ﷺ في هذا الحديث فهي:

أوّلًا: قوله: (**اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**)؛ لأنَّ ما غُسل بماء الثَّلج والبرد أنقى ممَّا غُسل بالماء وحده، فسأل بأن يُطَهِّره

---

(١) شرح النَّوويِّ لمسلم (١٧/ ٢٨).
(٢) شرح ابن بطَّال لصحيح البخاريِّ (١٠/ ١١٩).
(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧). (٤) تحفة الذَّاكرين (ص١٧٨).

التَّطهير الأعلى الموجِب لجنَّة المأوى.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا الحديث من الفقه: أنَّ الدَّاء يداوى بضدِّه، فإنَّ في الخطايا من الحرارة والحريق ما يُضادُّه الثَّلجُ والبرد والماء البارد، ولا يقال: إنَّ الماء الحار أبلغ في إزالة الوسخ؛ لأنَّ في الماء البارد من تصليب الجسم وتقويته ما ليس في الحار، والخطايا توجب أثرين: التَّدنيس والإرخاء، فالمطلوب مداواتها بما يُنَظِّف القلب ويصلِّبه، فذِكر الماء البارد والثَّلج والبرد إشارة إلى هذين الأمرين»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسألت شيخ الإسلام عن معنى دعاء النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ والثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**» كيف يُطَهِّر الخطايا بذلك؟ وما فائدة التَّخصيص بذلك؟ وقوله في لفظ آخر: «**والماء البارد**» والحار أبلغ في الإنقاء!! فقال: الخطايا توجِب للقلب حرارةً ونجاسةً وضعفًا؛ فيرتخي القلب وتضطرم فيه نار الشَّهوة وتنجِّسه فإنَّ الخطايا والذُّنوب له بمنزلة الحطب الَّذِي يمدُّ النَّار ويوقدها، ولهذا كُلَّما كثرت الخطايا اشتدَّت نارُ القلب وضعفُه، والماءُ يغسل الخبثَ ويُطفئ النَّار، فإن كان باردًا أورث الجسم صلابةً وقُوَّة، فإن كان معه ثلجٌ وبرد كان أقوى في التَّبريد وصلابةِ الجسم وشدَّته فكان أذهبَ لأثر الخطايا»[٢].

ثانيًا: قوله: (**وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ**)؛ أي: نظِّف قلبي من الذُّنوب كما نظَّفت الثَّوب الأبيض من الدَّنس. شبَّه نظافة قلبه من الذُّنوب بنظافة الثَّوب الأبيض من الدَّنس؛ لأنَّ زوال الدَّنس في الثَّوب الأبيض أظهر، بخلاف سائر الألوان، فإنَّه

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٤٢٨).

(٢) إغاثة اللهفان في مصايد الشَّيطان (١/ ٥٧).

رُبَّما يبقى فيها أثرُ الدَّنس بعد الغسل ولم يظهر ذلك لمانعٍ فيها، بخلاف الأبيض فإنَّه يَظهر كلُّ أثر فيه، والقصد من هذا التَّشبيه أن ينظِّف قلبه من الذُّنوب كنظافة الثَّوب الأبيض المنظَّف من الدَّنس فلم يبق فيه أثر ما.

ثالثًا: قوله: (**وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ**)؛ المراد بالمباعدة هنا: محو ما حصل من الخطايا وترك المؤاخذة بها، والوقاية ممَّا لم يقع منها، وشبَّه ذلك ببُعد المشرق والمغرب مبالغةً في البعد؛ لأنَّه لا يوجد في المشاهدات أبعد ممَّا بين المشرق والمغرب؛ ولأنَّ التقاء المشرق والمغرب مستحيل، فكأنَّه أراد أن لا يبقى لها منه اقتراب بالكُلِّيَّة.

قال الكرمانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحتمل أن يكون في الدَّعوات الثَّلاث إشارة إلى الأزمنة الثَّلاثة، فالمباعدة للمستقبل، والتَّنقية للحال، والغسل للماضي»[(١)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٣٠).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ...»

روى مسلم في صحيحه(١) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: **كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»**.

هذا الحديث من الدَّعوات العظيمة الجامعة الَّتِي كان يدعو بها رسول الله ﷺ، وهو من جُملة تعوُّذاته ﵊. وباب الاستعاذة بابٌ عظيم وواسع من أبواب الدُّعاء، وقد أفرده بعض العلماء بالتَّصنيف لسعته، ومنهم مَن خصَّه بكتبٍ خاصَّة في المصنَّفات الجامعة، وقد جاء عنه ﵊ أنواعٌ كثيرة من التَّعوُّذات يحسن بالمسلم أن يقف عليها وأن يتعلَّمها، لتكون من جُملة تعوُّذاته والتجاءاته واعتصامه بالله ﷻ.

قال الشَّوكانِيُّ ﵀: «استعاذ رسول الله ﷺ من زوال نعمته؛ لأنَّ ذلك لا يكون إلَّا عند عدم شكرها والمضيِّ على ما تستحقُّه وتقتضيه، كالبخل بما تقتضيه النِّعم على صاحبها من تأدية ما يجب عليه من الشُّكر والمواساة وإخراج ما يجب إخراجه.

واستعاذ أيضًا رسول الله ﷺ من تحوُّل عافيته سبحانه؛ لأنَّه إذا كان قد اختصَّه الله سبحانه بعافيته فقد ظفر بخير الدَّارين، فإن تحوَّلت عنه فقد أصيب بشر الدَّارين، فإنَّ العافية يكون بها صلاح أمور الدُّنيا والآخرة.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٩).

واستعاذ ﷺ من فجاءة نقمة الله سبحانه؛ لأنَّه إذا انتقم من العبد فقد حلَّ به من البلاء ما لا يقدر على دفعه، ولا يُستدفع بسائر المخلوقين وإن اجتمعوا جميعًا، والفجاءة من فاجأه مفاجأة، إذا جاءه بغتة من غير أن يعلم بذلك.

واستعاذ ﷺ من جميع سخطه؛ لأنَّه سبحانه إذا سخِط على العبد فقد هلك وخاب وخسر، ولو كان السَّخط في أدنى شيء وبأيسر سبب، ولهذا قال الصَّادق المصدوق ﷺ: «**وجميع سخطك**»، وجاء بهذه العبارة شاملة لكلِّ سخط»[1]. اهـ.

قوله: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ**)؛ أي: ذهابها وسلبها، والنِّعمة هنا مفرد مضاف فتعمُّ كقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [النَّحل:١٨]، وقوله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النَّحل:٥٣].

قوله: (**وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ**)؛ أي: تحوُّلها عن العبد وانتقالها، والعافية خير ما أُعطيه العبد، وفي الدَّعوة العظيمة الَّتي علَّمها النَّبيُّ ﷺ عمَّه العبَّاس رضي الله عنه قال: «**يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ**»، فالعافية نعمة عظيمة ومِنة كبيرة وهي إنَّما تتحوَّل عن العبد بسبب ذنوبه وخطاياه.

قوله: (**وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ**)؛ النِّقمة: الانتقام، والفُجَاءة: هو أن يأتي الانتقام فجأة ويبغت الإنسان دون مقدِّمات، بسبب إجرامه وآثامه، وتعدُّد خطاياه وعصيانه.

قوله: (**وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**)؛ أي: أن أفعل أو ارتكب ما يسخطك، ويكون سببًا لحلول عقوبتك وتحوُّل عافيتك وفُجَاءة نقمتك.

---

(١) تحفة الذَّاكرين (ص٤٢١).

ومردُّ هذه الدَّعوة العظيمة الجامعة إلى ذكر نعم الله المتتالية وعطاياه المتوالية وآلائه الَّتِي لا تُعَدُّ ولا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤]، وأن تقيَّد بالشُّكر للمنعِم، فإنَّ الشُّكر مؤذِنٌ بالمزيد ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

والشُّكر حافظٌ للنِّعم الموجودة وجالبٌ للنِّعم المفقودة، فإنَّ النِّعمة إذا شُكِرَت قرَّت، وإذا كُفِرَت فرَّت؛ فوجب على كلِّ مسلم أن يشكر الله على نعمائه وفضله وعطائه، ويسأله سبحانه أن يوزعه شكر نعمه وأن يعيذه من تبديل النِّعمة كفرًا؛ فإنَّ ذلك موجبٌ لحلول العقوبة وزوال النِّعمة وفُجَاءة النِّقمة وتحوُّل العافية وجميع السَّخط.

ولقد حذَّر الله جَلَّ وَعَلَا في مواطن من كتابه من تبديل النِّعمة كفرًا، وعدم استعمالها في طاعة المنعم جلَّ في علاه، وملاقاتها بالأشرِّ والبطر، وجحود الإنعام والإكرام؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة:٢١١]، وقال الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم:٢٨-٢٩]، وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرَّعد:١١]؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾، أي: من نعمةٍ وفضلٍ وإحسان: ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، أي: بالفسوق وكفران النِّعم والعصيان. وقد أحسن القائل:

إذا كنتَ في نعمةٍ فَارْعَها ... فإنَّ المعاصي تُزيل النِّعَمْ
وحُطْها بطاعةِ ربِّ العبادِ ... فربُّ العبادِ سريعُ النِّقَمْ
وإيَّاك والظُّلمَ مهما استطعتَ ... فظلمُ العبادِ شديدُ الوَخَمْ

وسـافِـرْ بقلبك بيـنَ الـورى | لِـتُـبـصِـرَ آثــارَ مَـن قـد ظَـلَـمْ
فـتـلـك مـسـاكـنُـهـم بـعـدَهـم | شـهـودٌ عـليـهـم ولا تُـتَّـهَـمْ
ومـا كـان شـيء عليهـم أضَـرَّ | من الظُّلم، وهو الَّذِي قد قَصَمْ
فكم تـركـوا مِـنْ جِـنـانٍ ومِـنْ | قُـصـورٍ وأخـرى عـلـيـها أطَـمّ
صلَوا بالجحيم وفـات النَّعيمُ | وكـان الَّـذي نـالَـهـم كالحلُمْ

ولقد ذكر الله جلَّ في علاه في كتابه العزيز أخبار أقوام أهلكهم الله سبحانه بسبب كفران النِّعم، ليعتبر من أراد الاعتبار وليدَّكر مَن أراد الادِّكار، فإنَّ السَّعيد مَن وُعظ بغيره، والشَّقيَّ مَن اتَّعظ به غيره. يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص:٥٨]، وقال الله سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النَّحل:١١٢]، أي: بسبب صنيعهم السَّيِّئ وأعمالهم القبيحة وفعائلهم الشَّنيعة، وقال الله سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ:١٥-١٧]. والأمثلة على هذا في القرآن كثيرة.

فالواجب تحقيق تقوى الله، والحذر الشَّديد من كفران نعمة الله جلَّ في علاه، وليعلم من كفر نعمة الله جَلَّوَعَلَا أنَّه إن لم يبادر إلى التَّوبة والإنابة إلى الله فلا مناص له من أحد أمرين: إمَّا عقوبةٌ معجَّلة تزول بها النِّعمة وتتحوَّل فيها العافية وتحلُّ النِّقمة، أو أن يُمدَّ له في الإنعام

على وجه الاستدراج، ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦].

ولهذا فإنَّ من أنفع ما يكون في وعظ النَّاس وتذكيرهم وإيقاظ قلوبهم من غفلتها أن يذكَّروا بنعمة الله عليهم، وفي القرآن الكريم آياتٌ كثيرة تتضمَّن التَّذكيرَ بهذا المقام العظيم والتَّنبيه على هذا المطلب الجسيم؛ ليكون العبد ذاكرًا غير غافل شاكرًا غير كافر، قال الله عَزَّوَجَلَّ في سياق موعظة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه أنَّه قال لهم: ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:٦٩]، وفي قصَّة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وموعظته لقومه قال لهم: ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:٧٤]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:٢٠]، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٦]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة:٤٧]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة:٤٠].

وفي خطاب القرآن لأُمَّة محمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في آيٍ كثيرةٍ منه جاء هذا التَّذكير بذكر نعمة الله جَلَّ وَعَلَا على العباد؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ

ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [المائدة:٧]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائدة:١١]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:٩]، والآيات في هذا المعنى في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا كثيرة.

وفي ذكر العبد لنعمة الله عليه فوائد عظيمة ومنافع متعدِّدة:

* **من أعظمها:** أنَّ العبد إذا كان ذاكرًا نعمة الله عليه وفضله ومنَّه جلَّ في علاه أخلص دينه لله؛ فلم يلجأ إلَّا إلى الله، ولم يستعِن إلَّا بالله، ولم يتوكَّل إلَّا على الله، ولم يصرف شيئًا من ذلِّه وخضوعه إلَّا لله، لأنَّه وحده جلَّ في علاه المتفضِّل المنعِم لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣].

* **ومنها:** أنَّ في ذلك معونةً له على إسلام وجهه لله وانقياده لله خاضعًا مطيعًا متذلِّلًا مخبتًا منيبًا، ولهذا في سورة النَّحل -الَّتِي تُعرف بـ«سورة النِّعَم» لكثرة ما عدَّد فيها جلَّ في علاه من نعمه على العباد- قال الله عَزَّ وَجَلَّ في تمام عدِّه لنعمه: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴾ [النَّحل:٨١]؛ أي: تنقادون لله خاضعين ذليلين.

* **وفي ذكر نعم الله على العبد:** معونةٌ للعبد على شكر المنعِم والمتفضِّل سبحانه؛ فإنَّ العبد إذا استشعر أنَّ هذه النِّعم من الله جَلَّ وَعَلَا واستذكر ذلك أعانه ذلك على شكر المنعِم والمتفضِّل سبحانه، قال الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [المائدة:٦].

* **ومن فوائد ذكر النِّعم:** طردُ الغرور والعُجب؛ فإنَّ العبد إذا ذكر أنَّ ما عنده من صحَّةٍ أو مالٍ أو جاهٍ أو غير ذلك محضُ فضل الله عليه ومنَّة جلَّ في علاه باعد عنه الغرور والعُجب، ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩].

إنَّ الواجب على العبد أن يكون دائمًا وأبدًا ذاكرًا نعمة الله عليه، مستعملًا لها فيما يرضيه جلَّ في علاه، وأن يحذر أشدَّ الحذر من أن يبدِّل نعمة الله كفرًا، فإنَّ عذاب الله شديد وعقوبته أليمة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [البقرة: ٢١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرَّعد: ١١]؛ فأخبر تعالى أنَّه لا يغيِّر نعَمه الَّتِي أنعم بها على أحد حتَّى يكون هو الَّذِي يغيِّر ما بنفسه، فيغيِّر طاعةَ الله بمعصيته، وشكرَه بكفره، وأسبابَ رضاه بأسباب سخطه، فإذا غَيَّرَ غُيِّرَ عليه جزاءً وفاقًا، وكان تغييُره موجبًا لزوال النِّعم وفُجَاءة النِّقَم وتحوُّل العافية وجميع السَّخط. وأمَّا إنْ غيَّر المعصيةَ بالطَّاعة غَيَّر الله عليه العقوبةَ بالعافية، والذُّلَّ بالعِزِّ.

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ...»

روى البخاريُّ في كتابه الصَّحيح(١) عَنْ مُصعَبِ بنِ سَعدٍ عَن أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: تَعَوَّذُوا بِكَلِمَاتٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن أَن أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن فِتنَةِ الدُّنيَا، وَعَذَابِ القَبْرِ».

وقد اشتمل هذا الحديث على التَّعوُّذ بالله عز وجل من خمسة أمور:

أحدها: قوله (اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْـجُبْنِ)؛ وهو تعوُّذ من الجبن، وهو ضدُّ الشَّجاعة، أي: المهابة للأشياء والتَّأخُّر عن فعلها، وهو ناتجٌ عن ضعف القلب ووهَن النَّفس، وهو من الخلال المذمومة الَّتِي لا تصلح أن تكون صفةً للمؤمن.

الثَّاني: قوله: (وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ)؛ وهو تعوُّذٌ من البخل، وهو منع الواجب، أو منع السَّائل عمَّا يفضُل عنده، أو أن لا يعطي شيئًا، وهو من الصِّفات المذمومة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

(والبُخْل والجُبْن) يتعلَّقان بأمر واحد وهو بذل الإنسان من نفسه؛ فإذا شحَّ بالبذل، إن كان هذا الشُّحُّ يرجع إلى المال لا يخرِج منه ولا

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٧٤).

تنشط نفسه للإنفاق في سبيل الله من المال الَّذِي آتاه الله فهو البخيل، والَّذِي لا يعين أخاه ببدنه نصرة له ومعونة فهذا الجبن، فكلٌّ منهما راجعٌ إلى هذا المعنى؛ إن كان يتعلَّق بالبدن فهو الجبن، وإن كان يتعلَّق بالمال فهو البخل، وهما أمران يُتَعوَّذ بالله ﷻ منهما، يُتَعوَّذ بالله من البخل: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التَّغابن:١٦]، ويُتَعوَّذ بالله ﷻ من الجبن الَّذِي هو ضعف الإنسان وبرود عزيمته في البذل من نفسه في معاونة أخيه ونصرته.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وأصل الجبن من سوء الظَّنِّ ووسوسة النَّفس بالسُّوء، وهو ينشأ من الرِّئة فإذا ساء الظَّنُّ ووسوست النَّفس بالسُّوء انتفخت الرِّئة فزاحمت القلب في مكانه وضيَّقت عليه حتَّى أزعجته عن مستقرِّه؛ فأصابه الزَّلازل والاضطراب لإزعاج الرِّئة له وتضييقها عليه، ولهذا جاء في حديث عمرو بن العاص الَّذِي رواه أحمد[١] وغيره عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**شرُّ مَا فِي المَرْءِ جُبْنٌ خَالِعٌ وَشحٌّ هَالِعٌ**»، فسمَّى الجبن خالعًا؛ لأنَّه يخلع القلب عن مكانه لانتفاخ السَّحْر وهو الرِّئة،كما قال أبو جهل لعتبة بن ربيعة يوم بدر: «انتفخ سَحْرك»، فإذا زال القلب عن مكانه ضاع تدبير العقل فظهر الفساد على الجوارح فوضعت الأمور على غير مواضعها»[٢].

والثَّالث: قوله: (**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**)؛ وهو تعوُّذ من الرَّدِّ إلى أرذل العمر، أي: الرُّجوع إلى أرذل العمر، وهو البلوغ إلى حدٍّ في كبر السِّنِّ يعود معه المرء كالطِّفل في ضعف عقله وقلَّة فهمه ووهن قواه. فالرَّدُّ إلى أرذل العمر حالةٌ منافية لما خلق الإنسان له؛ من

(١) رواه أحمد (٨٠١٠)، وانظر: السِّلسلة الصَّحيحة (٥٦٠).
(٢) الرُّوح لابن القيِّم (ص٢٣٦).

العلم والمعرفة وأداء العبادات الظَّاهرة والباطنة على وجهها الأكمل، ولهذا كانت الاستعاذة منه مطلوبةً، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النَّحل: ٧٠].

والرَّابع: قوله: (**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا**)؛ بأن تتزيَّن للسَّالك وتغرَّه وتنسيه الآخرة ويأخذ منها زيادة على قدر الحاجة، وفتنتها: شهواتها الَّتِي من شأنها أن تلهي عن الله وعن عبادته وأن تطمس القلب عن التَّطلُّع إلى شهود آلائه ومننه، قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

قال ابن بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودَلَّ حديث عمران بن حصين أنَّ فتنة الدُّنيا لِمَن يأتي بعد القرن الثَّالث أشدَّ لقوله ﷺ: «**ثُمَّ يَكُون بَعْدَهم قَوْمٌ يَشْهَدُون وَلَا يُسْتَشْهَدُون**» إلى قوله: «**وَيَظْهَر فِيهُم السِّمَن**»[(١)]. فجعل ﷺ ظهور السِّمن فيهم وشهادتهم بالباطل وخيانتهم الأمانة وتنافسهم في الدُّنيا وأخذهم لها من غير وجهها، كما قال ﷺ في حديث أبي سعيد: «**وَمَنْ أَخَذَه بِغَيْر حَقِّهِ فَهُو كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ**»[(٢)]»[(٣)].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالفتنة قسَمت النَّاس إلى صادق وكاذب، ومؤمن ومنافق، وطيِّب وخبيث، فمَن صبر عليها كانت رحمةً في حقِّه ونجا بصبره من فتنةٍ أعظم منها، ومَن لم يصبر عليها وقع في فتنة

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).
(٢) رواه البخاريُّ (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢).
(٣) شرح ابن بطَّال لصحيح البخاريِّ (١٠/ ١٥٥).

أشدّ منها. فالفتنة لا بُدَّ منها في الدُّنيا والآخرة كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذَّاريات:١٣-١٤]، فالنَّار فتنة مَن لم يصبر على فتنة الدُّنيا، قال الله تعالى في شجرة الزَّقُّوم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصَّافَّات:٦٣]، قال قتادة: لمَّا ذكر الله تعالى هذه الشَّجرة افتتن بها الظَّلمة فقالوا: يكون في النَّار شجرة والنَّار تأكل الشَّجر!! فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافَّات:٦٤]،؛ فأخبرهم أنَّ غذاءها من النَّار، أي: غُذِيت بالنَّار، قال ابن قتيبة: قد تكون شجرة الزَّقُّوم نباتًا من النَّار ومن جوهر لا تأكله النَّار...»[(١)].

«والمقصود: أنَّ هذه الشَّجرة فتنة لهم في الدُّنيا بتكذيبهم بها، وفتنة لهم في الآخرة بأكلهم منها...».

والكافر مفتونٌ بالمؤمن في الدُّنيا كما أنَّ المؤمن مفتونٌ به، ولهذا سأل المؤمنون ربَّهم أن لا يجعلهم فتنة للَّذين كفروا، كما قال الحنفاء: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الممتحنة:٤-٥]».

«**والمقصود:** أنَّ الله سبحانه فتن أصحاب الشَّهوات بالصُّور الجميلة وفتن أولئك بهم، فكلٌّ من النَّوعين فتنة للآخر؛ فمَن صبر منهم على تلك الفتنة نجا ممَّا هو أعظم منها، ومَن أصابته تلك الفتنة سقط فيما هو شرٌّ منها، فإن تدارك ذلك بالتَّوبة النَّصُوح وإلَّا فبسبيلٍ من هلاك، ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**». أو كما قال، فالعبد في هذه الدَّار مفتونٌ بشهواته ونفسه الأمَّارة وشيطانه المغوي المُزَيِّن وقرنائه وما يراه ويشاهده ممَّا يعجز

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٢- ١٦٣).

صبره عنه، ويتَّفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين، وضعف القلب، ومرارة الصَّبر، وذوق حلاوة العاجل، وميل النَّفس إلى زهرة الحياة الدُّنيا، وكون العِوض مؤجلًا في دار أخرى غير هذه الدَّار الَّتِي خُلق فيها وفيها نشأ، فهو مُكَلَّف بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيبٍ طُلب منه الإيمانُ به:

فَـــواللهِ لَـوْلَا اللهُ يُسْعِـدُ عَـبْدَهُ ... بِـتَـوْفِـيقِـهِ واللهُ بِـالـعَـبْـدِ أَرْحَـمُ
لَـمَا ثَبَـتَ الإِيـمـانُ يَـوْمًـا بقَلْبِهِ ... عَلَى هَذِهِ العِلَّاتِ والأَمْرُ أَعْظَمُ
وَلَا طَاوَعَتْهُ النَّفْسُ فِي تَرْكِ شَهْوَةٍ ... مَـخَـافَـةَ نَـارٍ جَـمْـرُهَـا يَـتَـضَـرَّمُ
وَلَا خَـافَ يَـوْمًـا مِـنْ مَـقَامِ إِلَـهِهِ ... عَلَيهِ بحُكْمِ القِسْطِ إِذْ لَيْسَ يَظْلِمُ»[1]

وهذا كلُّه يؤكِّد أهمِّيَّة هذه الدَّعوات وشدَّة ضرورة العبد إلى هذه التَّعوُّذات، راجيًا من ربِّه أن يسلِّمه وينجِّيه ويحفظه، مع الأخذ بأسباب النَّجاة وأطر النَّفس عليها.

ثمَّ إنَّ الفتن الَّتِي تصيب القلوب نوعان: فتن الشَّهوات، وفتن الشُّبهات. عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». رواه مسلم[2].

فقسَّم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث القلوب عند عرض الفتن عليها إلى قسمين:

القسم الأوَّل: قلب إذا عرضت عليه فتنة أُشربها القلب كما يشرب

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٣ - ١٦٤). (٢) رواه مسلم (١٤٤).

السّفنج الماء فنُكت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يُشرب كلَّ فتنة تعرض عليه حتَّى يسوَدَّ ويتنكَّر، وهو معنى قوله: «كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا»، أي: منكوسًا، فإذا اسودَّ وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطيران:

أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر؛ فلا يعرف معروفًا ولا يُنكر منكرًا، ورُبَّما استحكم عليه هذا المرض حتَّى يعتقد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسُّنَّة بدعة والبدعة سُنَّة، والحَقَّ باطلًا والباطل حقًّا.

والثَّاني: تحكيمه هواه على ما جاء به الرَّسول ﷺ وانقياده للهوى واتِّباعه له. هذا قسم.

والقسم الثَّاني: قلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان وأزهر فيه مصباحه، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردَّها فازداد نوره وإشراقه وقوَّته.

إنَّ الواجب على كلِّ مسلم أن يهتمَّ بسلامة قلبه عندما تشرئب الفتن وتكثر البدع ويعظم الجهل بدين الله، والله تعالى يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحجُّ: ٧٨].

والخامس: قوله: (وَعَذَابِ الْقَبْرِ)؛ أي: وأعوذ بك من عذاب القبر، وهو ما يكون في البرزخ من العذاب على الرُّوح والبدن لمَن استحقَّ ذلك، كما قال الله تعالى عن فرعون وآله: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، وفي هذا التَّعوُّذ دليلٌ على إثبات عذاب القبر وأنَّه حقٌّ خلافًا لمَن أنكره من أهل الضَّلال. روى البخاريُّ[(١)] عَن عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ

(١) رواه البخاريُّ (١٣٧٢).

فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ: «نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ»، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

ثمَّ إنَّ هذا التَّنوُّيع والبسط في ذكر ما يُتعوَّذ منه كما في هذا الحديث وغيره من الأحاديث يفيد كما يقول ابن بطَّال رَحِمَهُ اللهُ: «أنَّه ينبغي سؤال الله والرَّغبة إليه في كلِّ ما ينزل بالمرء من حاجاته، وأن يعيّن كل ما يدعو فيه، ففي ذلك إطالةُ الرَّغبة إلى الله تعالى والتَّضرُّع إليه وذلك طاعة الله تعالى، وكان النَّبِيُّ ﷺ يتعوَّذ بالله من كلِّ ذلك ويعيِّنه باسمه -وإن كان الله قد عصمه من كلِّ شرٍّ- ليُلزِم نفسه خوف الله تعالى وإعظامه، وليسُنَّ ذلك لأُمَّته ويعلِّمهم كيف الاستعاذة من كلِّ شيء، وقد روى ثابت البنانِيُّ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لِيَسْأَل أَحَدُكُم رَبَّه حَاجَاتِهِ كُلَّهَا، حتَّى يَسْأَلَه شسْعَ نَعْلِه إِذَا انْقَطَع»[١]؛ ليستشعر العبد الافتقار إلى ربِّه في كلِّ أمر وإن دقَّ، ولا يستحيي من سؤاله ذلك»[٢].

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٣٦٠٤).
(٢) شرح ابن بطَّال لصحيح البخاريِّ (١٠/ ١١٧ - ١١٨).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَشَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»

روى مسلم في صحيحه[١] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَشَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ**».

هذه الاستعاذة العظيمة من الاستعاذات الجامعة الَّتِي تعمُّ كلَّ شَرٍّ ممَّا عمله العبد وممَّا لم يعمله، ففيه التَّعوُّذ من شَرِّ ما عمل الإنسان في الماضي، ومن شرِّ ما لم يعمله في المستقبل، وهو من جوامع تعوُّذاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال الشُّوكانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وقد استعاذ ﷺ من شرِّ أعماله الَّتِي قد عملها ومن شرِّ أعماله الَّتِي سيعملها، كما استعاذ ﷺ في الرِّواية الأخرى من شرِّ الأمور الَّتِي يعلمها ومن شرور الأمور الَّتِي لا يعلمها، وهذا تعليمٌ منه ﷺ لأُمَّته ليقتدوا به، وإلَّا فجميع أعماله سابقها ولاحِقِها كلِّها خيرٌ لا شرَّ فيها، وجميع ما يعلمه سابقه ولاحقه هو ميسَّر ومعصوم من شرِّه»[٢]. اهـ رَحِمَهُ اللهُ.

وفي هذه الاستعاذة إشارة إلى أن ما يصيب العبد من الشَّرِّ إنَّما هو بسبب ما عملته يداه، أو بسبب ما عملته أيدي النَّاس وإن لم يكن هو العامل المباشر، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشُّورى:٣٠]، وقال الله تعالى:

---

(١) رواه مسلم (٦٥).

(٢) تحفة الذَّاكرين (ص٤٢١).

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وفيها أيضًا دلالة على ضعف الإنسان وشدَّة افتقاره إلى الله عَزَّوَجَلَّ في صلاح شؤونه واستقامة أموره والوقاية من شرور نفسه وسيِّئات أعماله، وأنَّه لا غنى له عن ربِّه وسيِّده ومولاه طرفة عين، فإنَّه سبحانه وليُّ التَّوفيق والسَّداد، والهادي لمَن يشاء من العباد، لا ربَّ سواه.

قال الطِّيبيُّ: «أي: من شرِّ عمل يحتاج فيه إلى العفو والغفران، «وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَل» استعاذ من شرِّ أن يعمل في المستقبل ما لا يرضاه؛ بأن يحفظه منه، أو من شرِّ أن يصير معجبًا بنفسه في ترك القبائح، فإنَّه يجب أن يرى ذلك من فضل ربِّه، أو لئلَّا يصيبه شرُّ عمل غيره. قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾، ويحتمل أنَّه استعاذ من أن يكون ممَّن يحب أن يُحمد بما لم يفعل»[(١)]. اهـ.

ومن فوائد هذا التَّعوُّذ الجامع أنَّ التَّوفيق في كلِّ أمور العبد وجميع مصالحه وسائر شؤونه بيد الله وحده؛ يعطي ويمنع، يخفض ويرفع، يقبض ويبسط، يعِزُّ ويُذِلُّ، كلّ يوم هو في شأن، الأمر أمره والخلق خلْقه، ونواصي العباد بيده، وهم طوع تسخيره وتدبيره، لا غناء لهم عنه طرفة عين ولا قليلَ نفس، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥].

فما أحوج العبد أن يستشعر هذا المقام -مقام حاجته وافتقاره وضرورته إلى الله- بأن يوفِّقه في كلِّ أموره وجميع أعماله، وأن يعيذه من الخذلان، فإن أعاذ الله عبده من شرِّ ما عمله العبد وشرِّ ما لا يعمله

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٧٠٧).

فهذا هو عين التَّوفيق، وإن لم يعذه من ذلك فهذا هو الخذلان.

وتأمَّل في باب التَّوفيق قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحجرات:٧-٨]، وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧]، وقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النِّساء:٨٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النُّور:٢١].

وتأمَّل في باب الخذلان قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ [يونس:٩٦-٩٧]، وقول الله سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١١١]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾ [الحجُّ:١٨]، وقوله سبحانه: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾ [النَّحل:٣٧]، وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر:٨].

وفي السُّنن الكبرى[(١)] من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لفاطمة: «**مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْت وَإِذَا أَمْسَيْت: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**»؛ لأنَّ العبد إذا وُكل إلى نفسه وُكِلَ إلى خذلان وحرمان، وقد

---

(١) رواه النَّسائيُّ في السُّنن الكبرى (١٠٣٣٠)، وحسَّنه الألبانيُّ في صحيح التَّرغيب والتَّرهيب (٦٦١).

أجمع العارفون بالله جلَّ في علاه أنَّ التَّوفيق: أن لا يكِلك الله إلَّا إليه، وأنَّ الخذلان: أن يوكَل العبد إلى نفسه؛ فإذا وُكِل العبد إلى نفسه وُكِل إلى خسران وضياع.

وممَّا ينبغي أن يعتنى به في هذا المقام معرفة الأمور الَّتي يُستجلب بها التَّوفيق؛ وهو باب شريف عظيم للغاية.

ومن أعظم ما يستجلب به التَّوفيق -توفيق الله جَلَّ وَعَلَا لعبده-: النِّيَّة الصَّالحة الَّتي هي أساس العمل وقوامه وصلاحه، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»(١)؛ فيحرص المرء على إطابة نيَّته وإصلاح مقصده ليطيب منه العمل ويزكو بمنِّ الله وفضله.

وممَّا يُستجلب به التَّوفيق: الدُّعاء وكثرة الإلحاح على الله؛ فإنَّ مَن أُعْطِي الدُّعاء فقد أُعْطِي مفتاح التَّوفيق وبابه، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦]، والله عَزَّ وَجَلَّ لا يخيِّب مَن دعاه ولا يرُدُّ مَن ناجاه.

وممَّا يُستجلب به التَّوفيق: صدق التَّوكُّل على الله جَلَّ وَعَلَا؛ وفي دعاء شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [هود:٨٨]، ومن ذلكم ما جاء في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٠].

وممَّا يُستجلب به التَّوفيق: إصلاح النَّفس بالعلم؛ فإنَّ العلم نورٌ لصاحبه وضياء، فما أُتي مَن أتي في هذا الباب إلَّا من إضاعته لعلم الشَّريعة الَّتي هي أعظم أبواب التَّوفيق والسَّعادة في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) رواه البخاريُّ (١)، ومسلم (١٩٠٧).

وممَّا يُستجلب به التَّوفيق: ملازمة أهل الصَّلاح والاستقامة، والبُعد عن أهل الشَّرِّ والفساد؛ فإنَّ مَن فتح على نفسه باب مجالسةٍ لأهل شرٍّ وفساد فتح على نفسه من باب الخذلان والحرمان شيئًا عظيمًا بحسب حاله من هذه المجالسة.

وممَّا يُستجلب به التَّوفيق: تذكُّر الآخرة وأنَّها الحياة الحقيقيَّة، وتذكر قصر الدُّنيا وهوانها وسرعة انقضائها، فإنَّ الدُّنيا أمد، والآخرة أبد.

ومن الأمور الَّتي يُستجلب بها التَّوفيق: مجاهدة النَّفس على العبادة والطَّاعة فرضها ونفلها، وتأمَّل في هذا الباب الحديث القدسيَّ العظيم حيث يقول الله تبارك وتعالى: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»(١).

وقوله في هذا الدُّعاء: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَشَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ**»؛ إعلانٌ من العبد بضعفه التَّامِّ وبراءته من حول نفسه وقوَّتها وأنَّه لا حول له ولا قُوَّة إلَّا بالله، ومطالعته لعيب نفسه ووقوعه في التَّقصير والذَّنب، ونظيره ما ورد في سيِّد الاستغفار؛ فعن شَدَّاد بن أوسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: «**سَيِّدُ الاِستِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي اغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» قَالَ: «**وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ**

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٥٠٢).

أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». رواه البخاريُّ(١).

وروى البخاريُّ في الأدب المفرد(٢) عَن أَبِي رَاشِدٍ الحُبْرَانِيِّ قال: أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو فَقُلْتُ لَهُ: حَدِّثْنَا بِمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَلْقَى إِلَيَّ صَحِيفَةً فَإِذَا فِيهَا: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي مَا أَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ»، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ قُلِ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ».

وروى الإمام أحمد(٣) عَن عَبدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَلَّمَنَا خُطْبَةَ الْحَاجَةِ: الحَمْدُ لِلَّهِ نَستَعِينُهُ وَنَستَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَقْرَأُ ثَلَاث آيَاتٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] ثُمَّ تَذْكُرُ حَاجَتَكَ».

قال ابن القيِّم رحمه الله: «فمَن أراد الله به خيرًا فتح له باب الذُّلِّ

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٠٦).

(٢) رواه البخاريُّ في الأدب المفرد (١٢٠٤)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٣) رواه أحمد (٣٧٢٠)، والنَّسائِيُّ (١٤٠٤)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

والانكسار، ودوام اللَّجأ إلى الله تعالى والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها، ومشاهدة فضل ربِّه وإحسانه ورحمته وجوده وبرِّه وغناه وحمده، فالعارف سائرٌ إلى الله تعالى بين هذين الجناحين لا يمكنه أن يسير إلَّا بهما، فمتى فاته واحد منهما فهو كالطَّير الَّذِي فقَد أحد جناحيه»[١].

«قال شيخ الإسلام: العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المِنَّة ومطالعة عيب النَّفس والعمل، وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الصَّحيح[٢]: «**سيِّد الاِستِغْفَار أَنْ يَقُول العَبْد: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَه إِلاَ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُك وَأَنَا عَلَى عَهْدِك وَوَعْدِك مَا اسْتَطَعْت أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا صَنَعْت أَبُوء بِنِعْمَتِك عَلَيَّ وَأَبُوء بِذَنْبِي فَاغْفِر لِي إِنَّه لَا يَغْفِر الذُّنُوب إِلَّا أَنْتَ**»؛ فجمع في قوله ﷺ: «**أَبُوء لَكَ بِنِعْمَتِك عَلَيَّ وَأَبُوء بِذَنْبِي**». مشاهدة المِنَّة ومطالعة عيب النَّفس والعمل، فمشاهدة المِنَّة توجب له المحبَّة والحمد والشُّكر لولِيِّ النِّعم والإحسان، ومطالعة عيب النَّفس والعمل توجب له الذُّلَّ والانكسار والافتقار والتَّوبة في كلِّ وقت»[٣].

(١) الوابل الصَّيِّب (ص٧).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٣٠٦).

(٣) الوابل الصَّيِّب (ص٧).

شرح حديث:
«تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ...»

روى البخاريُّ ومسلم[١] عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِن جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ**». وفي رواية للبخاريِّ[٢]: «كان النَّبِيُّ ﷺ يتعوَّذ من جهد البلاء، ودرك الشَّقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء».

هذا تعوُّذ من التَّعوُّذات المباركة العظيمة المأثورة عن رسولنا عليه الصلاة والسلام.

وفيه التَّعوُّذ بالله من أمور أربعة:

الأوَّل: (جهد البلاء)؛ وهو كلُّ ما يصيب المرء من شدَّة ومشقَّة وما لا طاقة له بحمله ولا يقدر على دفعه.

روى ابن أبي الدُّنيا عن ابن عبَّاس قال: «"**جهد البلاء**" أن تحتاجوا إلى ما في أيدي النَّاس»[٣]. وعن ابن عمر قال: «"**جهد البلاء**": كثرة العيال وقلَّة الشَّيء»[٤]. وهذا فرد من أفراد جهد البلاء ولا سِيَّما إذا كان ذلك مع عدم الصَّبر ووجود الجزع.

الثَّاني: (دَرَك الشَّقاء)؛ الدَّرَك هو اللُّحوق والوصول إلى الشَّيء،

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧).
(٢) رواه البخاريُّ (٦٣٤٧).
(٣) رواه ابن أبي الدُّنيا في إصلاح المال (٤٦٤).
(٤) رواه ابن أبي الدُّنيا في إصلاح المال (٤٦٦).

والشَّقاء نقيض السَّعادة، وهو الهلاك أو ما يؤدِّي إلى الهلاك، ويكون ذلك في أمور الدُّنيا وفي أمور الآخرة.

الثَّالث: (**سُوء القَضَاء**)؛ أي: سوء المقضي، وهو ما يسوء الإنسان أو يوقعه في المكروه، وهو عامٌّ في النَّفس والمال والأهل والولد والخاتمة.

الرَّابع: (**شَمَاتة الأَعْدَاء**)؛ وهو ما ينكأ القلب ويبلغ من النَّفس أشدَّ مبلغ، بفرح العدو ببليَّة تنزل بمَن يعاديه.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلُّ واحدة من الثَّلاثة مستقلَّة؛ فإنَّ كلَّ أمر يُكْره يلاحظ فيه جهةُ المبدأ وهو سوء القضاء، وجهة المعاد وهو درك الشَّقاء، لأنَّ شقاء الآخرة هو الشَّقاء الحقيقيُّ، وجهة المعاش وهو جهد البلاء. وأمَّا شماتة الأعداء فتقع لكلِّ مَن وقع له كلٌّ من الخصال الثَّلاثة»(١).

«وقال ابن بطَّال وغيره: جهد البلاء كلُّ ما أصاب المرء من شدَّة مشقَّة وما لا طاقة له بحمله ولا يقدر على دفعه، وقيل المراد بجهد البلاء: قلَّة المال وكثرة العيال، كذا جاء عن ابن عمر، والحقُّ أنَّ ذلك فردٌ من أفراد جهد البلاء، وقيل: هو ما يُختار الموت عليه، قال: ودرك الشَّقاء يكون في أمور الدُّنيا وفي أمور الآخرة، وكذلك سوء القضاء عامٌّ في النَّفس والمال والأهل والولد والخاتمة والمعاد، قال: والمراد بالقضاء هنا المقضي؛ لأنَّ حُكم الله كلَّه حسن لا سوء فيه، قال وشماتة الأعداء: ما ينكأ القلب ويبلغ من النَّفس أشدَّ مبلغ، وإنَّما تعوَّذ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك تعليمًا لأُمَّته، فإنَّ الله تعالى كان أمَّنه من جميع ذلك، وبذلك جزم عياض، قلت: ولا يتعيَّن ذلك بل يحتمل أن يكون استعاذ بربِّه من وقوع ذلك بأُمَّته، ويؤيِّده رواية مسدَّد المذكورة

---

(١) فتح الباري (١١/ ١٤٩).

بصيغة الأمر، وقال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شماتة الأعداء فرحهم ببليَّة تنزل بالمعادي. قال: وفي الحديث دلالة لاستحباب الاستعاذة من الأشياء المذكورة، وأجمع على ذلك العلماء في جميع الأعصار والأمصار. وفي الحديث أنَّ الكلام المسجوع لا يكره إذا صدر عن غير قصد إليه ولا تَكَلُّف، قاله بن الجوزيِّ. قال: وفيه مشروعيَّة الاستعاذة، ولا يعارض ذلك كون ما سبق في القدر لا يرد؛ لاحتمال أن يكون ممَّا قُضي، فقد يقضى على المرء مثلًا بالبلاء ويقضي أنَّه إن دعا كُشف، فالقضاء محتمل للدَّافع والمدفوع، وفائدة الاستعاذة والدُّعاء إظهار العبد فاقته لِرَبِّه وتضرُّعه إليه»[(١)].

وقال الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جهد البلاء بفتح الجيم وروي بضمِّها، وقيل: هو بالفتح: كلُّ ما أصاب الإنسان من شدَّة المشقَّة، وبالضَّمِّ: ما لا طاقة له بحمله ولا قدرة له على دفعه. والبلاء ممدود، استعاذ ﷺ من جهد البلاء لأنَّ ذلك مع ما فيه من المشقَّة على صاحبه قد يحصل به التَّفريط في بعض أمور الدِّين، وقد يضيِّق صدره بحمله فلا يصبر فيكون ذلك سببًا في الإثم.

قوله: (**ودرك الشَّقَاء**)؛ الدَّرَك رُوِي بفتح المهملة وإسكانها، فبالفتح الاسم، وبالإسكان المصدر، وهو شدَّة المشقَّة في أمور الدُّنيا وضيقها عليه وحصول الضَّرر البالغ في بدنه أو أهله أو ماله، وقد يكون باعتبار الأمور الأخرويَّة؛ وذلك بما يحصل عليه من التَّبعة والعقوبة بسبب ما اكتسبه من الوزر واقترفه من الإثم. استعاذ ﷺ من ذلك؛ لأنَّه النِّهاية في البلاء والغاية في المحنة، وقد لا يصبر من امتحنه الله به فيجمع بين التَّعب عاجلًا والعقوبة آجلا.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٤٩).

قوله: (**وسوء القضاء**)؛ هو ما يسوء الإنسان ويحزنه من الأقضية المقدَّرة عليه، وذلك أعمُّ من أن يكون في دينه أو في دنياه أو في نفسه أو في أهله أو في ماله، وفي الاستعاذة منه ﷺ من ذلك ما يدلُّ على أنَّه لا يخالف الرِّضا بالقضاء؛ فإنَّ الاستعاذة من سوء القضاء هي من قضاء الله ﷻ وقدره، ولهذا شرعها لعباده ومن هذا ما ورد في قنوت الوتر السَّابق بلفظ: «**وقني شرَّ ما قضيت**».

والحاصل أنَّها قد وردت السُّنَّة الصَّحيحة ببيان أنَّ القضاء باعتبار العباد ينقسم إلى قسمين: خير وشرٍّ، فإنَّه قد شُرع لهم الدُّعاء بالوقاية من شرِّه والاستعاذة منه، ولا ينافي هذا ما ورد عنه ﷺ في بيان معنى الإيمان لمَن سأله عنه بقوله: «**أَنْ نُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِهِ وَالقَدَر خَيْرِه وَشَرِّه**». كما هو ثابت في الصَّحيحين[1] عنه ﷺ وغيرهما من طرق، فإنَّه يمكن أن يكون الإنسان مؤمنًا بما قضاه الله ﷻ من خير وشرٍّ، مستعيذًا بالله من شرِّ القضاء، عاملًا بمجموع الأدلَّة، فحديث الإيمان بالقضاء كما دلَّ على أنَّه من جملة ما يصدُق عليه مفهوم مطلق الإيمان دلَّ على أنَّ القضاء منقسم إلى ما هو خير وإلى ما هو شرٌّ، كما قال: «**والقَدَر خَيْره وَشَرِّه**»، ثمَّ بيَّن ﷺ بما وقع منه من الاستعاذة من شرِّ القضاء أنَّ ذلك جائز للعباد، بل سُنَّة قويمة وصراط مستقيم.

قوله: (**وشماتة الأعداء**)؛ الشَّماتة هي فرح الأعداء بما يقع على الشَّخص من المكروه ويحلُّ به من المحنة، قال في الصِّحاح: الشَّماتَةُ: الفرح بِبَلِيَّةِ العدوِّ، يقال: شَمِتَ به، يَشْمَتُ شَماتَة. وباتَ فلانٌ بليلة الشَّوامِت؛ أي: بليلةٍ تُشْمِتُ الشَّوامتَ. انتهى. وفي القاموس شمِتَ كفَرِحَ، شماتًا وشَماتةً: فَرِحَ بِبَلِيَّة العَدُوِّ، وفي النِّهاية: شماتة الأعداء

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٧٧٧)، ومسلم (٨).

فرح العدوِّ ببليةٍ تنزل بمَن يعاديه انتهى.

استعاذ ﷺ من شماتة الأعداء لعظم موقعها وشدَّة تأثيرها في الأنفس البشريَّة ونفور طباع العباد عنها، وقد يتسبَّب عن ذلك تعاظم العداوة المفضية إلى استحلال ما حرَّمه الله سبحانه وتعالى»[(١)].

والذُّنوب من أقوى الأسباب الجالبة لجهد البلاء، ودرك الشَّقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

قال ابن القيِّم رحمه الله: «ولولا القواطع والآفات لكانت الطَّريق معمورة بالسَّالكين، ولو شاءَ الله لأَزالها وذهب بها، ولكن الله يفعل ما يريد، والوقت كما قيل سيفٌ فإن قطعْته وإلَّا قطَعك. فإذا كان السَّير ضعيفًا، والهمَّة ضعيفة، والعلم بالطَّريق ضعيفًا، والقواطع الخارجة والدَّاخلة كثيرة شديدة؛ فإنَّه جهد البلاء ودرك الشَّقاءِ وسوء القضاء وشماتة الأعداءِ، إلَّا أن يتداركه الله برحمة منه من حيث لا يحتسب فيأْخذ بيده ويخلِّصه من أَيدى القواطع. والله وليُّ التَّوفيق»[(٢)].

وكثيرًا ما يسأل مَن كبَّلَتْهم الذُّنوب وأرَّقَتْهم الخطايا والمعاصي وأعاقتهم عن سلوك سبيل طاعة الله جل وعلا عن الأسباب المعينة لهم على الخلاص من الذُّنوب والفكاك منها للسَّلامة من عواقبها الدُّنيويَّة والأخرويَّة، وكذلك مَن تنازعهم نفوسهم لفعل الذُّنوب والمعاصي بسبب كثرة المغريات وتنوُّع دواعي الشَّهوات.

ولعلِّي أُذكِّر ببعض الأمور المعينة لعبد الله المؤمن على الخلاص من الذُّنوب والفكاك منها:

فمن أعظم المعينات على الخلاص من الذُّنوب: الحياء من الله

---

(١) تحفة الذَّاكرين (٤٤٦ - ٤٤٧). (٢) طريق الهجرتين (ص١٨٥).

جلَّ في علاه؛ فإنَّ العبد إذا علِم بنظر الله إليه واطِّلاعه عليه، وأنَّه من الله بمسمع ومرأى، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا تخفى عليه خافية، استحيا من الله أن يراه حيث نهاه، وأن لا يراه حيث أمره.

ومن المعينات: محبَّة الله جَلَّوَعَلَا الَّذي يجب أن تُعمر بها القلوب؛ فإنَّ هذه المحبَّة من أعظم الرَّوادع وأشدِّها دفعًا للذُّنوب، فإنَّ المُحِبَّ لمَن أحبَّ مطيع.

ومن المعينات: الخوف من الله جَلَّوَعَلَا، ويحرِّك هذا الخوف في القلب: أن يكون على معرفة بالله وعظمته جلَّ في علاه، وشدَّة انتقامه، ووعده ووعيده، ودار جزائه، وما أعدَّ فيها من أنواع العقوبات.

ومن الأمور المعينة للعبد على الخلاص من الذُّنوب: معرفة نعم الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ نعم الله جَلَّوَعَلَا تتتالى على العبد وتتوالى عليه في كلِّ وقت وحين، فلا يليق بعبدٍ نِعَم الله عليه تتتالى أن يقابل هذه النِّعم بذنوبٍ تسخط المنعَم وتزيل النِّعم، وتجلب له جهدَ البلاء ودركَ الشَّقاءِ وسوء القضاء وشماتة الأعداءِ.

ومن الأمور المعينات على الخلاص من الذُّنوب: النَّظر في عواقبها الوخيمة ومآلاتها الأليمة وأضرارها المتنوِّعة في الدُّنيا والآخرة.

ومن المعين على الخلاص من الذُّنوب: شرف النَّفس وزكاؤها ورفعتها وعلوُّها؛ فلا يليق بصاحب نفسٍ شريفة أن يدنِّسها ويحقِّرها ويلوِّثها بأوضار الذُّنوب والمعاصي، ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١].

ومن الأمور المعينة على الخلاص من الذُّنوب: قصر الأمل، وأن يستحضر العبد أنَّ مُدَّة المقام في هذه الحياة الدُّنيا لا تطول، فإنَّ الآخرة مقبلة والدُّنيا مدبرة، فلا أنفع للعبد من قصر الأمل، ولا أضرَّ

عليه من التَّسويف وطول الأمل.

ومن الأمور المعينة للعبد على الخلاص من الذُّنوب: تجنُّب الفضول؛ فضول المطعم والمشرب والمأكل والملبس وغير ذلك، فإنَّ كثرة الفضول تمرض القلب وتعيق عن الوصول.

ومن الأمور المعينات على الخلاص من الذُّنوب والفكاك منها: تجديد الإيمان؛ فإنَّ الإيمان بحاجة إلى أن يُجدَّد، وفي الحديث المأثور عن نبيِّنا ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ**»[(١)]. وإذا تجدَّد الإيمان في القلب أبعد عن النَّفس تعلُّقها بالذُّنوب وإقبالها على المعاصي، ودعاها إلى ما يقرِّب من الله ويدني من رحمته جلَّ في علاه.

ولا بُدَّ مع هذه الأسباب وبذل الوسع في الإتيان بها من أن يستعين بالله وأن يطلب المدد والعون منه جلَّ في علاه، وأن يصدُق في الدُّعاء وأن يحسن في الالتجاء، وأن يكثر من الإلحاح على الله جلَّ في علاه أن يقيه ويهديه ويصلحه ويزكِّيه، فالتَّوفيق بيد الله وحده لا شريك له ولا ربَّ سواه.

---

(١) رواه الطَّبرانِيُّ في المعجم الكبير (١٤٦٦٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح الجامع (١٥٩٠).

شرح حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ...»

روى مسلم في صحيحه[(١)] عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: لاَ أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ، كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا».

بدأ زيد بن أرقم رضي الله عنه هذا التَّعوُّذ بأسلوب فيه تشويقٌ وتأكيد على الاهتمام والعناية بما سيرويه لهم، فقال: «لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُول»؛ ونستفيد من هذا عظمَ عناية الصَّحابة رضي الله عنهم بالمأثور عن النَّبيِّ ﷺ من الدَّعوات، وشدَّةَ محافظتهم عليها بألفاظها كما كان ﷺ يقولها. إدراكًا منهم رضي الله عنهم أنَّ نبيَّنا عليه الصلاة والسلام أوتي جوامع الكلم في دعواته العظيمة، وأنَّ دعواته اشتملت على المطالب العالية والمقاصد العظيمة.

أوَّل هذا الحديث وهو قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ»؛ اشتمل على التَّعوُّذ من ستَّة أمور تقدَّم الكلام عنها في الأحاديث السَّابقة.

(١) رواه مسلم (٢٧٢٢).

قوله: (**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا...**)، إلى آخر الحديث تضمَّن الدُّعاء بتقوى النَّفس وتزكيتها، والاستعاذة من أمور أربعة: من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها. وهي أمور عظيمة ومطالب جليلة يحسن الوقوف عندها وتأمُّل معانيها ومقاصدها.

قال العلَّامة الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اشتمل هذا الحديث على الدُّعاء منه ﷺ بأن يعطي اللهُ سبحانه نفسَه تقواها وأن يزكيها، أي: يجعلها زاكية كاملة في الإيمان. ثمَّ استعاذ «**من علم لا ينفع**»؛ لأنَّه يكون وبالًا على صاحبه وحجَّةً عليه، واستعاذ أيضًا من «**القلب الَّذِي لا يخشع**»؛ لأنَّه يكون حينئذ قاسيًا، لا تؤثِّر فيه موعظة ولا نصيحة، ولا يرغب في ترغيبٍ ولا يرهب من ترهيب. واستعاذ من «**النَّفس الَّتِي لا تشبع**»؛ لأنَّها تكون متكالبةً على الحطام، متجرِّئةً على المال الحرام، غير قانعةٍ بما يكفيها من الرِّزق، فلا تزال في تعب الدُّنيا وعقوبة الآخرة. واستعاذ من «**الدَّعوة الَّتِي لا يستجاب لها**»؛ لأنَّ الرَّبَّ سبحانه هو المعطي المانع، الباسط القابض، الضَّارُّ النَّافع، فإذا توجَّه العبد إليه في دعائه ولم يستجب دعوته فقد خاب الدَّاعي وخسر؛ لأنَّه طُرد من الباب الَّذِي لا يستجلب الخير إلَّا منه، ولا يُستدفع الضُّرُّ إلَّا به»[1].

قوله: (**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**)، فيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشَّمس: ٧-١٠].

---

(١) تحفة الذَّاكرين (ص٤٢٠).

(**آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا**)، أي: مُنَّ عليَّ بأن تكون نفسي نفسًا تقيَّة لله ﷻ محقِّقة لتقواه ﷻ، وأصل التَّقوى ومنبعها النَّفس، كما قال ﷺ: «**التَّقْوَى هَا هُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

(**وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا**)؛ زكِّها: طهِّرها وأبعدها عن الدَّنس والسُّوء ورذيل الأعمال ووفِّقني أن تكون نفسي زكيَّة مطيعة لله خاضعة له جلَّ في علاه، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾؛ أي: زكَّى نفسه بالإيمان والطَّاعة والخُلق الفاضل والاستقامة على عبادة الله، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾، أي: غمس نفسه في الخسائس والرَّذائل والأمور الَّتي حرَّمها الله على عباده؛ فالطَّاعةُ تُزكِّي النَّفس وتُطهِّرها فترتفع، والمعاصي تُدَسِّي النَّفس وتقمعها فتنخفض وتصيرُ كالَّذِي يُدَسُّ في التُّراب.

(**أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا**): هذا تفويض لله ﷻ وأنَّك لا تملك من تزكية نفسك شيئًا ولا حول ولا قُوَّة لك إلَّا بالله، ولا يمكن أن تتزكَّى نفسُك إلَّا إذا زكَّاها الله، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء:٤٩]،، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النُّور:٢١]. فهذا تفويض لله ولجوء تامٌّ له جلَّ في علاه.

(**أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**)؛ هذان إسمان لله، عظيم أن تتوسَّل إلى الله بهما في هذا المقام؛ (الوليُّ) و(المولى)، وفيهما أنَّه سبحانه يتولَّى عبده المؤمن توفيقًا وتسديدًا وحفظًا ومعونةً ونصرًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمَّد:١١].

فهو سبحانه الَّذِي يتصرَّف في النَّفس بما أراد من إعطائها التَّقوى والتَّزكية لها من العيوب والآثام. فالعبد في كلِّ لحظة من لحظات حياته مفتقرٌ إلى ربِّه، أن يهديه ويزكِّيَ قلبه، وقد كان عامَّة أدعية النَّبِيِّ ﷺ

متضمِّنة لطلب التَّوفيق وتزكية الله له واستعماله في محابِّه.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ: «والله سبحانه قد أمرهم أن يطلبوا منه جميع ما يحتاجون إليه من هدى ورشاد وصلاح في المعاش والمعاد ومغفرة ورحمة، وكان النَّبيُّ ﷺ يقول في الحديث الصَّحيح[1]: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعِفَّة والغِنَى». ويقول: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا؛ وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»[2]»[3].

قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ)؛ هذا تعوُّذ من كلِّ علم لا ينفع، سواء كان لم يؤذن في تعلُّمه شرعًا، أو لم يصحبه عمل، أو لم يهذِّب الأخلاق الباطنة فيسري منها إلى صلاح الأفعال الظَّاهرة، وكما قيل:

يا مَن تقاعد عن مكارم خُلْقه ... ليس التَّفاخر بالعلوم الزَّاخرة
مَن لم يُهَذِّب علمُه أخلاقَه ... لم ينتفع بعلومه في الآخرة

وقدَّم العلم على العمل؛ لأنَّ العمل بدون علم ضلال.

قوله: (وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ)؛ أي: تمرُّ عليه المواعظ والزَّواجر والقوارع وهو مستمرٌّ في لهوه وغيِّه وصدوده وإعراضه، لا يتأثَّر بالزَّواجر والعبر والعظات، مضيِّع للطَّاعة والعبادة، نفسه منهمكة في الذُّنوب والمعاصي.

(وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ)؛ أي: لا همَّ لها إلَّا الدُّنيا مكبَّةً عليها منخرطة في جمعها وتحصيلها منصرفة إليها، حتَّى أنَّ بعض النَّاس من شدَّة إكبابه على الدُّنيا ينادى في المساجد: (حيَّ على الصَّلاة، حيَّ على

(١) رواه مسلم (٢٧٢١).
(٢) رواه مسلم (٢٧٢٢).
(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٥١٤).

الصَّلاة قد قامت الصَّلاة قد قامت الصَّلاة) فيبقى لاهيًا بدنياه لا يذهب الى بيوت الله سبحانه، ومهما كثر ماله فنفسه لا تشبع.

(**وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**)؛ أي: دعوة مردودةٍ على صاحبها، والدُّعاء مستجاب لا يُرَدُّ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]، لكن إذا افتقد ضوابطه وقيوده الَّتي بها يكون مستجابًا يُرَدُّ ولا يستجاب، وهي مبيَّنة في سُنَّة النَّبيِّ ﷺ. فقوله في هذا الدُّعاء: «**وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**» يتضمَّن طلب التَّوفيق للقيام بشروط الدُّعاء وآدابه المأثورة في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-.

قال الطِّيبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّ في كلٍّ من القرائن الأربع ما يُشعر بأن وجوده مبنيٌّ على غايته، وأنَّ الغرض منه تلك الغاية؛ وذلك أنَّ تحصيل العلوم إنَّما هو للانتفاع بها، فإذا لم ينتفع به لم يخُلص منه كفافًا بل يكون وبالًا ولذلك استعاذ، وأنَّ القلب إنَّما خُلق؛ لأن يتخشَّع لبارئه وينشرح لذلك الصَّدر ويُقذف النُّور فيه، فإذا لم يكن كذلك كان قاسيًا فيجب أن يستعاذ منه، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزُّمر:٢٢]، وأنَّ النَّفس يُعتدُّ بها إذا تجافت عن دار الغرور وأنابت إلى دار الخلود، وهي إذا كانت منهومةً لا تشبع حريصةً على الدُّنيا كانت أعدى عدوِّ المرء، فأولى الشَّيء الَّذي يستعاذ منه هي -أي: النَّفس-، وعدم استجابة الدُّعاء دليل على أنَّ الدَّاعي لم ينتفع بعلمه وعمله ولم يخشع قلبه ولم تشبع نفسه»[١].

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٧٠٨).

ومن فوائد هذا الحديث العظيمة: أنَّ أهمَّ ما ينبغي على المسلم إصلاحُه والعناية به قلبُه الَّـذِي بين جنبيه؛ فإنَّ القلب هو أساس الأعمال، وأصل حركات البدن؛ فإن طاب القلب طاب البدن، وإن فسدَ فسد، وقد كان ﷺ يهتمُّ بإصلاح القلب غاية الاهتمام ويعنى به تمام العناية، ويوصي بذلك في كثير من أحاديثه الشَّريفة ويضمِّن ذلك كثيرًا من أدعيته المنيفة، فكان ﷺ يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا**»[١]، ويقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ**»[٢]، ويقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ نَقِّ قَلْبِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ**»[٣].

فمتى صلح قلب المسلم بالأعمال الزَّاكية والإخلاص والصِّدْق والمحبَّة لله ولرسوله ﷺ استقامت جوارحه وصلح ظاهره كما في حديث النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[٤]، فصلاح حركات العبد الظَّاهرة بحسب صلاح حركة قلبه وباطنه، فإن كان قلبه سليمًا ليس فيه إلَّا محبَّة الله ومحبَّة ما يحبُّه الله وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات جوارحه كلِّها، بخلاف ما إذا كان قلبه فاسدًا قد استولى عليه حبُّ الهوى واتِّباع الشَّهوات وتقديم حظوظ النَّفس فإن كان كذلك فسدت حركات جوارحه كلِّها.

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣).
(٢) رواه التِّرمذيُّ (٣٤٨٢)، والنَّسائِيُّ (٥٤٥٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٣) رواه الطَّبرانِيُّ في الدُّعاء (١٣٤٥).
(٤) رواه البخاريُّ (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثمَّ القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضَّرورة، لا يمكن أن يتخلَّف البدن عمَّا يريده القلب...». إلى أن قال:

«فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علمًا وعملًا قلبيًّا لزم ضرورةً صلاحَ الجسد بالقول الظَّاهر والعمل بالإيمان المطلق»(١).

ولهذا فإنَّ من أعظم ما يقوِّي إيمان الشَّخص الظَّاهر والباطن: أن يجاهد نفسه مجاهدةً تامَّة على إصلاح قلبه وعمارته بمحبَّة الله، ومحبَّة ما يحبُّه وبغض ما يبغضه الله من الأقوال والأعمال الظَّاهرة والباطنة، ومَن تمَّ له هذا تمَّ له إيمانه، وفي الدُّعاء المأثور: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ**»(٢)، وسيأتي كلام عنه.

وقد ثبت عن نبيِّنا ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**»(٣)، ومعنى هذا: أنَّ كلَّ حركات القلب والجوارح إذا كانت كلُّها لله فقد كمُل إيمان العبد بذلك باطنًا وظاهرًا، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح، فإذا كان القلب صالحًا ليس فيه إلَّا إرادة الله وإرادة ما يريده لم تنبعث الجوارح إلَّا فيما يريده، وسارعت إلى ما فيه رضاه، وكفَّت عمَّا يكره.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٨٧).
(٢) رواه التِّرمذيُّ (٣٤٩٠).
(٣) رواه أبو داود (٤٦٨١)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

شرح حديث: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ...»

روى مسلم في صحيحه[(١)] عَن ابنِ عَبَّاسٍ ﭬ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ**».

هذه الدَّعوة شأنها عظيم وفوائدها لا حدَّ لها ولا عدَّ، وقد جمعت الخير كلَّه؛ خيرَ الدُّنيا والآخرة، وهي تبيِّن أثرَ إيمان العبد بأسماء الله ﻷ وصفاته في تحقيقِ العبوديَّة لله، وتحقِّق النَّجاة من الضَّلال والانحراف عن صراط الله المستقيم وسبيله القويم ودينه الحنيف.

قوله: (**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ**)؛ أي: استسلمت وانقدتُ لأمرك ونهيك، وقَدَّم الجارَّ والمجرور «**لك**» لإفادة القصر والاختصاص، أي: أسلمتُ لك وحدك لا لغيرك.

وقوله: (**وبك آمنت**)؛ أي: بذاتك العليَّة وما يليق بها من صفات الكمال آمنت، أي: صدَّقت وأقررت، ويدخل في الإيمان به سبحانه الإيمانُ بكلِّ ما أمر عباده بالإيمان به كالملائكة والرُّسل واليوم الآخر.

وقوله: (**وعليك توكَّلت**)؛ أي: فوَّضت أمري إليك دون غيرك، قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمر:٣٦]، وقال تعالى:

---

(١) رواه مسلم (٢٧١٧).

﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطَّلاق:٣].

وقوله: (**وإليك أنبت**) من الإنابة، أي: رجعتُ إلى عبادتك وما يقرِّب إليك، وأعرضتُ عمَّا سوى ذلك.

وقوله: (**وبك خاصمت**)؛ أي: بك أحتجُّ وأدافع، وبما أعطيتني من البراهين والحجج خاصمت أعداءك أعداء الدِّين بالبراهين القويَّة، وفلجتُ حجَّتهم بالحجج المتينة، وكلُّ ذلك من الاعتصام بالله، ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقوله: (**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذ بِعِزَّتِك**)؛ هو استعاذةٌ بصفة من صفات الله وهي العِزَّة، والعِزُّ في الأصل: القُوَّة والشِّدَّة والغلبة والمنعة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾ [المنافقون:٨]، أي: له القُوَّة والغلبة.

وقوله: (**لا إله إلَّا أنت**) شهادة وإقرار بتوحيد الله، ومعناها: لا معبود بحقٍّ إلَّا الله.

وقوله: (**أن تُضِلَّنِي**)، أي: من أن تُضِلَّنِي، وهو متعلِّق بـ«**أعوذ بعزَّتك**»؛ وفي هذا أنَّ الهداية والضَّلال بيد الله عَزَّ وَجَلَّ، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف:١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [الزُّمر:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٖ﴾ [الشُّورى:٤٦]، وقال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام:٣٩].

وقوله: (**أنت الحيُّ الَّذِي لا يموت**)؛ ثناء على الله تعالى بصفة من صفات كماله، وهي الحياة التَّامَّة المنزَّهة عن النَّقص والفناء، وذِكر النَّبِيِّ ﷺ اسم الله (الحيِّ) متوسِّلًا إلى الله به أن ينجيه من الضَّلال، يفيد أنَّ إيمان العبد بهذا الاسم العظيم من أعظم أسباب حياة قلبه ونجاته من الضَّلال، وهو من أعظم الوسائل المقرِّبة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولكن بتحقيق

الإيمان بهذا الاسم، وفهم دلالته، والقيام بما يقتضيه من عبوديَّة وذُلٍّ وخضوع لله تبارك وتعالى.

وقوله: (والجنُّ والإنْسُ يَمُوتُون)؛ تأكيدٌ لانفراد الله تعالى بكمال الحياة، وأنَّ الاعتماد لا يكون إلَّا على الحيِّ الَّذِي لا يموت، وأمَّا الأحياء الَّذِين يموتون فلا يُعتمد عليهم فكيف بالأموات والمقبورين!!

ومَن سوى الله لا يخرج عن ثلاثة أحوال: إمَّا حيٌّ سيموت، أو حيٌّ قد مات، أو جمادٌ لا حياة له؛ وكلُّ هؤلاء لا يستحقُّون شيئًا من العبادة ولا التَّوكُّل، قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «معنى «**أسلمت**»: استسلمت وانقدت لأمرك ونهيك، «**وبك آمنت**»، أي: صدَّقت بك وبكلِّ ما أخبرت وأمرت ونهيت، «**وإليك أنبت**»، أي: أطعت ورجعت إلى عبادتك، أي: أقبلت عليها، وقيل معناه: رجعت إليك في تدبيري، أي: فوَّضت إليك، «**وبك خاصمت**»، أي: بما أعطيتني من البراهين والقُوَّة خاصمت من عاند فيك وكفر بك، «**وإليك حاكمت**»، أي: كلُّ مَن جحد الحقَّ حاكمته إليك وجعلتك الحاكم بيني وبينه لا غيرك ممَّا كانت تحاكم إليه الجاهليَّة وغيرهم من صنم وكاهن ونار وشيطان وغيرها، فلا أرضى إلَّا بحكمك ولا أعتمد غيره»(١).

ثمَّ إنَّ في هذه الدَّعوة جماعَ ما تكون به نجاة العبد من الضَّلال، فلو قال قائل: الدُّنيا فيها مُضِلَّات كثيرة وفتن متنوعة وصوراف عن الطَّاعة عديدة؛ فما الَّذِي أسلم به من الضَّلال؟

---

(١) شرح النَّوويِّ لمسلم (٦/ ٥٥).

يقال: هذه الدَّعوة المباركة وافية بتحقيق هذا المطلب، لكن بفقهها وحسن دعاء الله ﷻ بها، فالسَّلامة من الضَّلال -كما تدلُّ عليه هذه الدَّعوة- **بأمرين:**

الأمر الأوَّل: الالتجاء الصَّادق إلى الله أن يعيذ عبده من الضَّلال مع اليقين أنَّ الأمر بيده وطوع تدبيره، قال: «**أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوت، وَالجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ**»[1]، فالأمر بيده سبحانه: ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٨]، وفي الحديث القدسيِّ[2] يقول ﷻ: «**كُلُّكُم ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُه فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُم**»، أي: اطلبوا منِّي الهداية.

الأمر الثَّاني: مجاهدة النَّفس على تحقيق ما خُلقت له، وتأمَّل هذا في التَّوسُّلات الَّتِي بُدئت بها هذه الدَّعوة: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ**»؛ فهذه خمسة أمور يتوسَّل العبد إلى الله بها، لكن مع التَّوسُّل بها لا بُدَّ من مجاهدة النَّفس على تحقيق شرائع الإسلام وتعلُّمها والقيام بها، وعلى القيام بحقائق الإيمان؛ تعلُّمها وعمارة القلب بها، وعلى حسن الصِّلة بالله والاعتماد عليه وتفويض الأمور كلِّها إليه في جميع أحوال العبد وأموره الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، وعلى الإنابة إلى الله وهي الرُّجوع إلى الله، وكلُّ بني آدم خطَّاء، فعند أدنى خطأ يبادر إلى الإنابة والرُّجوع إلى الله ﷻ مخلصًا لله في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته؛ فيتوسَّل إلى الله بهذا الإيمان والعمل الصَّالح أن ينجيه من الضَّلال.

ونظير هذا ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ

---

(١) رواه مسلم (٢٧١٧). (٢) رواه مسلم (٢٥٧٧).

بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [اللَّيل: ٥-١٠].

فقد جمعت الأمرين:

الأوَّل: التَّوكُّل على الله، وحسن الالتجاء إليه، وطلب الهداية منه؛ لأنَّ الأمر بيده سبحانه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولهذا كان الصَّحابة رضي الله عنهم يقولون: «لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلَّينا»(١)، وفي رواية: «ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا»(٢)، فالأمر بيد الله ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]، وهي منَّته سبحانه على مَن شاء من عباده.

الثَّاني: مباشرة الأسباب الَّتي تنال بها الهداية، «أَعْطَى»، «وَاتَّقَى»، «وَصَدَّقَ». هذه أسباب يفعلها العبد ويجاهد نفسه على تحقيقها، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فتحصَّل من هذا أنَّ السَّعادة في الدُّنيا والآخرة لا تُنال إلَّا بتحقيق هذين الأمرين والقيام بهذين المطلبين: مجاهدة النَّفس على الأعمال، مع الاستعانة بالله جلَّ وعلا ودوام سؤاله.

روى مسلم في صحيحه(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِز، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ،**

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٦٢٠).
(٢) رواه البخاريُّ (٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٧).
(٣) رواه مسلم (٢٦٦٤).

فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». فقوله ﷺ: «**احْرِص عَلَى مَا يَنْفَعُك وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» كلام جامع مشتمل على ما فيه سعادة العبد في الدُّنيا والآخرة.

قال الشَّيخ عبد الرَّحمن السِّعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمدار سعادته وتوفيقه على الحرص والاجتهاد في الأمور النَّافعة مع الاستعانة بالله تعالى، فمتى حرص العبد على الأمور النَّافعة واجتهد فيها وسلك أسبابها وطرقها واستعان بربِّه في حصولها وتكميلها؛ كان ذلك كماله وعنوان فلاحه. ومتى فاته واحد من هذه الأمور الثَّلاثة فاته من الخير بحسبها، فمَن لم يكن حريصًا على الأمور النَّافعة بل كان كسلانًا، لم يدرك شيئًا. فالكسل هو أصل الخيبة والفشل، فالكسلان لا يدرك خيرًا، ولا ينال مكرمة، ولا يحظى بدين ولا دنيا، ومتى كان حريصًا ولكن على غير الأمور النَّافعة؛ إمَّا على أمور ضارَّة، أو مفوِّتة للكمال كان ثمرة حرصه الخيبة، وفوات الخير، وحصول الشَّرِّ والضَّرر، فكم من حريص على سلوك طرق وأحوال غير نافعة لم يستفد من حرصه إلَّا التَّعب والعناء والشَّقاء. ثمَّ إذا سلك العبد الطُّرق النَّافعة وحرص عليها واجتهد فيها لم تتمَّ له إلَّا بصدق اللَّجأ إلى الله والاستعانة به على إدراكها وتكميلها، وأن لا يتَّكل على نفسه وحوله وقُوَّته، بل يكون اعتماده التَّامُّ بباطنه وظاهره على ربِّه؛ فبذلك تهون عليه المصاعب، وتتيسَّر له الأحوال، وتتمُّ له النتائج والثَّمرات الطَّيِّبة في أمر الدِّين وأمر الدُّنيا»[١].

الحاصل: أنَّ العبد مفتقرٌ إلى الله أن يعيذه من طريق الضَّلال، وأن يأخذ بناصيته إلى طريق الهداية وأن يثبِّته على الحقِّ، وأن يمنَّ عليه بالتَّوفيق والهداية والسَّداد، وأن يجعله من أهل السَّعادة أهل الجنَّة، مفتقر إليه في كلِّ حركة وسكون، مفتقر إلى عفوِّ الله سبحانه ورحمته،

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرَّة عيون الأخبار للسِّعديِّ (ص ٣٤).

فليس أمامه إلَّا أن يلجأ إلى الله ﷻ في كلِّ وقت وحين أن يثبِّته ويعينه ويسدِّده وأن يعيذه من الضَّلال.

روى الإمام أحمد في كتاب «الزُّهد» عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير قال: «تذكرتُ ما جماع الخير؛ فإذا الخير كثير الصَّوم والصَّلاة، وإذا هو في يد الله عَزَّ وَجَلَّ، وإذا أنت لاَ تقدر على ما في يد الله عَزَّ وَجَلَّ إلَّا أن تسأله فيعطيك فإذا جماع الخير الدُّعاء»(١).

ومع الدُّعاء لا بُدَّ من بذل الأسباب والصَّبر على فعلها ومجاهدة النَّفس مجاهدة تامَّة على لزوم طريق الخير، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩]. فهذا أصل شريف وعظيم لا بُدَّ من فهمه، ولا نجاة للعبد في هذه الحياة إلَّا بتحقيقه، والتَّوفيق بيد الله وحده لا شريك له.

---

(١) رواه أحمد في الزُّهد (١٣٤٤).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ...»

روى ابن ماجه وأحمد[1] عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا».

وفي رواية للبخاريِّ في «الأدب المفرد»[2] أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِجُمَلِ الدُّعَاءِ وَجَوَامِعِهِ»، فَلَمَّا انْصَرَفْتُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا جُمَلُ الدُّعَاءِ وَجَوَامِعُهُ؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ...». وفي رواية عند أحمد والحاكم[3]: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكِ بِالْكَوَامِلِ»، وذكر هذا الدُّعاء. وجاء في رواية عند أبي بكر الأثرم[4] أنَّه ﷺ قال لها: «مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَأْخُذِي

---

(١) رواه أحمد (٢٥٠١٩)، وابن ماجه (٣٨٤٦)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٢) رواه البخاريُّ في الأدب المفرد (٦٣٩)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٣) رواه أحمد (٢٥١٣٧)، والحاكم في المستدرك (١٩١٤)، وصحَّحه الألبانِيُّ في أصل صفة الصَّلاة (٣/ ١٠١٢).
(٤) رواه الطَّحاويُّ في مشكل الآثار (٦٠٢٨).

بِجَوَامِعِ العِلْمِ وَفَوَاتِحِهِ».

فدلَّت هذه الرِّوايات على أنَّ هذا الدُّعاء من جوامع الأدعية الَّتِي تجمع المعاني الكثيرة والمقاصد العظيمة والغايات الصَّالحة بألفاظ يسيرة؛ ذلك أنَّه ﷺ قد أوتي جوامع الكلم وجوامع الدُّعاء وكوامله، وقد روى الإمام أحمد في مسنده[(١)] من حديث عائشة رضي الله عنها «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعْجِبُهُ الْجَوَامِعُ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ»، وهذا ظاهر بيِّن في هذا الحديث الجامع.

قال الحليميُّ رحمه الله: «هذا من جوامع الكلم الَّتِي استحبَّ الشَّارع الدُّعاء بها؛ لأنَّه إذا دعا بهذا فقد سأل الله من كلِّ خير وتعوَّذ به من كلِّ شرٍّ، ولو اقتصر الدَّاعي على طلب حسنة بعينها أو دفع سيِّئة بعينها كان قد قصَّر في النَّظر لنفسه»[(٢)].

وقال الشَّوكانِيُّ رحمه الله: «ولا شيءَ أجمعُ ولا أنفعُ من هذا الدُّعاء؛ فإنَّ رسول الله ﷺ قد صحَّ عنه من الأدعية الكثير الطَّيِّب، وصحَّ عنه من التَّعوُّذ ممَّا ينبغي التَّعوُّذ منه الكثير الطَّيِّب، حتَّى لم يبق خير في الدُّنيا والآخرة إلَّا وقد سأله من ربِّه، ولم يبق شرٌّ في الدُّنيا والآخرة إلَّا وقد استعاذ ربَّه منه، فمَن سأل الله عز وجل من خير ما سأله منه نبيِّه ﷺ واستعاذ من شرِّ ما استعاذ منه نبيِّه ﷺ فقد جاء في دعائه بما لا يحتاج بعد إلى غيره، وسأله الخير على اختلاف أنواعه، واستعاذ من الشَّرِّ على اختلاف أنواعه، وحظى بالعمل بإرشاده ﷺ إلى هذه القول الجامع والدُّعاء النَّافع»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٢٥١٥١)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح أبي داود (١٣٣٢).

(٢) انظر: فيض القدير (٢/ ١٢٨). (٣) تحفة الذَّاكرين (ص٤٥٨).

قوله: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ**)؛ شمل جميع الخيرات في الدُّنيا والآخرة، الظَّاهرة منها والباطنة.

وقوله: (**وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ**)؛ شمل جميع الشُّرور في الدُّنيا والآخرة، الظَّاهرة منها والباطنة.

وقوله: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ**)؛ تأكيد لما قبله، وتفضيل لاختيار رسول الله ﷺ على اختيار الدَّاعي، لكمال نصحه ولعظم حرصه ولكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأنصح لأنفسهم منهم عليه الصلاة والسلام.

وقوله: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ**)؛ دعاءٌ بالفوز بالجنَّة والتَّمكُّن من الأسباب الموصلة إليها، وتخصيص من الخير بطلب الجنَّة؛ لأنَّها أعظم الخير وأكمله وأبقاه.

وقوله: (**وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ**)؛ دعاءٌ بالوقاية من النَّار ومن الأسباب الموجبة لدخولها، وهو كذلك تخصيصٌ من الشَّرِّ بالاستعاذة من النَّار خاصَّة؛ لأنَّها أشدُّ الشَّرِّ وأدهاه وأبقاه.

وقوله: (**وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ تَقْضِيهِ لِي خَيْرًا**)، وفي رواية للبخاريِّ في «الأدب المفرد»[(١)]: «**وَمَا قَضَيْتَ لِي مِنْ قَضَاءٍ فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رشدًا**». وهي مُفَسِّرة لهذه الرِّواية؛ أي: أن تكون عواقب ما يقضيه الله على عبده المؤمن حميدةً ومآلاتُها رشيدة، إن قضى له بنعمة نال بها ثواب الشَّاكرين، وإن قضى له بمصيبة نال بها ثواب الصَّابرين المحتسبين.

---

(١) رواه البخاريُّ في الأدب المفرد (٦٣٩)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

وقد تضمَّن هذا الحديث فوائد عظيمة وعوائد جليلة:

فمن فوائد هذا الحديث: أهمِّيَّة تعليم الأهل والولد الدُّعاء الكامل الجامع لخيري الدُّنيا والآخرة. قال الصَّنعانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وفيه: أنَّه ينبغي للعبد تعليم أهله أحسن الأدعية؛ لأنَّ كلَّ خير ينالونه فهو له، وكلَّ شرٍّ يصيبهم فهو مضرَّة عليه»(١).

ومن فوائد هذا الحديث: عِظَمَ قدر الأدعيةِ النَّبويَّة ورفيع مكانتها، وأنَّها مشتملةٌ على مجامع الخير وأبواب السَّعادةِ ومفاتيح الفلاح في الدُّنيا والآخرة؛ فخيرُ السُّؤال أن يسألَ المسلمُ ربَّه مِن خير ما سأل منه عبدُه ورسولُه ﷺ، وأفضلُ الاستعاذة أن يستعيذ بالله من شرِّ ما استعاذ منه عبدُه ورسولُه ﷺ، ففيها فواتحُ الخير وخواتِمُه وجوامعُه، وأوَّلُه وآخرُه، وظاهره وباطنُه، فإنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد اختار لنبيِّه محمَّد ﷺ جوامعَ الأدعيةِ وفواتح الخير وتمام الأمرِ وكماله في الدُّنيا والآخرة.

ولذا نجد أئِمَّةَ العلم الأمناءَ النَّاصحين يُرغِّبون النَّاسَ في المحافظةِ على الأدعيةِ المأثورة والأذكار المشروعة، ويعتنون تمام الاعتناءِ بربط النَّاس بكتاب ربِّهم وسُنَّةِ نبيِّهم ﷺ؛ لأنَّ في ذلك السَّلامةَ والعصمةَ والفوزَ بأكبر الغنيمة، ومن ذلك قول الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ، قال: «وينبغي للخلق أن يَدْعُوا بالأدعية الشَّرعيَّة الَّتِي جاء بها الكتاب والسُّنَّة، فإنَّ ذلك لا ريب في فضله وحُسنِه، وأنَّه الصِّراطُ المستقيم، صراطُ الَّذِين أنعم الله عليهم من النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين وحسُن أولئك رفيقًا»(٢).

فتأمَّل كلامَ هذا الإمام النَّاصح وغيرِه من أهل العلم كيف أنَّهم

(١) سبل السَّلام للصَّنعانِيِّ (٢/ ٧١٧). (٢) مجموع الفتاوى (١/ ٣٤٦).

كرَّسوا جهودَهم وبذلوا أوقاتَهم وأنفاسَهم في سبيلِ تفقيهِ النَّاسِ بالسُّنَّةِ وربطِهِم بِها ودعوتِهم إلى تحقيقها وحسنِ القيام بها؛ إذ هي صراطُ الله المستقيم وحبلُه المتين.

وتأمَّل قولَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للخلق أن يدعوا بالأدعية الشَّرعيَّة الَّتِي جاء بها الكتاب والسُّنَّة»؛ تجد فيه تمامَ النَّصيحةِ للخَلْق وصِدقَ القيام بالحقِّ.

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب الحذر من الزِّيادة في أدعيته ﷺ؛ فإنَّها جوامع كوامل أتت على جميع المطالب العظيمة والمقاصد العليَّة فيما يتعلَّق بخير الدُّنيا والآخرة، وأتت على التَّعوُّذ من جميع الشُّرور في الدَّارين، فلا حاجة إلى أن يزاد فيها؛ فإنَّ الزِّيادة في الكامل نقصٌ، ولو استحسن المرء بعض الألفاظ واستجودها ومالت نفسه إلى إدراجها في الدُّعاء المأثور عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عليه أن يتركها أدبًا مع أدعية النَّبِيِّ ﷺ الكاملة العظيمة، وأن يتقيَّد بدعوات النَّبِيِّ ﷺ بألفاظها دون زيادة، وقد كان ﷺ يُعلِّم أصحابه بعض الأدعية كما يعلِّمهم السُّورة من القرآن؛ لتُضبط بألفاظها كما جاءت عنه، لا يزاد فيها ولا يُنقص منها ولا يبدَّل شيء من ألفاظها.

وبهذا يتبيَّن خطأ بعض الدَّاعين عندما يزيد في هذا الدُّعاء نفسه مع أنَّ النَّبِيَّ ﷺ وصفه بالكامل الجامع، فيقولون: «أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيُّك محمَّد ﷺ وعبادك الصَّالحون»، وكذا في التَّعوُّذ يزيدون هذه الزِّيادة! فزيادة: «وعبادك الصَّالحون» في السُّؤال والتَّعوُّذ، وهذا استدراك على هذا الدُّعاء الَّذِي وصفه النَّبِيُّ ﷺ بأنَّه دعاء جامعٌ كامل. ومن المعلوم أنَّ الصَّالحين من عباد الله ليس عندهم مطالب في أدعيتهم زائدةً عن المأثور عن النَّبِيِّ الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنَّ دعواته ﷺ أحاطت بالخير كلِّه.

وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لمَّا علَّمها النَّبِيُّ ﷺ أن تدعو هذا الدُّعاء حفظته بألفاظه، وكانت تدعو به كما سمعته من النَّبِيِّ الكريم ﷺ، وبلَّغته كما سمعته؛ فكان لها نصيب وافر من قول النَّبِيِّ ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا»(١).

ومن فوائد هذا الحديث: أنَّ للجنَّة أعمالًا وأقوالًا تقرِّب إليها وتُدني منها، وأنَّ للنَّار أعمالًا وأقوالًا تقرِّب إليها وتدني منها؛ فينبغي على العبد النَّاصح لنفسه أن يلحَّ على الله أن يُوَفِّقه للأعمال والأقوال الَّتِي تقرِّبه من الجنَّة، وأن يعيذه من الأعمال والأقوال الَّتِي تقرِّبه من النَّار، فإنَّ قولَه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ»؛ دعاء بالفوز بالجنَّة والتَّمكُّن من الأسباب الموصلة إليها، وأنَّ الجنَّة لا تُنال بمجرَّد الأماني، وإنَّما تنال ببرهان صادق من عمل صالح وقول سديد، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾. قال الله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١]، أي: فالأمانِيُّ لا تفيد ولا تجدي، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النِّساء:١٢٣]، ثمَّ ذكر البرهان فقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢]، هذا هو البرهان؛ إخلاص في العمل بإسلام الوجه لله، واتِّباع للنَّبِيِّ ﷺ وهو الإحسان في العمل.

وقوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ»؛ دعاءٌ بالوقاية من النَّار ومن الأسباب الموجبة لدخولها، كالسَّرقة والزِّنا

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٠)، والتِّرمذيُّ (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

وشرب الخمر وشهادة الزُّور وأكل الرِّبا وأكل مال اليتيم وظلم العباد والغيبة والنَّميمة وغير ذلك من المعاصي والآثام.

ومن فوائد هذا الحديث: أهمِّيَّة تفويض العبد إلى مَن يعلم عواقب الأمور أن يجعل كُلَّ قَضَاءٍ قضاه لعبده خَيْرًا ويجعل عاقبته رُشدًا، ثمَّ الرِّضا بعد ذلك بما يختاره له ويقضيه له لما يرجو فيه من حسن العاقبة، ولا يقترح على ربِّه ولا يختار عليه ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعلَّ مضرَّته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختار على ربِّه شيئًا بل يسأله حسن الاختيار له وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك، وإذا فوَّض العبد إلى ربِّه ورضي بما يختاره له أمدَّه فيما يختاره له بالقُوَّة عليه والعزيمة والصَّبر، وصرَف عنه الآفات الَّتِي هي عُرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه، وبهذا يريح نفسه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات ويُفرِغ قلبه من التَّقديرات والتَّدبيرات الَّتِي يصعد منه في عقبة وينزل في أخرى، ومع هذا فلا خروج له عمَّا قُدِّر عليه.

ويعينه على ذلك: أن يحضر في قلبه عند تقلُّبات الأمور قول النَّبيِّ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**». رواه مسلم[(١)].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

شرح حديث:
«رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ...»

روى أبو داود والتِّرمذيُّ(١) عَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي».

هذا الدُّعاء العظيم يُعَدُّ من الأدعية الجامعة، وقد اشتمل على اثنين وعشرين سؤالًا ومطلبًا هي من أهم مطالب العبد وأسباب صلاحه وسعادته في دنياه وأخراه، فينبغي الاهتمام به وملازمة التَّضرُّع به إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد ذكر الحافظ البزَّار في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيميَّة أنَّ هذا الدُّعاءَ كان غالبَ دعائه رَحِمَهُ اللهُ.

فأوَّل ذلك قوله: (ربِّ أعنِّي)، وهو طلب العون من الله، أي: وفِّقني لذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وفي مقابلة الأعداء أمدَّني بمعونتك وتوفيقك، كما قال النَّبِيُّ ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ

(١) رواه أبو داود (١٥١٠)، والتِّرمذيُّ (٣٥٥١)، وصحَّحه الألبانيُّ.

عِبَادَتِكَ». رواه أبو داود[(١)]، وروى أحمد[(٢)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟ قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**».

فقوله: (**أعنِّي**)، أي: على كلِّ خير: الطَّاعة والذِّكر والشُّكر وحسن العبادة، وأعنِّي على نفسي الأمَّارة بالسُّوء حتَّى لا تهلكني، وأعنِّي على السَّلامة من المعاصي والبعد عنها فلا تكلني إلى نفسي.

والثَّاني: قوله: (**ولا تعن عليَّ**)؛ أي: لا تغلِّب عليَّ مَن يمنعني من طاعتك؛ من النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، ومن شياطين الإنس والجنِّ، وشواغل الدُّنيا وملهياتها.

والثَّالث: قوله: (**وانصرني**)، وهو طلب النَّصر، أي: اغلبني على الكُفَّار أعدائي وأعداء دينك، وقيل: انصرني على نفسي الأمَّارة بالسُّوء فإنَّها أعدى أعدائي.

والرَّابع: قوله: (**ولا تنصر عليَّ**)؛ بمعنى: لا تسلِّط عليَّ أحدًا من خلقك.

والخامس: قوله: (**وامكر لي**)، أي: الْحِق مكرك بأعدائي وارزقني الحيلة السَّليمة والفكر القويم للسَّلامة من شرِّهم ودفع كيدهم، بحيث لا يشعر العدوُّ بما هديتني إليه من سبل دفع كيدهم وعدوانهم.

والسَّادس: قوله: (**ولا تمكر عليَّ**)، أي: ولا تهدِ عدوِّي إلى طريق دفعه إيَّاي عن نفسه.

والسَّابع: قوله: (**واهدني**)، أي: دلَّني على أبواب الخيرات، ومُنَّ عليَّ بالعلم النَّافع، وبصِّرني بعيوب نفسي.

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٢) رواه أحمد (٧٩٨٢)، وصحَّحه الألبانِيُّ في السِّلسلة الصَّحيحة (٨٤٤).

والثَّامن: قوله: (**ويسِّر الهدى لي**)، أي: وسهِّل لي اتِّباع الهداية وسلوك طريقها، وهيِّء لي أسباب الخير، حتَّى لا أستثقل الطَّاعة ولا أغفل عن العبادة.

والتَّاسع: قوله: (**وانصرني على مَن بغى عليَّ**)، أي: وانصرني على مَن ظلمني وتعدَّى عليَّ، وهذا تخصيص بعد قوله أوَّلًا: (**وانصرني ولا تنصر عليَّ**)، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقوله: «**وانصرني على مَن بغى عليَّ**» دعاءُ عادلٍ لا دعاءُ معتدٍ؛ يقول: انصرني على عدوِّي مطلقًا»(١).

والعاشر: قوله: (**اللَّهُمَّ اجعلني لك شاكرًا**)، أي: ألهمني شكرك على نعمائك وآلائك عليَّ، واجعلني كثير الشُّكر لك على نعمائك العظيمة ومننك الجسيمة وعطاياك الَّتِي لا تُعَدُّ ولا تحصى.

والحادي عشر: قوله: (**لك ذاكرًا**)، أي: في الأوقات كلِّها؛ قائمًا وقاعدًا وعلى جنب، ذاكرًا، أي: كثير الذِّكر والمواظبة عليه كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والثَّاني عشر: قوله: (**لك راهبًا**)، أي: خائفًا منك في السَّرَّاء والضَّرَّاء.

والثَّالث عشر: قوله: (**لك مطواعًا**)، أي: ملازمًا لطاعتك منقادًا لشرعك ممتثلًا لأمرك.

والرَّابع عشر: قوله: (**لك مخبتًا**) من الإخبات، وهو الخشوع والتَّواضع والخضوع، والمعنى: اجعلني لك خاشعًا متواضعًا خاضعًا. يقال: «أخبت إلى الله» اطمأنَّ إليه وخشع له وخضع، وعلامته: أن

---

(١) الرَّدُّ على البكريِّ (١/ ٢٠٧).

يذلَّ القلب بين يدي ربِّه إجلالًا وذلًّا له وانكسارًا. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج:٣٤-٣٥]. فالمخبت هو الَّذِي انكسر قلبه وخضع وذلَّ لله فأقبل على طاعة الله والإنابة إليه سبحانه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [هود:٢٣]. أي: ذلُّوا وانكسروا لله وخضعوا بين يديه جلَّ في علاه.

والخامس عشر: قوله: (**إليك أوَّاهًا منيبًا**)، الأوَّاه: هو كثير الدُّعاء والتَّضرُّع والبكاء، والمنيب: هو التَّائب الرَّاجع إلى الله في أموره. واكتفى في قوله: «**أوَّاها منيبًا**» بصلة واحدة، لكون الإنابة لازمةً للتَّأوُّه ورديفًا له، فكأنَّهما شيء واحد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود:٧٥]. وتقديم الجارِّ والمجرور في هذا وفي ما قبله للاهتمام والاختصاص وتحقيق الإخلاص.

والسَّادس عشر: قوله: (**ربِّ تقبَّل توبتي**)، أي: بجعلها صحيحة بشرائطها واستجماع آدابها؛ بأن توفِّقني أوَّلًا إلى التَّوبة وأن أكون من أهلها، وأن تكون توبة نصوحًا بحيث أكون فيها نادمًا على فعلي للذُّنوب وعلى تفريطي في جنب الله سبحانه، عازمًا على عدم العودة للذُّنوب مقلعًا عن الذُّنوب محاذرًا الوقوع فيها، فقوله تقبَّل توبتي، أي: وفِّقني للتَّوبة النَّصوح المقبولة عندك وتقبَّلها منِّي بقبول حسن.

والسَّابع عشر: قوله: (**واغسل حَوبتي**)، أي: وامح ذنبي وإثمي.

والثَّامن عشر: قوله: (**وأجب دعوتي**)، أي: دعائي، وفِّقني للدُّعاء المستجاب، وهذا يتضمَّن سلامة الدُّعاء في نفسه، ويتضمَّن التَّوفيق لتحرِّي أوقات الإجابة، ويتضمَّن السَّلامة من العدوان في الدُّعاء.

والتَّاسع عشر: قوله: (**وثبِّت حُجَّتي**)، أي: على أعدائك، وثبِّت قولي وتصديقي في الدُّنيا وعند سؤال الملكين.

والعشرون: قوله: (**واهد قلبي**)، أي: إلى معرفة ربِّي، ومعرفة الحقِّ والهدى الَّذِي أمر به وبعث به رسله؛ من إنابة إلى الله وخوف منه و محبَّة له وتعظيم له وحياء منه و غير ذلك من أعمال القلوب العظيمة الَّتِي يكون فيها صلاح القلوب. والدُّعاء لهداية القلب من أعظم الدُّعاء وأهمُّه؛ لأنَّ القلب أساس الصَّلاح أو الفساد، كما قال ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[1].

والحادي والعشرون: قوله: (**وسدِّد لساني**)، أي: صوِّب وقوِّم لساني حتَّى لا ينطق إلَّا بالصِّدق والقول السَّديد، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزاب: ٧٠]. وقال عليه ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[2].

والثَّاني والعشرون: قوله: (**واسلل سخيمة صدري**)، أي: وأخرج سخيمة صدري، وهي غشُّه وغلُّه وحقده وحسده ونحوها ممَّا ينشأ من الصَّدر ويسكن في القلب من مساوئ الأخلاق.

قال الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَوْله: (**وامكر لي وَلَا تَمْكُر عَليَّ**)، أَي: أَعنِّي على أعدائي بإيقاع الْمَكْر مِنْك عَلَيْهِم لَا عَليَّ، كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، قَوْله: (**ربِّ اجْعَلنِي لَك ذكَّارًا**)، أَي: كثير الذِّكر لَك كَمَا تفيده صِيغَة الْمُبَالغَة،

(١) رواه البخاريُّ (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

وَهَكَذَا قَوْله: (**لَك شكَّارًا**)، أَي: كثير الشُّكْر، وَهَكَذَا: (**رهَّابًا**)، أَي: كثير الرَّهبة، وَكَذَا: (**لَك مطواعًا**)، أَي: كثير الطَّاعَة لأمرك والانقياد إِلَى قبُول أوامرك ونواهيك. وَفِي تَقْدِيم الْجَار وَالْمَجْرُور فِي جَمِيع هَذِه الْأُمُور دلَالَة على الِاخْتِصَاص. قَوْله: (**مخبتًا**) من الإخبات وَهُوَ الْخُشُوع والتَّواضع والخضوع، وَالمَعْنَى: اجْعَلنِي لَك خَاشِعًا خاضعًا متواضعًا، والأوَّاه: هُوَ كثير الدُّعَاء والتَّضرُّع والبكاء، والمنيب: هُوَ الرَّاجِع إِلَى الله فِي أُمُوره، قَوْله: (**حَوبتي**) بفتح الْحَاء الْمُهْملَة وَضمِّهَا وَهُوَ الإِثْم، قَوْله: (**وَثَبِّت حُجَّتي**)، أَي: قوِّ إيماني بك وثبِّتني على الصَّوَاب عِنْد السُّؤَال، قَوْله: (**وسدِّد لساني**) السَّداد: الِاعْتِدَال فِي الْأَمر وإيقاعه على الصَّوَاب، قَوْله: (**واسلل سخيمة صَدْرِي**) السَّخيمة بِفَتْح السِّين الْمُهْملَة وَكسر الخَاء الْمُعْجَمَة هِيَ الحقد»[(١)].

وهذا الدُّعاء قائمٌ على طلب الإعانة من الله أن يجعله ذاكرًا شاكرًا مخبتًا أوَّاهًا منيبًا، وهو أنفع الدُّعاء وأعظمه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا كان من أفضل ما يُسْأل الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الإعانة على مرضاته، وهو الَّذي علَّمه النَّبِيُّ لحبِّه معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحُبِّكَ فَلَا تَنسَ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاة اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[(٢)]، فأنفع الدُّعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضادُّه، وعلى تكميله وتيسير أسبابه؛ فتأمَّلها. وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تأمَّلت أنفع الدُّعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثمَّ رأيته في الفاتحة في

---

(١) تحفة الذَّاكرين (ص٤٢٨).

(٢) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنَّسائيُّ (١٣٠٣)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين»[١].

وذلك أنَّ فقرَ المخلوق واحتياجَه لربِّه أمرٌ ذاتِيٌّ له، لا وجود له بدونه، لكنَّ المخلوقين يتفاوتون في إدراك ذلك الافتقار أو العزوب عنه، والعبد فقيرٌ إلى الله من جهتين: من جهة العبادة، ومن جهة الاستعانة،كما قال الله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فالعبد يفتقر إلى الله من جهة أنَّه معبودُه الَّذِي يحبُّه حبَّ إجلال وتعظيم، وقلبُه لا يصلح ولا يفلح ولا يُسرُّ ولا يلتذُّ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئنُّ إلَّا بعبادة ربِّه والإنابة إليه، ولو حصل له كلُّ ما يلتذُّ به من المخلوقات لَم يطمئنَّ ولم يسكن، إذ فيه فقرٌ ذاتِيٌّ إلى ربِّه من حيث هو معبودُه ومحبوبُه ومطلوبُه، وبهذا يحصل له الفرحُ والسُّرورُ واللَّذَّةُ والنِّعمةُ والسُّكونُ والطُّمأنينة. والعبد يفتقر إلى الله من جهة استعانته به للاستسلام لأمره والانقياد لحكمه والخضوع لشرعِه، إذ لا يقدر على تحصيل شيء من ذلك والقيام به إلَّا إذا أعانه الله، وإذا خلَّى الله بينه وبين نفسه هلك كلَّ الهلاك؛ ولهذا كان من دعائه ﷺ: «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[٢]. وبالله التَّوفيق، وهو وحده المستعان وعليه التّكلان، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم[٣].

---

(١) مدارج السَّالكين (١/ ١٢١).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٠)، وقال الألبانِيُّ: «حسن الإسناد».

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٩٤).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الأَخْلاَقِ...»

روى التِّرمذيُّ والحاكم[1] -واللَّفظ له- عَن زِيَادِ بنِ عِلاَقَةَ عَن عَمِّهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، وَالأَهْوَاءِ، وَالأَعْمَالِ، وَالأَدْوَاءِ».

اشتمل هذا الحديث على الاستعاذة من أربعة منكرات:

أحدها: (منكرات الأخلاق)؛ وهذا من باب إضافة الصِّفة إلى الموصوف، أي: الأخلاق المنكرة، واستعاذ منها ﷺ؛ لأنَّ الأخلاق المنكرة تكون سببًا لجلب كلِّ شَرٍّ ودفع كلِّ خير، وقد جاء في الدُّعاء: «اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»[2].

والثَّاني: (منكرات الأهواء)؛ وهو جمع هوى، واستعاذ ﷺ من الأهواء لأنَّها هي الَّتِي توقع في الشَّرِّ، وتنشأ عنها أنواع المخالفات والانحرافات.

والثَّالث: (منكرات الأعمال)؛ أي: الأعمال المنكرة، وهي الذُّنوب والمعاصي.

قال بعض أهل العلم: المراد بالأخلاق: الأعمال الباطنة، والمراد

(١) رواه التِّرمذيُّ (٣٥٩١)، والحاكم (١٩٤٩)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٢) رواه مسلم (٧٧١).

بالأعمال: الأفعال الظَّاهرة؛ فيكون قوله: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ**» جُمع فيه استعاذة من الذُّنُوب ظاهرها وباطنها.

والرَّابع: (منكرات الأدواء)؛ أي: أدواء القلوب وأسقامها، ومن أعظم أدوائه الشِّرك والذُّنوب والغفلة والاستهانة بمحابِّ الله ومراضيه، وترك التَّفويض إليه وقلَّة الاعتماد عليه والرُّكون إلى ما سواه والسَّخط بمقدوره والشَّكُّ في وعده ووعيده.

قال ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعطَف الأدواء على الأخلاق والأهواء؛ فإنَّ «الخُلق» ما صار عادةً للنَّفس وسجيَّة، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم:٤]، قال ابن عبَّاس وابن عيينة وأحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: على دين عظيم، وفي لفظ عن ابن عبَّاس: على دين الإسلام. وكذلك قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان خلقه القرآن. وكذلك قال الحسن البصريُّ: أدب القرآن هو الخلق العظيم. وأمَّا «الهوى» فقد يكون عارضًا والدَّاء هو المرض وهو تألُّم القلب والفساد فيه»(١).

وقال الشَّوكانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مُنكَرَات الْأَخلَاق؛ لِأَنَّ الْأَخلَاق الْمُنكَرَة تكون سَببًا لجلب كلِّ شَرٍّ وَدفع كلِّ خير، واستعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مُنكَرَات الْأَعْمَال لِأَنَّهَا إِذا كَانَت مُنكرَة فَهِيَ ذنُوب، واستعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الْأَهْوَاء لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي توقع فِي الشَّرِّ ويتأثَّر عَنْهَا من معاصي الله سُبْحَانَهُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ **أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ** ﴾ [الجاثية:٢٣]، وَإِذا كَانَ الْهوى يصيِّر صَاحبه باتِّباعه كالعابد لَهُ فَكَأَنَّهُ إلهه، فَلَا شَيْء فِي الشَّرِّ أَزيد من ذَلِك وَلَا أَكثر مِنْهُ، واستعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأدواء وَهِي جمع دَاء وَهُوَ السَّقم الَّذِي عرض لَهُ الإِنْسَان، وَقد يُرَاد بذلك أدواء الدِّين

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢٧).

وَالدُّنْيَا من جَمِيع مَا يضرُّ بِالبدنِ وَالدِّين»[١]. اهـ.

وقد كان رسول الله ﷺ كثير الدُّعاء والسُّؤال من الله تعالى أن يزيِّنه بمكارم الأخلاق وجميل الآداب وأن يعيذه من منكرات الأخلاق، وكان يقول ﷺ في دعائه: «**اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي**»[٢]. ويقول في دعائه: «**اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ؛ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا؛ لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**»[٣]. فاستجاب الله تعالى دعاءه ووهبه أعلى الأخلاق وأرفعها، والأخلاق هباتٌ من الله وتفضُّلٌ منه يهدي لأحسنها مَن شاء من عباده.

قال طَاوُسٍ بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ مَنَائِحُ يَمْنَحُهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْرًا مَنَحَهُ مِنْهَا خُلُقًا صَالِحًا» رواه ابن أبي الدُّنيا في مكارم الأخلاق[٤].

وعن عبدالله ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إنَّ الله تعالى قَسَمَ بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم». رواه البخاريُّ في الأدب المفرد[٥]. فالَّذي يُعطي الأرزاق هو الَّذي يُعطي الأخلاق، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الأخلاق مواهب يهبُ الله منها ما يشاء لمَن يشاء»[٦].

---

(١) تحفة الذَّاكرين (ص٤٢٣).

(٢) رواه أحمد (٣٨٢٣)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح التَّرغيب والتَّرهيب (٢٦٥٧).

(٣) رواه مسلم (٧٧١).

(٤) رواه ابن أبي الدُّنيا في مكارم الأخلاق (٣٢).

(٥) رواه البخاريُّ في الأدب المفرد (٢٧٥)، وقال الألبانِيُّ: «صحيح موقوف في حكم المرفوع».

(٦) الفروسيَّة المحمَّديَّة (ص٤٩٩).

وقد وهب الله خليله ومجتباه ورسوله ومصطفاه محمَّدًا ﷺ أكمل الأخلاق وأعلاها وأطيبها، فكان ﷺ قدوة للعالمين بما وهبه الله من الخُلق الكامل والأدب الرَّفيع، فكان خلقه القرآن، عَن سَعْدِ بنِ هِشَامِ بنِ عَامِرٍ قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ! قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]». رواه أحمد[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ومعنى هذا: أنَّه ﷺ صار امتثالُ القرآن أمرًا ونهيًا سجيَّة له، وخُلُقًا تَطبَّعَه، وترَك طبعه الجِبِلِّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشَّجاعة والصَّفح والحلم وكلِّ خُلق جميل، كما ثبت في الصَّحيحين[٢] عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «خدمتُ رسولَ اللهِ ﷺ عشر سنين فما قال لي: «أفٍّ» قطُّ، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟». وكان ﷺ أحسن النَّاس خُلقًا، ولا مَسسْتُ خزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شَمَمْتُ مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عَرَق رسول الله ﷺ. وروى البخاريُّ[٣] عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «كان رسول الله ﷺ أحسن النَّاس وجهًا وأحسنَه خَلْقًا، ليس بالطَّويل البَائن، ولا بالقصير». وروى الإمام أحمد[٤] عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا له قطُّ، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا قطُّ، إلَّا أن يجاهد في سبيل الله.

---

(١) رواه أحمد (٢٤٦٠١)، وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع الصَّغير (٤٨١١).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٣) رواه البخاريُّ (٣٥٤٩).

(٤) رواه أحمد (٢٥٩٥٦).

ولا خُيِّر بين شيئين قطُّ إلَّا كان أحبَّهما إليه أيسرهما حتَّى يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعدَ النَّاس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلَّا أن تُنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم لله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]. قال العوفِيُّ عن ابن عبَّاس: أي: وإنَّك لعلى دين عظيم، وهو الإسلام. وكذلك قال مجاهد، وأبو مالك، والسُّدِّيُّ، والرَّبيع بن أنس، والضَّحَّاك، وابن زيد»[١].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسمَّى الدِّين خُلُقًا؛ لأنَّ الخلق هيئة مركَّبة من علوم صادقة وإرادات زاكية وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوالٍ مطابقة للحقِّ، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات فتكتسب النَّفس بها أخلاقًا هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها، فهذه كانت أخلاق رسول الله ﷺ المقتبسة من مشكاة القرآن، فكان كلامه مطابقًا للقرآن تفصيلًا له وتبيينًا، وعلومه علوم القرآن، وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن، ورغبته فيما رغَّب فيه، وزهده فيما زهَّد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبَّته لما أحبَّه، وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه والجهاد في إقامته، فترجمت أمُّ المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لكمال معرفتها بالقرآن وبالرَّسول ﷺ وحسن تعبيرها عن هذا كلِّه بقولها: كان خلقه القرآن»[٢].

وقد بعثه الله عَزَّوَجَلَّ ليدعو النَّاس إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينذرهم سيِّئ الأخلاق وسيِّئ الأعمال، وقد دعاهم إليه فعلًا وقولًا؛ أمَّا فعلًا فقد كان قدوة للعالمين بما وهبه الله من الخُلق الكامل

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١٨٩).
(٢) التِّبيان في أقسام القرآن (١/ ٣١٧).

والأدب الرَّفيع، وأمَّا قولًا فقد تكاثرت عنه الأحاديث في الحثِّ على الأخلاق الكاملة والآداب والرَّفيعة والتَّرغيب فيها وبيان ما أعدَّ الله لأهلها من الثَّواب العظيم والأجر الجزيل.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ فَقَالَ: «**تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**». رواه التِّرمذيُّ[(١)]. فجعله النَّبِيُّ ﷺ من أسباب دخول الجنَّة وقرنه بالتَّقوى الَّتي هي أعظم وصيَّة.

قال ابن القيِّم رحمه الله: «جمع النَّبِيُّ ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأنَّ تقوى الله يُصلِح ما بين العبد وبين ربِّه، وحُسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبَّة الله وحسن الخلق يدعو إلى محبَّته»[(٢)].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا**». رواه التِّرمذيُّ[(٣)]. فكُلَّما كان المرء أحسن خلقًا كان أقرب إلى رسول الله ﷺ مجلسًا يوم القيامة من غيره، وكلَّما كان أسوأ خلقًا كان أبعد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْط الْوَجْه وَحُسْن الخُلُقِ**». رواه البزَّار[(٤)]. أي: لا يمكنكم أن تسَعُوا النَّاس بأموالكم عطاءً وبذلاً مهما كثرت أموالكم وعظم سخاؤكم؛ لأنَّ استيعاب عامَّتهم بالإحسان بالفعل غير ممكن، فسعوهم بأخلاقكم الكريمة وآدابكم الجميلة بسطِ الوجه

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٢٠٠٤)، وقال الألبانِيُّ: «حسن الإسناد».
(٢) الفوائد لابن القيِّم (ص٧٦).
(٣) رواه التِّرمذيُّ (٢٠١٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٤) رواه البزَّار (٨٥٤٤)، وقال الألبانِيُّ في صحيح التَّرغيب والتَّرهيب (٢٦٦١): «حسن لغيره».

وحسن الخلق، وهذا أمرٌ سهل متيسِّر لمَن وفَّقه الله ووهبه الخلق الحسن.

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**». رواه أحمد[1]، ورواه البزَّار[2] بلفظ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**».

وعَن أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**». رواه أبو داود[3]. ففيه بيان فضيلة حسن الخلق، وأنَّه يوصل صاحبه إلى الدَّرجات العالية في الجنَّة، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ ذكر ثلاثة أصناف من النَّاس: فمنهم مَن يكون في ربض في الجنَّة وفي أدناها، ومنهم مَن يكون في وسطها، ومنهم مَن يكون في أعلاها، فالجنَّة درجات: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأحقاف:١٩]، وقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث أنَّ مَن يحسن خلقه يكون له بيت في أعلى، وقوله: «**أنا زعيم**»، أي: ضامن وكفيل.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «فجعل البيت العُلْوِيَّ جزاءً لأعلى المقامات الثَّلاثة وهي حسن الخلق، والأوسط لأوسطها وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها وهو ترك المماراة وإن كان معه حقٌّ، ولا ريب أنَّ حسن الخلق مشتمل على هذا كلِّه»[4].

---

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح الأدب المفرد (٢٧٣).
(٢) رواه البزَّار (٨٩٤٩)، وصحَّحه الألبانِيُّ في السِّلسلة الصَّحيحة (٤٥).
(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسَّنه الألبانِيُّ.
(٤) مدارج السَّالكين (٣/ ٣٠).

شرح حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ...»

روى الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير[١] عَنْ شَدَّادِ بن أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا شَدَّادُ بنُ أَوْسٍ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدِ اكْتَنَزُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزْ هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ».

هذه دعواتٌ عظيمةٌ جامعةٌ لخير الدُّنيا والآخرة كلِّه؛ أوَّله وآخره، ظاهره وباطنه، وهي كنز عظيم، قال النَّبيُّ ﷺ: «يَا شَدَّادُ إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدِ اكْتَنَزُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزْ هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ»؛ أي: فإنَّهُنَّ كنز ثمين لا يقارن بكنوز الدُّنيا، فأنفس كنوز الدُّنيا الذَّهب والفضَّة، وهذه أثمن وأنفع وأجلُّ؛ لأنَّها سبب عظيم للبركة في الحياة الدُّنيا والآخرة. فهذه وصيَّة بالعناية بهذا الدُّعاء العظيم الجامع، مع العناية بالتَّأمُّل في دلالاته ومعانيه وتحقيق مقاصده ومراميه.

قال الشَّوكانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «سَأَلَ النَّبيُّ ﷺ ربَّه الثَّبَات فِي الْأَمر، وَهِي صِيغَة عَامَّة ينْدَرج تحتهَا كلُّ أَمر من الْأُمُور، وَإِذا وَقع الثَّبَات للإنسان

(١) رواه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير (٧١٣٥).

فِي كلِّ أُمُوره أجرهَا على السَّداد والصَّواب، فَلَا يخْشَى من عَاقبَتهَا وَلَا تعود عَلَيْهِ بِضَرَر، وَسَأَلَهُ عَزِيمَة الرُّشد وَهِي الْجِدّ فِي الْأَمر بِحَيْثُ ينجز كلَّ مَا هُوَ رُشد من أُمُوره، والرُّشد (بِضَمِّ الرَّاء الْمُهْملَة وَإِسْكَان الشِّين الْمُعْجَمَة): هُوَ الصَّلاح والفلاح وَالصَّوَاب، ثمَّ سَأَلَهُ شكر نعْمَته وَحسن عِبَادَته؛ لِأَنَّ شكر النِّعْمَة يُوجب مزيدها واستمرارها على العَبْد فَلَا تُنْزع مِنْهُ، وَحُسن الْعِبَادَة يُوجب الْفَوْز بسعادة الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وَسَأَلَهُ اللِّسَان الصَّادِق؛ لِأَنَّ الصِّدْق هُوَ ملاك الْخَيْر كُلِّه، وَسَأَلَهُ سَلامَة الْقلب؛ لِأَنَّ مَن كَانَ كَذَلِك يسْلم عَن الحقد والغلِّ والغدر والخيانة وَنَحْو ذَلِك، وَسَأَلَهُ أَن يعيذه من شَرِّ مَا لَا يعلم سُبْحَانَهُ وَسَأَلَهُ من خير مَا يعلمه؛ لإحاطة علمه سُبْحَانَهُ بِكُلِّ دقيقة وجليلة بِمَا يُعلمهُ الْبشر وَبِمَا لَا يعلمونه، فَلَا يبْقى خيرٌ وَلَا شَرٌّ إِلَّا هُوَ دَاخل فِي ذَلِك، واستغفره مِمَّا يعمله سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّهُ يعلم بِكُلِّ ذَنْب مِمَّا يُعلمهُ العَبْد وَمِمَّا لَا يُعلمهُ، وَمَا أوقع تتميم هَذَا الدُّعَاء بِهَذِهِ الْجُمْلَة الْوَاقِعَة موقع التَّأْكِيد لما قبلهَا وَهِي قَوْله: (**إِنَّك أَنْت علَّام الغيوب**)»[١]. اهـ.

قوله: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ**)؛ أي أن أثبت على دينك وأن أستقيم على طاعتك وأن لا أنحرف عن صراطك المستقيم ذات اليمين وذات الشَّمال، ومثله قوله ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، وقد جاء في حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ الْقُلُوبَ لَتَتَقَلَّبُ؟»، قَالَ: «**نَعَمْ، مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ بني آدَمَ مِنْ بَشَرٍ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ**

(١) تحفة الذَّاكرين (ص٤٢٩).

شَاءَ أَزَاغَهُ»[(١)]، والمراد بالأمر: أي: دين الله جَلَّ وَعَلَا الَّذِي شرعه لعباده وأمَرهم به.

قوله: (وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ)؛ الرُّشد: ضدُّ الغيِّ، وهو طاعة الله ولزوم عبادته والبعد عن معاصيه، والرَّاشد: هو المطيع لله المحافظ على طاعته، وهذه الطَّاعة تحتاج إلى عزيمة ليحافظ المرء على العبادة والطَّاعة، فكثيرًا ما يسمع العبد المواعظ النَّافعة إلَّا أنَّ عزيمته تكون فاترةً عن العمل، فما أحوجه إلى أن يسأل الله العزيمة على الرُّشد، حتَّى إذا بلغه الأمر من الخير عمل به وفعله ليكون من أهله.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كمال العبد بالعزيمة والثَّبات؛ فمَن لم يكن له عزيمة فهو ناقص، ومَن كانت له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص، فإذا انضمَّ الثَّبات إلى العزيمة أثمر كلَّ مقام شريف وحال كامل، ولهذا في دعاء النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِى رواه الإمام أحمد وابن حِبَّان في صحيحه[(٢)] قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ»، ومعلوم أنَّ شجرة الثَّبات والعزيمة لا تقوم إلَّا على ساق الصَّبر، فلو علِم العبد الكنز الَّذِى تحت هذه الأحرف الثَّلاثة أعنى اسم «الصَّبر» لمَّا تخلف عنه»[(٣)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الدِّين مداره على أصلين: العزم والثَّبات؛ وهما الأصلان المذكوران في الحديث الَّذِي رواه أحمد والنَّسائيُّ[(٤)] عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ»،

---

(١) رواه أحمد (٢٦٥٧٦).
(٢) رواه أحمد (١٧١١٤)، وابن حبَّان (٩٣٦).
(٣) طريق الهجرتين وباب السَّعادتين (٢/ ٥٧٨).
(٤) رواه أحمد (١٧١١٤)، والنَّسائيُّ (١٣٠٤).

وأصل الشُّكر صحَّة العزيمة، وأصل الصَّبر قُوَّة الثَّبات، فمتى أُيِّد العبد بعزيمة وثبات فقد أُيِّد بالمعونة والتَّوفيق»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهاتان الكلمتان هما جماع الفلاح، وما أُتِي العبد إلَّا من تضييعهما أو تضييع أحدهما... فإذا حصل الثَّبات أوَّلًا والعزيمة ثانيًا أفلح كلَّ الفلاح، والله وليُّ التَّوفيق»[(٢)].

قوله: (وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ)؛ شكر النِّعمة من أعظم المنن وأكبر العطايا أن يوزع الله عبده شكر النِّعمة، وشكرها قائم على أركان: فالقلب يشكر الله بالاعتراف بالنِّعمة، واللِّسان بالتَّحدُّث بها والثَّناء على الله وحمدُه بما هو أهله، والجوارح باستعمال النِّعم في طاعة الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ)؛ حسن العبادة مطلبٌ عظيم ومقصدٌ جليل، بل الله جَلَّ وَعَلَا لا يقبل العبادة إلَّا إذا كانت متَّصفة به، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]. والعمل لا يكون حسنًا إلَّا بأمرين: بإخلاصه لله، وبالمتابعة فيه لرسول الله ﷺ؛ فشمل قوله: «حُسْنَ عِبَادَتِكَ» الإخلاص للمعبود والمتابعة للرَّسول ﷺ؛ ولهذا قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: أخلصه وأصوبه، فإنَّه إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتَّى يكون خالصًا، والخالص إذا كان لله، والصَّواب إذا كان على السُّنَّة.

وقوله: (وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا)؛ أي: قلبًا نقيًّا زكيًّا مطهَّرًا من الشِّرك

---

(١) عِدَة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين (ص٢٠٨).
(٢) مفتاح دار السَّعادة (١/ ١٤٢).

والنِّفاق والغلِّ والحسد ومن كلِّ أمراض القلوب وأسقامها، وإذا زكى القلبُ وطاب صلحت الجوارح وحسُنت، وقد جاء في دعاء إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء:٨٧-٨٩]، أي: سليمٍ من الشِّرك والنِّفاق، وسلِيمٍ من الرِّياء ونحوه، وسلِيمٍ من أمراض القلوب وأسقامها وهي كثيرةٌ ومتنوِّعةٌ. وإذا سلِم القلب تبعته الجوارح في السَّلامة، وفي هذا يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[١].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقلب السَّليم هو الَّذِى سلِم من الشِّرك والغلِّ والحقد والحسد والشُّحِّ والكِبْر وحبِّ الدُّنيا والرِّئاسة، فسلِم من كلِّ آفة تبعده من الله، وسلِم من كلِّ شبهة تعارض خبره، ومن كلِّ شهوة تعارض أمره، وسلِم من كلِّ إرادة تزاحم مراده، وسلم من كلِّ قاطع يقطعه عن الله، فهذا القلب السَّليم؛ في جنَّة معجَّلة في الدُّنيا، وفي جنَّة في البرزخ، وفي جنَّة يوم المعاد، ولا يتمُّ له سلامته مطلقًا حتَّى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التَّوحيد، وبدعة تخالف السُّنَّة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذِّكر، وهوى يناقض التَّجريد والإخلاص»[٢].

وقوله: (**وَلِسَانًا صَادِقًا**)؛ صدق اللِّسان: أن يكون كلُّ ما يخرج من اللِّسان مطابقًا لهذا القلب السَّليم؛ لأنَّه مرتبط به، ولهذا قيل: الصِّدق مواطئة القلب اللِّسان. وإذا كان اللِّسان صادقًا فإنَّ الجوارح كلَّها تتبعه على

(١) رواه البخاريُّ (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).
(٢) الدَّاء والدَّواء (ص١٢١).

الاستقامة، كما يدلُّ لذلك ما ثبت في الحديث الصَّحيح[١] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا».

وقد جمَع ﷺ في هذا الدُّعاء بين هذين العضوين الخطيرين العظيمين القلب واللِّسان، وكما قيل: «الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ»؛ لأنَّهما أهمُّ الجوارح نفعًا إذا صلحا، وأعظم الجوارح ضررًا إذا فسدا، فالمرء ليس بوجهه أو برجله أو بيده أو بسائر أعضائه، وإنَّما قيمة المرْء ومكانته تبرُز من خلال هذين العضوين الخطيرين.

واللِّسان يؤثِّر على الأعضاء غاية التَّأثير وهو تبعٌ للقلب، ولهذا جاء في الحديث الَّذِي رواه الإمام أحمد[٢] عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ». فعلى المرء النَّاصح لنفسه أنْ يُعنى بهذين العضوين غاية العناية، وأن يهتمَّ بهما غاية الاهتمام، فإنَّهما إن صلحا صلح البدن كلُّه، وإن فسدا فسد البدن كلُّه.

وكثيرٌ من النَّاس يهتمُّ بصورته الخارجيَّة ومظهره المشاهَد ولا يهتمُّ بالمخْبَر! ولهذا يكون منه أنواع من الزَّلل والخطل ولا يبالي بذلك، ممَّا يخرِم مكانته ويضعف منزلته ويوقعه مواقع الذُّلِّ والهوان، بينما إذا عُنيَ المرء بهذين العضوين عنايةً تامَّة وحافظ عليهما واعتنى بإصلاحهما وتقويمهما في ضوء هدي الشَّريعة وآدابها القويمة صَلَحت حاله كلُّها.

قوله: (وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ)

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٢٤٠٧)، وحسَّنه الألبانِيُّ.

(٢) رواه أحمد (١٣٠٤٨)، وحسَّنه الألبانِيُّ في صحيح التَّرغيب والتَّرهيب (٢٨٦٤).

هو من جوامع الدُّعاء وكوامله، حيث سأل ربَّه في هذه الجملة الخير كلَّه ظاهره وباطنه، سرَّه وعلنه، ما كان منه في الدُّنيا وما كان منه في الآخرة؛ فإنَّ قوله: «وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ» يجمع الخير كلَّه في الدُّنيا والآخرة، وقوله ﷺ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ» يجمع التَّعوُّذ من كلِّ شرٍّ وبلاء وضرٍّ في الدُّنيا والآخرة.

قوله: (وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ)؛ فيه إقرار العبد بذنوبه وخطاياه، وكثرتها وتعدُّدها، وأنَّ منها ذنوبًا كثيرة لا يعلمها نسيها العبد ولكن ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة:٦]؛ فما أجمل أن يقول المستغفر في استغفاره: (وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ)، لأنَّ علم الله عَزَّ وَجَلَّ محيطٌ بالسَّرائر والمعلنات، وبالخفيَّات والظَّاهرات، وبالذُّنوب المتقدِّمة والمتأخِّرة، محيطٌ بكلِّ شيء، فهو جَلَّ وَعَلَا علَّام الغيوب الَّذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السَّماء، ولذا ختم النَّبيُّ ﷺ هذا الدُّعاء متوسِّلًا إلى الله بقوله: «إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»؛ أي: يا من أحاط علمك بكلِّ غائبة فلا تخفى عليك خافية.

الحاصل: أنَّ هذا الدُّعاء يُعَدُّ كنزًا ثمينًا للغاية، فإذا رأيت النَّاس -يا عبد الله- يكنزون الذَّهب والفضَّة فاكتنز هذا الدُّعاء؛ فإنَّ فيه خيرًا لك وبركة عليك وصلاحًا لحالك في الدُّنيا والآخرة، وحافظ عليه محافظةً عظيمة، واعتنِ بألفاظه كما ورد عن نبيِّنا ﷺ، وافهم معانيه وهداياته، وحقِّق مقاصده وغاياته تفز فوزًا عظيما.

شرح حديث:
«يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللّٰه سَلِ اللّٰهَ العَافِيَةَ...»

روى التِّرمذيُّ[(١)] عَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «سَلِ اللهَ العَافِيَةَ»، فَمَكَثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهَ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ، سَلِ اللهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

وروى الحاكم[(٢)] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَمِّهِ: «أَكْثِرِ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ».

وهذه دعوةٌ جامعةٌ وشاملةٌ للوقاية من الشُّرور كلِّها في الدُّنيا والآخرة، وما سُئل الرَّبُّ شيئًا أحبَّ إليه من العافية، لأنَّه جامعةٌ للتَّخلُّص من الشَّرِّ كلِّه وأسبابه، والعافيةُ لا يَعدِلُها شيءٌ، ومن أُعطي العافيةَ في الدُّنيا والآخرة فقد كَمُلَ نَصِيبُه من الخير.

قال ابن الجزريِّ رَحِمَهُ اللهُ: «فلينظر العاقل مقدار هذه الكلمة الَّتِي أختارها رسول الله ﷺ لعمِّه من دون الكلم، وليؤمن بأنَّه ﷺ أعطي جوامع الكلم واختُصرت له الحِكم، فإنَّ من أُعْطِي العافية فاز بما يرجوه ويحبُّه قلبًا وقالبًا ودينا ودنيا، ووُقي ما يخافه في الدَّارين علمًا

(١) رواه التِّرمذيُّ (٣٥١٤)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٢) رواه الحاكم في مستدركه (١٩٣٩)، وحسَّنه الألبانِيُّ في صحيح الجامع (١١٩٨).

يقينًا، فلقد تواتر عنه ﷺ دعاؤه بالعافية، وورد عنه ﷺ لفظًا ومعنى من نحو خمسين طريقًا، هذا وقد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر وهو المعصوم على الإطلاق حقيقةً؛ فكيف بنا ونحن عرض لسهام القدر وغرضٌ بين النَّفس والشَّيطان والهوى!»[(١)].

وقال الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي أمره ﷺ للعبَّاس بالدُّعاء بالعافية بعد تكرير العبَّاس سؤاله بأن يعلِّمه شيئًا يسأل الله به؛ دليلٌ جليٌّ بأنَّ الدُّعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية، ولا يقوم مقامه شيء من الكلام الَّذِي يُدعى به ذو الجلال والإكرام، وقد تقدَّم تحقيق معنى العافية أنَّها دفاع الله عن العبد، فالدَّاعي بها قد سأل ربَّه دفاعه عنه كلَّ ما ينوبه، وقد كان رسول الله ﷺ يُنزِل عمَّه العبَّاس منزلة أبيه ويرى له من الحقِّ ما يراه الولد لوالده، ففي تخصيصه بهذا الدُّعاء وقصره على مجرَّد الدُّعاء بالعافية تحريك لِهمم الرَّاغبين على ملازمته وأن يجعلوه من أعظم ما يتوسَّلُون به إلى ربِّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويستدفعون به في كلِّ ما يهمُّهم، ثمَّ كلَّمه ﷺ بقوله: «**سل الله العافية في الدُّنيا والآخرة**»، فكان هذا الدُّعاء من هذه الحيثيَّة قد صار عدَّة لدفع كلِّ ضرٍّ ولجلب كلِّ خير»[(٢)].

وقد روى البخاريُّ في الأدب المفرد[(٣)] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**سَلِ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»، ثُمَّ أَتَاهُ الْغَدَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**سَلِ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ**».

---

(١) انظر: بريقة محمَّديَّة (٣/ ١١٨)، وتحفة الذَّاكرين (ص٤٦٢).
(٢) تحفة الذَّاكرين (ص٤٦٢).
(٣) رواه البخاريُّ في الأدب المفرد (٦٣٧)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

قال الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففي هذا الحديث التَّصريح بأنَّ الدُّعاء بالعافية أفضل الدُّعاء ولا سِيَّما بعد تكريره للسَّائل في ثلاثة أيَّام حين أن يأتيه للسُّؤال عن أفضل الدُّعاء، فأفاد هذا أنَّ الدُّعاء بالعافية أفضل من غيره من الأدعية، مع ما قدَّمناه من اشتماله على جلب كلِّ نفع ودفع كلِّ ضرٍّ. ثمَّ في قوله ﷺ في آخر هذا الحديث: «**فَإِذَا أُعْطِيتَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَأُعْطِيتَهَا فِي الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ**» دليلٌ ظاهر واضح بأنَّ الدُّعاء بالعافية يشمل أمور الدُّنيا والآخرة، لأنَّه قال هذه المقالة بعد أن قال له: «**سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ**» ثلاث مرَّات؛ فكان ذلك كالبيان لعموم بركة هذه الدَّعوة بالعافية لمصالح الدُّنيا والآخرة، ثمَّ رتَّب على ذلك الفلاح الَّذِي هو المقصد الأسنى والمطلوب الأكبر»[١].

وروى الطَّبرانِيُّ في المعجم الكبير[٢] عَن مُعَاذِ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِن دَعْوَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا عَبْدٌ مِنْ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ** -قَالَ: أَوْ قَالَ-: **الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**».

قال الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ورجاله رجال الصَّحيح، فهذا الحديث قد دلَّ على أنَّ الدُّعاء بالعافية أحبُّ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من كلِّ دعاء كائنًا ما كان، كما يفيده هذا العموم وتدلُّ عليه هذه الكُلِّيَّة:

فجمع هذا الدُّعاء بهذه الكلمة بين ثلاث مزايا:

أوَّلها: شموله لخيري الدُّنيا والآخرة.

وثانيها: أنَّه أفضل الدُّعاء على الإطلاق.

وثالثها: أنَّه أحبُّ إلى الله سبحانه من كلِّ دعاء يدعو به العبد على

---

(١) تحفة الذَّاكرين (ص٤٦٣).

(٢) رواه الطَّبرانِيُّ في المعجم الكبير (٣٤٦).

الإطلاق كائنًا ما كان... وبالجملة فالأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا، منها ما ورد في الدُّعاء بخصوص العافية، ومنها ما ورد في الدُّعاء بها مع غيرها من الأدعية»[١].

ومن الدَّعوات العظيمة الَّتِي كان يحافظ عليها النَّبِيُّ ﷺ كلَّ صباح ومساء، بل كان لا يَدَعُها كلَّ ما أصبح وأمسى: ما رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه[٢] عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**».

فكان ﷺ يسأل ربَّه العافيةَ في الدُّنيا والآخرة، والعافيةَ في الدِّين والدُّنيا والأهلِ والمال؛ أمَّا سؤال العافية في الدِّين: فهو طلبُ الوقاية من كلِّ أمرٍ يَشِينُ الدِّينَ أو يُخِلُّ به. وأمَّا في الدُّنيا: فهو طَلَب الوقاية من كلِّ أمرٍ يَضُرُّ العبدَ في دنياه؛ مِن مُصيبة أو بَلاء أو ضَرَّاء أو نحو ذلك. وأمَّا في الآخرة: فهو طَلَبُ الوقاية من أهوال الآخرة وشدائدها وما فيها من أنواع العقوبات. وأمَّا في الأهل: فبِوِقَايَتِهم مِن الفتَن وحِمايَتِهم من البَلَايَا والمحن. وأمَّا في المال: فبِحفظِه مِمَّا يُتْلِفُه مِن غَرَقٍ أو حَرْقٍ أو سَرِقَةٍ أو نحو ذلك، فجَمَع في ذلك سؤالَ الله الحفظَ من جَميع العَوارِض المُؤْذِيَة والأخطار المُضِرَّة.

---

(١) تحفة الذَّاكرين (ص٤٦٤).

(٢) رواه أحمد (٤٧٨٥)، وأبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

وفي المسند وسنن التِّرمذيِّ[١] عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**سَلُوا اللهَ العفْوَ والعَافِيَةَ، فَإِنَّ أحَدًا لَم يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيرًا مِنَ العَافِيَةِ**».

قال الشَّوكانِيُّ رحمه الله: «سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ ربَّه سُبْحَانَهُ أَن يرزقه الْعَفو الَّذِي هُوَ الْعُمْدَة فِي الْفَوْز بدار المَعَاد، ثمَّ سَأَلَهُ أَن يرزقه العَافِيَة الَّتِي هِيَ الْعُمْدَة فِي صَلَاح أُمُور الدُّنْيَا والسَّلامة من شرورها ومحنها، فَكَانَ هَذَا الدُّعَاء من الْكَلم الْجَوَامِع والفوائد النَّوافع؛ فعلى العَبْد أَن يستكثر من الدُّعَاء بالعافية. وَقد أغْنى عَن التَّطْوِيل فِي ذكر فوائدها ومنافعها مَا ذكره رَسُول الله ﷺ فِي هَذَا الحَدِيث، فَإِنَّهَا إِذا كَانَت بِحَيْثُ أَنه لم يُعْط أحدٌ بعد الْيَقِين خيرًا مِنْهَا فقد فاقت كلَّ الْخِصَال وَارْتَفَعت درجتها على كلِّ خير، وفِي حَدِيث الْعَبَّاس رضي الله عنه -الْمُتَقَدِّم- مَا يدلُّ على أَنَّ العَافِيَة تَشمَل أُمُور الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَهُوَ الظَّاهِر من كَلَام أهل اللُّغَة؛ لِأَنَّ قَولهم دفاع الله عَن العَبد غير مُقَيَّد بدفاعه عَنهُ لأمور الدُّنْيَا فَقَط، بل يعمُّ كلَّ دفاع يتَعَلَّق بالدُّنيا وَالْآخِرَة، وَقَالَ فِي النِّهَايَة: والمعافاة أَن يعافيك الله من النَّاس ويعافيهم مِنك، وأَن يُغْنِيك عَنْهُم ويغنيهم عَنْك، وَيصرف أذاهم عَنْك وأذاك عَنْهُم»[٢].

وفي رواية[٣]: «**سَلُوا اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ مَا أُوتِيَ عَبْدٌ بَعْدَ يَقِينٍ خَيْرًا مِنْ مُعَافَاةٍ**».

قال ابن القيِّم رحمه الله: «وهذه الثَّلاثة تتضمَّن إزالة الشُّرور؛ الماضية بالعفو، والحاضرة بالعافية، والمستقبلة بالمعافاة؛ فإنَّها تتضمَّن

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٣٥٥٨)، وقال الألبانِيُّ: «حسن صحيح».
(٢) تحفة الذَّاكرين (ص٤٦٠).
(٣) رواه النَّسائيُّ في السُّنن الكبرى (١٠٦٥١).

المداومة والاستمرار على العافية»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا السُّؤال يتضمَّن العفو عمَّا مضى، والعافية في الحال، والمعافاة في المستقبل بدوام العافية واستمرارها، وكان عبد الأعلى التَّيميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «أكثروا من سؤال الله العافية، فإنَّ المبتلى وإن اشتدَّ بلاؤه ليس بأحقِّ بالدُّعاء من المعافى الَّذِى لا يأمن البلاء، وما المبتلون اليوم إلَّا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلَّا من أهل العافية اليوم، ولو كان البلاء يجرُّ إلى خير ما كنَّا من رجال البلاء، إنَّه رُبَّ بلاء قد أجهد في الدُّنيا وأخزى في الاخرة، فما يؤمن مَن أطال المقام على معصية الله أن يكون قد بقى له في بقيَّة عمره من البلاء ما يجهده في الدُّنيا ويفضحه في الآخرة، ثمَّ يقول بعد ذلك: الحمد لله الَّذِى إن نعدَّ نعمه لا نحصيها، وإن ندأب له عملًا لا نجزيها، وإن نعمَّر فيها لا نبليها»»[٢].

وفي سنن أبي داود والنَّسائيِّ وغيرهما[٣] عن الحسن بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الوِترِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**».

وهذا دعاءٌ عظيمٌ مشتملٌ على مطالب جليلة ومقاصد عظيمة، منها سؤال الله العافيةَ. فقوله: «**وعافِنِي فيمَن عافيت**» فيه سؤالُ الله العافية

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٣٠٩).

(٢) عِدَة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين (ص ١٤٠).

(٣) رواه أبو داود (١٤٢٥)، والتِّرمذيُّ (٤٦٤)، والنَّسائيُّ (١٧٤٥)، وابن ماجه (١١٧٨)، وصحَّحه الألبانيُّ.

المطلقة وهي العافية من الكفر والفسوق والعصيان والغفلة والأمراض والأسقام والفتن، وفعل ما لا يحبُّه وترك ما يحبُّه.

وممَّا يؤكِّد عليه في هذه اللَّيالي المباركة؛ اللَّيالي العشر الأخيرة من رمضان: الحرصُ على طلب ليلة القدر وتحرِّي الطَّاعة فيها والاجتهادَ في الدُّعاء، فإنَّ هذا من سِمات الأخيار وعلامات الأبرار، بل إنَّهم يُلحُّون على الله فيها أن يكتب لهم العفوَ والمعافاة؛ لأنَّها اللَّيلةُ الَّتِي يُكتب فيها ما يكون من الإنسان في عامه كلِّه، ففي هذه اللَّيلة يدعون ويُلحُّون، وفي عامه كلِّه يَجدُّون ويجتهدون، ومن الله يطلبون العون ويسألون التَّوفيق.

روى التِّرمذيُّ وابن ماجه[1] وغيرُهما عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**».

وهذا الدعاءُ المبارك عظيمُ المعنى عميقُ الدَّلالة كبيرُ النَّفع والأثر، وهو مناسبٌ لهذه اللَّيلة غاية المناسبة، فهي اللَّيلة الَّتِي يُفرَق فيها كلُّ أمر حكيم، ويُقدَّر فيها أعمالُ العباد لسنة كاملة حتَّى ليلةَ القدر الأخرى، فمَن رُزق في تلك اللَّيلة العافية وعفا عنه ربُّه؛ فقد أفلح وفاز وربح أعظم الرِّبح، ومَن أوتي العافيةَ في الدُّنيا والآخرة فقد أوتي الخير بحذافيره، والعافيةُ لا يعدلها شيء.

ولهذا فإنَّ من الخير للمسلم أن يكثِر من هذه الدَّعوة المباركة في كلِّ وقت وحين، ولا سِيَّما في ليلة القدر الَّتِي فيها يُفرق كلُّ أمر حكيم، وليعلم المسلم أنَّ الله عز وجل عفوٌّ كريم يحبُّ العفو، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشُّورى: ٢٥]، ولم يزل سبحانه ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالصَّفح والغفران موصوفًا، وكلُّ أحدٍ مضطرٌّ إلى عفوه محتاجٌ إلى مغفرته، لا غنى لأحدٍ عن عفوه ومغفرته، كما أنَّه لا غنى لأحد عن رحمته وكرمه.

شرح حديث:
«سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»

روى مسلم(١) عَن عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ مِن قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ». قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟! فَقَالَ: «خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؛ فَقَدْ رَأَيْتُهَا، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١-٣]».

هذا أمرٌ من الله تعالى لنبيِّه ﷺ بأن يسبِّح بحمد ربِّه ويستغفره، وقد جاء هذا الأمر بعد بشارة النَّبيِّ ﷺ بنصر الله تعالى وفتح مكَّة ودخول النَّاس في دين الله أفواجًا، ولهذا فهم طائفة من الصَّحابة ﵃ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمر بالتَّسبيح والتَّحميد والاستغفار شكرًا لله على هذه النِّعم الَّتي بُشِّر بها، وفهم بعض الصَّحابة = كعمر وابن عبَّاس ﵃ أنَّ مجيء نصر الله والفتح ودخول النَّاس في الدِّين أفواجًا علامةٌ على اقتراب أجل رسول الله ﷺ وانقضاء عمره، وأنَّ الله تعالى أمَره بالتَّسبيح والتَّحميد والاستغفار ليختم عمله بذلك، ويتهيَّأ للقاء ربِّه والقدوم عليه على

---

(١) رواه مسلم (٤٨٤).

أكمل أحواله وأتمِّها. وهذا واضح في حديث أمِّ المؤمنين عائشة ﵄، ولهذا جاء في بعض رواياته[١] قالت: «كان ﷺ يُكثر قبل موته من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه». وقال: «**خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا**؛ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ...﴾ إلى آخر السُّورة.

روى البخاريُّ[٢] عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: «كَانَ عُمَرُ ﵁ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، قَالَ فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ، قَالَ وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾، قَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ».

قال ابن القيِّم ﵀: «وهذا من أدقِّ الفهم وألطفه ولا يدركه كلُّ أحد، فإنَّه سبحانه لم يعلِّق الاستغفار بعمله، بل علَّقه بما يحدثه هو سبحانه من نعمة فتحه على رسوله ﷺ ودخول النَّاس في دينه، وهذا ليس بسبب للاستغفار، فعُلم أنَّ سبب الاستغفار غيره وهو

---

(١) رواه الطَّبريُّ في جامع البيان (٢٤/ ٦٦٤).
(٢) رواه البخاريُّ (٤٢٩٤).

حضور الأجل الَّذِي من تمام نعمة الله على عبده توفيقه للتَّوبة النَّصوح والاستغفار بين يديه ليلقى ربَّه طاهرًا مطهَّرًا من كلِّ ذنب؛ فيقدم عليه مسرورًا راضيًا مرضيًّا عنه، ويدلُّ عليه أيضًا قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾، وهو ﷺ كان يُسَبِّح بحمده دائمًا، فعُلم أنَّ المأمور به من ذلك التَّسبيح بعد الفتح ودخول النَّاس في هذا الدِّين أمرٌ أكبر من ذلك المتقدِّم وذلك مقدِّمةٌ بين يدي انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى، وأنَّه قد بقيت عليه من عبوديَّة التَّسبيح والاستغفار الَّتِي ترقيه إلى ذلك المقام بقيَّة، فأمره بتوفيتها. ويدلُّ عليه أيضًا: أنَّه سبحانه شرع التَّوبة والاستغفار في خواتيم الأعمال؛ فشرعها في خاتمة الحجِّ وقيام اللَّيل، وكان النَّبِيُّ ﷺ إذا سلَّم من الصَّلاة استغفر ثلاثًا، وشرع للمتوضِّئ بعد كمال وضوئه أن يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ»[١]. فعُلم أنَّ التَّوبة مشروعةٌ عقيب الأعمال الصَّالحة، فأمر رسوله ﷺ بالاستغفار عَقِيب توفيته ما عليه من تبليغ الرِّسالة والجهاد في سبيل الله حين دخل النَّاس في دينه أفواجًا، فكأنَّ التَّبليغ عبادة قد أكملها وأدَّاها فشُرع له الاستغفار عَقِيبها»[٢].

ثمَّ الباء في قوله: «وبحمدك» قيل: متعلِّقة بسبحان؛ أي: وبحمدك سبَّحتك، ومعناه: بتوفيقك لي وهدايتك وفضلك عليَّ سبَّحتك لا بحولي وقوَّتي؛ ففيه شكر الله تعالى على هذه النِّعمة والاعتراف بها والتَّفويض إلى الله تعالى، وأنَّ كلَّ الإفضال له.

قوله: (أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ)؛ فيه طلب مغفرة الذُّنوب، والاستغفار له شأنٌ عظيم ومكانةٌ عاليةٌ، فهو كما بيَّن شيخ الإسلام ابن

(١) رواه التِّرمذيُّ (٥٥)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٢) إعلام الموقِّعين (١/ ٢٦٦).

تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُخرج العبدَ من الفعلِ المكروه إلى الفِعلِ المحبوبِ، ومن العمل النَّاقصِ إلى العمل التَّامِّ، ويرفعُ العبدَ من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل؛ فإنَّ العابدَ لله، والعارفَ بالله في كلِّ يوم، بل في كلِّ ساعة، بل في كلِّ لحظة يزدادُ علمًا بالله وبصيرةً في دينه وعبوديَّتِه، بحيث يجدُ ذلك في طعامه وشرابه ونومِه ويَقَظتِه وقولِه وفعلِه، ويرى تقصيرَه في حضورِ قلبِه في المقامات العالية وإعطائِها حقَّها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء اللَّيل وأطراف النَّهار، بل هو مضطرٌّ إليه دائمًا؛ في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد؛ لِما فيه من المصالحِ وجلب الخيرات ودفعِ المضرَّات، وطلب الزِّيادة في القُوَّة في الأعمال القلبيَّة والبدنيَّة اليقينيَّة الإيمانيَّة»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعبد مأمور أن يتوب إلى الله تعالى دائمًا، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور:٣١]، وفي صحيح البخاريِّ(٢) عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَر مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»، وفي صحيح مسلم(٣) عنه ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً**»، وفي السُّنن(٤) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنَّا نعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ**»، مائة مرَّة، أو قال أكثر من مائة مرَّة». وقد أمر الله سبحانه عباده أن يختموا الأعمال الصَّالحات بالاستغفار؛ فكان النَّبيُّ ﷺ إذا سلَّم من الصَّلاة يستغفر

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٩٦). (٢) رواه البخاريُّ (٦٣٠٧).
(٣) رواه مسلم (٢٧٠٢).
(٤) رواه أبو داود (١٥١٦)، وابن ماجه (٣٨١٤)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

ثلاثًا، ويقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ». كما ثبت ذلك في الحديث الصَّحيح[١] عنه، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧] فأمرهم أن يقوموا باللَّيل ويستغفروا بالأسحار. وكذلك ختم سورة المزَّمِّل -وهي سورة قيام اللَّيل- بقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزَّمِّل:٢٠]، وكذلك قال في الحجِّ: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٨-١٩٩]، بل أنزل ﷻ في آخر الأمر لمَّا غزا النَّبيُّ ﷺ غزوة تبوك وهي آخر غزواته: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التَّوبة:١١٧-١١٨]. وهي آخر ما نزل من القرآن، وقد قيل: إنَّ آخر سورة نزلت قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النَّصر:١-٣]؛ فأمره تعالى أن يختم عمله بالتَّسبيح والاستغفار. وفي الصَّحيحين[٢] عن عائشة ﵂ أنَّه ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ

---

(١) رواه مسلم (٥٩١).

(٢) رواه البخاريُّ (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»؛ يتأوَّل القرآن، وفي الصَّحيحين[(١)] عنه ﷺ أنَّه كان يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هزْلِي وَجِدِّي وَخَطَئِي وَعَمْدِي وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، وفي الصَّحيحين[(٢)]: أنَّ أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علِّمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»، وفي السُّنن[(٣)] عن أبي بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله علِّمني دعاء أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال: «قُلِ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكه، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَركِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّه إِلَى مُسْلِمٍ، قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجعَكَ». فليس لأحد أن يظُنَّ استغناءه عن التَّوبة إلى الله والاستغفار من الذُّنوب؛ بل كلُّ أحد محتاج إلى ذلك دائمًا»[(٤)].

وقد كان الرَّسولُ الكريم ﷺ -وهو إمامُ المرسَلين، وقدوةُ الموحِّدين، وقائدُ الغُرِّ المُحجَّلين- كثيرَ الاستغفار والتَّوبةِ إلى الله، مع أنَّه ﷺ قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ

(١) رواه البخاريُّ (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩).
(٢) رواه البخاريُّ (٧٣٨٧)، ومسلم (٢٧٠٥).
(٣) رواه أبو داود (٥٠٦٧)، والتِّرمذيُّ (٣٥٢٩)، وصحَّحه الألبانيُّ.
(٤) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٥٣).

نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ [الفتح:١-٢]، وفي الصَّحيح[١] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى قام حتَّى تتفطَّر رجلاه، فقلت له: يا رسول الله أتصنَعُ هذا وقد غفر لك الله ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ فقال: «**يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبدًا شَكُورًا**».

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا من خصائصه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّتِي لا يشاركه فيها غيرُه، وليس في حديثٍ صحيح في ثواب الأعمال لغيره «غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تأخَّر»، وهذا فيه تشريفٌ عظيمٌ للرَّسول ﷺ، وهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في جميع أموره على الطَّاعةِ والبِرِّ والاستقامة الَّتِي لَم ينلها بشرٌ سواه، لا من الأوَّلين ولا من الآخرين، وهو أكملُ البشر على الإطلاق، وسيِّدُهم في الدُّنيا والآخرة»[٢].

روى البخاريُّ[٣] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّها سمعت رسول الله ﷺ وأصْغَت إليه قبل أن يموت وهو مسنِدٌ إليها ظهرَه يقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى**».

وفي هذا إشارةٌ إلى ملازمتِه ﷺ للاستغفار في كلِّ أوقاته وجميع أحيانه إلى آخر لحظات حياته الكريمة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكما أنَّه ﷺ كان يختم أعماله الصَّالحة -كالصَّلاة والحجِّ وقيام اللَّيل وسائر مجالسِه- بالاستغفار؛ فقد ختم حياتَه كلَّها به.

---

(١) رواه البخاريُّ (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٨).
(٣) رواه البخاريُّ (٤٤٤٠).

شرح حديث:
«اللّهم إنِّي أسألك بأنَّ لك الحمد...»

روى الإمام أحمد في المسند، وأهل السُّنن الأربعة[١]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ سمع رجلًا يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، المَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**»، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»، وزاد أبو داود والنَّسائِيُّ[٢] في آخره: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**».

وروى ابن ماجه، والحاكم[٣] وغيرهما عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسْمُ اللهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنْ القُرْآنِ: فِي البَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وطه**».

وروى الإمام أحمد وأبو داود والتِّرمذيُّ[٤] عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**اسْمُ اللهِ الأَعْظَمِ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ:** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وفاتحة

---

(١) رواه أبو داود (١٤٩٥)، والتِّرمذيُّ (٣٥٤٤)، والنَّسائيُّ (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٢) رواه أبو داود (١٤٩٥)، والنَّسائيُّ (١٣٠٠).
(٣) رواه ابن ماجه (٣٨٥٦)، والحاكم (١٨٦٥)، وحسَّنه الألبانِيُّ.
(٤) رواه أحمد (٢٧٦١١)، وأبو داود (١٤٩٦)، والتِّرمذيُّ (٣٤٧٨)، وحسَّنه الألبانِيُّ.

آل عمران: ﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [١-٢]».

وروى أصحاب السُّنن وابن حِبَّان(١) عن بريدة رضي الله عنه قال: سمع النَّبِيُّ ﷺ رجلًا يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أنت؛ الأحد الصَّمد الَّذِي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد»، فقال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللهُ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**».

فهذه بعض الأحاديث الثَّابتة في ذكر اسم الله الأعظم الَّذِي إذا دُعِي به أجاب وإذا سُئِل به أَعْطَى، ولأجل ذا فقد كان لهذا الاسم ومعرفته والبحث عنه شأن عظيم عند أهل العلم، ولهم في هذا أبحاثٌ كثيرةٌ مطوَّلةٌ ومختصرةٌ، قال الشَّوكانِيُّ رحمه الله: «وقد اختُلف في تعيين الاسم الأعظم على نحو أربعين قولًا، قد أفردها السُّيوطيُّ بالتَّصنيف»(٢).

وأشهر الأقوال في تعيين الاسم الأعظم: أنَّ اسم الله الأعظم هو «الله»، وقيل: «الحَيُّ القَيُّومُ»، وقيل: «الرَّحمن الرَّحيم»، وعلى كلٍّ فمَن دعا الله بالأدعية المُتقدِّمة، فقال في دعائه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، المَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَام، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**»(٣)، أو قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَد، الَّذِي لَمْ**

---

(١) رواه أبو داود (١٤٩٣)، التِّرمذيُّ (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبَّان (٨٩١)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٢) تحفة الذَّاكرين (ص٨٣).

(٣) رواه أبو داود (١٤٩٥)، والتِّرمذيُّ (٣٥٤٤)، والنَّسائيُّ (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

يَلِدْ وَلَم يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد»[١]، فقد دعا الله باسمه الأعظم، لإخبار النَّبِيِّ ﷺ عمَّن دعا الله بذلك بأنَّه دعاه باسمه الأعظم الَّذِي إذا سئل به أَعْطَى، وإذا دُعِي به أجاب.

وعمومًا فإنَّ دعاء الله والتَّوسُّل إليه بأسمائه وصفاته يُعَدُّ من أعظم الوسائل وأنفعها، ومن أعظم موجبات إجابة الدُّعاء، وقد ندب الله عباده في مواطن من كتابه على تعلَّم أسمائه وصفاته، ودعائه بها، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

فأسماء الله كلُّها حسنى؛ لكونها قد دلَّت على صفات كمال عظيمة لله، وهي كلُّها أسماء مدح وثناء على الله.

قال العلَّامة ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أسماء الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كلُّها أسماء مدح، ولو كانت ألفاظًا مجرَّدةً لا معاني لها لم تدلَّ على المدح، وقد وصفها الله بأنَّها حسنى كلُّها، فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، فهي لم تكن حسنى

(١) رواه أبو داود (١٤٩٣)، التِّرمذيُّ (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبَّان (٨٩١)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

لمجرَّد اللَّفظ، بل لدلالاتها على أوصاف الكمال، ولهذا لما سمع بعضُ الأعراب قارئًا يقرأ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ «والله غفور رحيم» [المائدة:٣٨]. قال: «ليس هذا كلامَ الله»، فقال القارئ: أتُكذِّب بكلام الله؟ فقال: «لا، ولكن ليس هذا بكلام الله»، فعاد إلى حفظه، وقرأ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨]، فقال الأعرابيُّ: «صدقتَ، عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لم يقطع»، ولهذا إذا خُتمت آية الرَّحمة باسم العذاب أو بالعكس ظهر تنافرُ الكلام وعدمُ انتظامه»[(١)]. اهـ.

وبهذا يتبيَّن أنَّ فهم أسماء الله الحسنى والعلم بمعانيها أساسٌ لا بُدَّ منه لتحقيق قول الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾؛ فدعاء الله بأسمائه الَّذِي أمر الله به في هذه الآية إنَّما يكون ويتحقَّق إذا علِم الدَّاعي معاني هذه الأسماء الَّتِي دعا الله بها، فإن لم يكن عالمًا بمعانيها فإنَّه يجعل في دعائه الاسم في غير موطنه، كأن يختم طلب الرَّحمة باسم العذاب أو العكس، فيظهر التَّنافر في الكلام وعدمُ الانتظام.

ومَن يتدبَّر الأدعية الواردة في القرآن أو في سنة النَّبِيِّ ﷺ يجد أنَّه ما من دعاء منها يختم بشيءٍ من أسماء الله الحسنى إلَّا ويكون في ذلك الاسم ارتباطٌ وتناسبٌ مع الدُّعاء المطلوب، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]، وقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١٠٩]، وقوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩]، ونحو ذلك من الآيات.

والعلم بأسماء الله وصفاته أشرف العلوم الشَّرعيَّة وأزكاها؛

(١) جلاء الأفهام (ص١٧٣).

لتعلُّقه بأشرف معلومٍ وهو الله سبحانه، فمعرفته سبحانه والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجلُّ علوم الدِّين كلِّها، وإرادة وجهه أجلُّ المقاصد، وعبادته أشرف الأعمال، والثَّناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال، وذلك أساس الحنيفيَّة ملَّة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو الدِّين الَّذِي اجمعت عليه جميع النَّبيِّين، وعليه اتَّفقت كلمتهم وتواطأت مقالتهم وتوارد نصحهم وبيانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. بل هو من الأسس العظام الَّتِي قامت عليها دعوات المرسلين، وهو سبيل عِزِّ العبد ورفعته وصلاحه في الدُّنيا والآخرة، فإنَّ «مَن في قلبه أدنى حياة أو محبَّة لربِّه وإرادة لوجهه وشوقٍ إلى لقائه فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التَّبصُّر فيه وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وأجلُّ غاياته، وليست القلوب الصَّحيحة والنُّفوس المطمئنَّة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظَّفر بمعرفة الحقِّ فيه»(١).

وهذه المعرفة هي الَّتِي عليها مدار السَّعادة وبلوغ الكمال والتَّرقِّي في درج الرِّفعة، ونيل نعيم الدُّنيا والآخرة، والظَّفر بأجلِّ المطالب وأنجح الرَّغائب وأشرف المواهب، والنَّاس في هذا بين مستكثر ومقلٍّ ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ومتى كان العبد عارفًا بربِّه، محبًّا له، قائمًا بعبوديَّته، ممتثلًا أمره، مبتعدًّا عن نواهيه؛ تحقَّق له بهذه المعرفة والعبوديَّة اللَّتين هما غاية الخلق والأمر كمال الإنسان المرجو وسمُّوه المنشود، بل «ليست حاجة الأرواح قطُّ إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها،

(١) الصَّواعق المرسلة (١/ ١٣ - ١٤).

ومحبَّته، وذكره، والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والزُّلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلَّا بمعرفة أوصافه وأسمائه؛ فكُلَّما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف وله أطلب وإليه أقرب، وكُلَّما كان لها أنكر كان بالله أجهل وإليه أكره ومنه أبعد، والله ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه»[(١)].

ولهذا كان ذكر أسماءِ الله وصفاته في القرآن أكثرَ من ذكر أيِّ أمر آخر، لأنَّها أعظم شيء ذكر في القرآن وأفضله وأرفعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر ممَّا فيه من ذكر الأكل والشُّرب والنِّكاح في الجنَّة، والآيات المتضمِّنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدرًا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمِّنة لذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصَّحيح الَّذي رواه مسلم[(٢)] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال لأُبَيِّ بن كعب: «**أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ أَعْظَمَ؟**» قال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فضرب بيده في صدره وقال: «**لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ**».

وأفضل سورة: سورة أمِّ القرآن، كما ثبت ذلك في حديث أبي سعيد بن المُعَلَّى في الصَّحيح[(٣)]، قال له النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي القُرْآنِ مِثْلُهَا، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»، وفيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم ممَّا فيها من ذكر المعاد.

(١) توضيح المقاصد شرح نونيَّة ابن القيِّم (١/ ٢٤).
(٢) رواه مسلم (٨١٠).
(٣) رواه التِّرمذيُّ (٢٨٧٥)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

وقد ثبت في الصَّحيح[(١)] عنه ﷺ من غير وجهٍ أنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، وثبت في الصَّحيح[(٢)] أنَّه بشَّر الَّذِي كان يقرأها ويقول: «إِنِّي لَأُحِبُّهَا لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ» بأنَّ الله يُحِبُّه، فبيَّن أنَّ الله يحبُّ مَن يحبُّ ذكر صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا باب واسع»[(٣)].

وهذه المعرفة والمحبَّة والأنس هي السَّبيل الآمنة للسَّائرين والطَّريق الرَّابحة للمشمِّرين، «فالسَّير إلى الله من طريق الأسماء والصِّفات شأنه عجب وفتحه عجب! صاحبه قد سيقت له السَّعادة وهو مستلق على فراشه غير تعب ولا مكدود ولا مشتَّت عن وطنه ولا مشرَّد عن سكنه»[(٤)]، فلا يزال مترقيًّا في هذه المعالي، ماضيًا في هذه الطَّريق إلى أن يبلغ عالي الرُّتب ورفيع المنازل.

وسبيل هذه المعرفة يكون «باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتَّى تتأثَّر القلوب بآثارها ومقتضياتها وتمتلئ بأجلِّ المعارف، فمثلًا أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلب تعظيمًا لله وإجلالًا له، وأسماء الجمال والبِرِّ والإحسان والرَّحمة والجود تملأ القلب محبَّةً لله وشَوقًا له وحمدًا له وشكرًا، وأسماء العِزِّ والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعًا لله وخشوعًا وانكسارًا بين يديه، وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات والسَّكنات، وحراسةً للخواطر عن الأفكار الرَّديَّة والإرادات الفاسدة، وأسماء

---

(١) رواه مسلم (٨١١).
(٢) رواه البخاريُّ (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).
(٣) درء تعارض العقل والنَّقل (٥/ ٣١٠).
(٤) طريق الهجرتين وباب السَّعادتين (١/ ٤٧٠).

الغنى واللُّطف تملأ القلب افتقارًا واضطرارًا إليه والتفاتًا إليه كلَّ وقت في كلِّ حال.

فهذه المعارف الَّتِي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته وتعبُّده بها لله لا يحصل العبد في الدُّنيا أجلَّ ولا أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي روح التَّوحيد وروْحه، ومَن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التَّوحيد الخالص والإيمان الكامل»[(١)].

فهي تجارة رابحة، ومن أرباحها: سكون النَّفس، وطمأنينة القلب، وانشراح الصَّدر، وسكنى الفردوس يوم القيامة، والنَّظر إلى وجه الله الكريم، والفوز برضاه والنَّجاة من سخطه وعذابه.

---

(١) القول السَّديد شرح كتاب التَّوحيد (ص ١٦١).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَارْحَمْنِي»

روى مسلم في صحيحه[١] عن أبي مالك الأشجعيِّ عن أبيه ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّم مَن أسلم أن يقول: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَارْحَمْنِي**». وفي رواية عند مسلم[٢]: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي**». ورواه أحمد[٣] وزاد: وَهُوَ يَقُولُ: «**هَؤُلَاءِ يَجْمَعْنَ لَكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**».

هذه دعاءٌ عظيم جامع يُسْتَحبُّ تعليمُه كلَّ مَن دخل حديثًا في الإسلام، تضمن أربعة مطالب عظيمة هي في غاية الأهمِّيَّة؛ تجمع للعبد خير الدُّنيا والآخرة، وعلى العبد أن يباشر كثرة دعاء الله بها بعد أن منَّ الله ﷻ عليه بالدُّخول في هذا الدِّين العظيم.

ولا يقال: إنَّه قد اهتدى ودخل في الدِّين فكيف يقول: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي» وقد اهتدى؟! بل الهداية كما أنَّها تتناول الدُّخول في الدِّين فإنَّها تتناول أيضًا الهداية للعلم بتفاصيله والقيام بأوامره وأعماله والثَّبات عليه والمداومة وعدم الانصراف والانشغال عنه، بل إنَّ سؤال الهداية هو أعظم مطلب، ولهذا قدَّمه النَّبيُّ ﵊ في هذه الدَّعوات،

---

(١) روى نحوه مسلم (٢٦٩٧)، والحاكم (١٩٤٠)، واللَّفظ له.
(٢) رواه مسلم (٢٦٩٧). (٣) رواه أحمد (١٥٨٨١).

واقتُصر عليه في سورة الفاتحة الَّتِي جمعت الخير كلَّه، قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [٦]، ولا يوجد دعوة من الدَّعوات افترض الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على عباده أن يدعوه بها في اليوم واللَّيلة سبع عشرة مرَّة فرضًا إلَّا هذه الدَّعوة في الرَّكعات الَّتِي في الصَّلاة المكتوبة.

ومَن يدخل في هذا الدِّين العظيم قد منَّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عليه بالهداية لهذا الدِّين، لكنَّه بحاجة ماسَّة إلى العلم بتفاصيل هذا الدِّين وبحاجةٍ ماسَّة إلى أن يُعان على العمل بما يتعلَّمه من أعمال هذا الدِّين، وبحاجةٍ ماسَّة إلى الثَّبات على هذا الدِّين والمداومة عليه إلى أن يتوفَّاه الله، وبحاجةٍ ماسَّة إلى أن يَسْلم من الصَّوارف والشَّواغل والملهيات.

فقوله في هذا الدُّعاء: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي**» يتناول ذلك كلَّه، والمراد بالهداية: أي: الهداية إلى الصِّراط المستقيم؛ أن يُهدى إليه علمًا، وأن يُهدى إليه عملًا، وأن يُهدى إليه ثباتًا ومداومةً، كلُّ ذلك داخلٌ تحت سؤال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الهداية.

قوله: (**وارزقني**) هذا يتناول سؤال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الرِّزق؛ أي: من خير الدُّنيا والآخرة، لا يختصُّ بالدُّنيا بل يتناول سؤال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خير الدُّنيا والآخرة؛ «**ارزقني**»، أي: في الدُّنيا كلَّ خيرٍ وحسنةٍ وبركة، وفي الآخرة المقام الكريم والفوز برضوان الله وجنَّته ونيل عظيم ثوابه وموعوده.

وقوله: (**وعافني**)، أي: من كلِّ بلاء في الدُّنيا والآخرة، وما أوتي عبدٌ بعد اليقين خيرٌ ولا أعظم من العافية، ومَن أُوتِي العافية في دنياه وأخراه فقد أفلح وفاز الفوز العظيم.

وقوله: (**وارحمني**)، أي: تغمَّدني برحمتك، واجعلني من أهل الفوز بالرَّحمة الَّتِي خصَّ بها عباده المتَّقين وأولياءه المؤمنين، ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، فيسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرحمه

رحمة ينال بها السَّعادة والفلاح في دنياه وأخراه. وفي الرِّواية الأخرى للحديث عند مسلم زاد طلب المغفرة، وهو المطلب الخامس في هذا الدُّعاء قال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»، أي: ذنوبي أو تقصيري في طاعتك.

ومَن أتى بهذا الدُّعاء فقد ملأ يديه بالخير؛ فعَنِ ابنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ آخُذُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي»، قَالَ: «**قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**» قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا لِي؟» قَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي**»، ثُمَّ أَدْبَرَ وَهُوَ مُمْسِكٌ كَفَّيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا، فَقَدْ مَلَأَ يَدَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ**». رواه أحمد[1]. لأنَّه أخذ بجمعه هذا مجامع الخير.

فالحاصل: أنَّ هذه الدَّعوات دعوات عظيمة جوامع أتت على الخير كلِّه؛ خير الدُّنيا والآخرة. وكلُّ مسلم بحاجةٍ إليها، ومَن كان قد دخل في الإسلام حديثًا فجديرٌ أن يُعلَّم هذه الدَّعوات بأن يحافظ عليها لتجمع له خير الدَّارين.

ونظير هذا في الحرص على تلقين مَن أسلم حديثًا دعاء يوظب عليه ليكون سببًا في ثباته وترقيه في الخير ما رواه التِّرمذيُّ[2] عَن عِمرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي: «**يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟**» قَالَ أَبِي: «سَبْعَةً؛ سِتَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ»، قَالَ: «**فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟**» قَالَ: «الَّذِي فِي السَّمَاءِ»، قَالَ: «**يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّ** ». قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِيَ الكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي»، فَقَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي**».

---

(١) رواه أحمد (١٩١١٠).

(٢) رواه التِّرمذيُّ (٣٤٨٣).

فهذه دعوة عظيمة جمعت الخير كلَّه، فمَن ألهمه الله عَزَّ وَجَلَّ رشده بأن وَفَّقه للاستقامة على طريق الحقِّ والاهتداء إلى الصَّلاح، ووقاه من شرِّ نفسه بأن أجاره وحفظه ونجَّاه من شرِّها إذ هي منبع الفساد؛ فاز بالخير كلِّه، لأنَّ انحراف مَن ينحرف راجعٌ إمَّا إلى أنَّه لم يُلهم الرُّشد فلم يعرفه، أو أنَّه عرف الحقَّ لكن نفسه غلبته على ترك الحقِّ وعدم قبوله. فإذا أكرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عبده وألهمه رشد نفسه ووقاه من شرِّها فاز بالخير وسلِم بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من الشَّرِّ والانحراف.

قال الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الحديث من جوامع الكلم النَّبويَّة؛ لأنَّ طلب إلهام الرُّشد يكون به السَّلامة من كلِّ ضلال، والاستعاذة من شرِّ النَّفس يكون بها السَّلامة من غالب معاصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإنَّ أكثرها من جهة النَّفس الأمَّارة بالسُّوء»[(١)].

وقول النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «**لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ**»؛ أسلوب تشويق عظيم، فتعليم الكلمتين موقوف على الإسلام، فشوَّقه إلى الإسلام بتشويقه إلى كلمتين عظيمتين تنفعانه في دنياه وأخراه، وهو من الوسائل النَّافعة في الدَّعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، والمدعوُّ بحاجة ماسَّة إلى الرِّفق به والاجتهاد في مناصحته والتَّلطُّف في تشويقه وتأليف قلبه والصَّبر في ذلك، وعدم استعجال النَّتائج والثَّمرات.

قوله: (**فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِيَ الكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي**)؛ يفيد أثر هذا التَّشويق على قلبه، وأنَّه ما زال مشتاقًا لهاتين الكلمتين منذ وعده النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، بدليل أنَّه ما نسيها، بل فور ما أسلم سأل النَّبِيَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عنها وطلب تعليمه إيَّاها.

---

(١) تحفة الذَّاكرين (ص٤٣٠).

فتأليف القلوب له أثره البالغ على المدعوين في جلب قلوبهم للخير وتحبيبهم في الهداية وترغيبهم في الإسلام، كما روى أبو داود أنَّه ﷺ استسقى لبعض المشركين لَمَّا طلبوا منه أن يستسقي لهم، فاستسقى لهم، وكان ذلك إحسانًا منه إليهم يتألَّف به قلوبَهم،كما كان يتألَّفهم بغير ذلك.

وروى الإمام أحمد[١] عن صفوان بن أُمَيَّة رضي الله عنه قال: «أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنَّه لأبغضُ النَّاس إليَّ، فما زال يعطيني حتَّى صار وإنَّه لَأَحَبُّ النَّاس إليَّ».

وروى البخاريُّ في الأدب المفرد[٢] عن مجاهد قال: «كنتُ عند عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وغلامُه يسلخ شاةً فقال: يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهوديِّ، فقال رجلٌ من القوم: اليهوديّ؟ أصلحك الله، قال: إنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يوصي بالجار حتَّى خشينا أو رُؤينا أنَّه سيورِّثه».

وروى البخاريُّ في الأدب المفرد[٣] عن أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما قَالَتْ: أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً، فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]. أي: لا ينهاكم الله عن البرِّ والصِّلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدِّين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصِلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة لا محذور فيها

---

(١) رواه أحمد (١٥٣٠٤).

(٢) رواه البخاريُّ في الأدب المفرد (١٢٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٣) رواه البخاريُّ في الأدب المفرد (٢٥)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

ولا مفسدة، بل رُبَّما كانت سببه في هدايتهم ودخولهم في هذا الدِّين؛ فتأليف القلوب، والرِّفق بالمدعوِّين، والإحسان إليهم ونحو ذلك له تأثيرٌ بالغٌ في نفوسهم لقبول الخير والقناعة به.

قال عَطَاء الخراسانيُّ في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٢] «أي: إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله»[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا معنى حسن، وحاصله أنَّ المتصدِّق إذا تصدَّق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجرُه على الله، ولا عليه في نفس الأمر لمَن أصاب؛ ألِبَرٍّ أو فاجر أو مستحقٍّ أو غيره، هو مثابٌ على قصده، ومستَنَدُ هذا تمامُ الآية: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٢]. والحديثُ المخرج في الصَّحيحين[٢]، من طريق أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجلٌ: لأتصدَّقنَّ اللَّيلة بصدَقَةٍ، فخرجَ بصدقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيةٍ، فَأَصبحَ النَّاسُ يَتَحدَّثونَ: تُصُدِّقَ عَلَى زَانِيةٍ! فقالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ عَلَى زَانيةٍ، لأتصدَّقنَّ اللَّيلة بِصَدَقةٍ، فخرجَ بِصدقَتِهِ فَوَضَعَها فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحدَّثونَ: تُصُدِّقَ اللَّيلة عَلَى غَنِيٍّ! فقالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمدُ عَلَى غَنِيٍّ، لأتصدَّقنَّ اللَّيلة بصدَقَةٍ، فخرجَ بِصَدَقتِهِ فوضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتحدَّثونَ: تُصُدِّق اللَّيلة عَلَى سَارِقٍ! فقالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ عَلَى زَانِيةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ، فَأُتِي فَقِيل لَهُ: أمَّا صَدَقتُكَ فَقَد قُبِلَت؛ وأمَّا الزَّانية فلعلَّها أن تَستعفَّ بِهَا عَن زِناها، ولعلَّ الغنيَّ يعتبرُ فينفقُ ممَّا أَعْطاه اللهُ، ولعلَّ السَّارق أن يَسْتعِفَّ بِهَا عن سَرِقَتِهِ»، وأيضًا الكافر لعلَّ الله أن يهديه بها.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في التَّفسير (٢٨٦٠).

(٢) رواه البخاريُّ (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢).

وقبل هذا التَّأليفِ لقلوب هؤلاء يُدعى لهم بالهداية، ولمَّا قيل للرَّسول ﷺ عن دوس: إنَّهم عَصَوا، قال: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ**»[(١)]، فدعا لهم ﷺ بالهداية.

وروى مسلم في صحيحه[(٢)] عن يزيد بن عبد الرَّحمن قال: حدَّثني أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام وهي مشركةٌ، فدعوتُها يومًا فأسمعتني في رسول الله ما أكرهُ، فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إنِّي كنتُ أدعو أمِّي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتُها اليوم فأسمعتني فيك ما أكرهُ، فادعُ اللهَ أن يهديَ أمَّ أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**»، فخرجتُ مستبشرًا بدعوةِ نبيِّ الله ﷺ، فلمَّا جئتُ فصرتُ إلى الباب، فإذا هو مجافى، فسمعَتْ أُمِّي خشفَ قدميَّ فقالت: مكانك يا أبا هريرةَ! وسمعْتُ خضخضةَ الماء، قال: فاغتسلتْ ولبستْ درعَها وعجلتْ عن خمارها ففتحت الباب، ثمَّ قالت: يا أبا هريرةَ! أشهدُ أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله! أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أمَّ أبي هريرة، فحمد اللهَ وأثنى عليه، وقال خيرًا. قال قلت: يا رسول الله ادعُ اللهَ أن يحبِّبني أنا وأمِّي إلى عباده المؤمنين، ويحبِّبهم إلينا، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا** -يعني: أبا هريرة- **وَأمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ، وَحبِّبْ إِلَيْهِم المُؤْمِنِينَ**»، فما خُلق مؤمنٌ يسمعُ بي ولا يراني إلَّا أحبَّنِي».

وفي هذه القصَّة فوائدُ عظيمة وعِبَرٌ نافعة يفيدها الدَّاعي إلى الله عَزَّ وَجَلَّ عند التَّأمُّل لمعانيها والتَّفكُّر في مضامينها.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٢٤).

(٢) رواه مسلم (٢٤٩١).

شرح حديث:
«فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى»

روى التِّرمذيُّ في جامعه(١) عَن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: «احْتُبِسَ عَنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ فَقَالَ لَنَا: «عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ»، ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الغَدَاةَ: أَنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَثْقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تبارك وتعالى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ -قَالَهَا ثَلَاثًا، قَالَ:- فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْت: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَالجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ. قَالَ: ثُمَّ فِيمَ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: سَلْ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٣٢٣٥)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا».

هذا حديث عظيم جامع في فضائل الأعمال، تضمَّن دعوة عظيمة كبيرة العائدة؛ وهي قوله: «وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن أفضل ما سُئِل اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حبُّه وحبُّ من يحبُّه وحبُّ عمل يقرب إلى حبِّه، ومن أجمع ذلك أن يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ»، وهذا الدُّعاء هو فسطاط خيمة الإسلام الَّذِي قيامها به، وهو حقيقة شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، والقائمون بحقيقة ذلك هم الَّذِين هم بشهادتهم قائمون. والله سبحانه تعرَّف إلى عباده من أسمائه وصفاته وأفعاله بما يوجب محبَّتهم له؛ فإنَّ القلوب مفطورة على محبَّة الكمال ومَن قام به»(١).

وقد اشتمل هذا الحديث على فوائد عظيمة، وقد أفرد فيه الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ سمَّاها «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى»، ولعلِّي ألتقط شيئًا من فوائده وأُلَخِّص طرفًا من فرائده المتعلِّقة بالدَّعوات المذكورة في هذا الحديث، وهي قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا». فهذا دعاء عظيم من أجمع الأدعية وأكملها.

---

(١) روضة المحبِّين ونزهة المشتاقين لابن القيِّم (ص٥٦٦).

فقوله ﷺ: (**أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات**)؛ يتضمَّن طلب كلِّ خير وترك كلِّ شرٍّ؛ فإنَّ الخيرات تجمع كلَّ ما يحبُّه الله تعالى ويُقرِّب منه من الأعمال والأقوال من الواجبات والمستحبَّات، والمنكرات تشمل كلَّ ما يكرهه الله عَزَّوَجَلَّ ويباعد منه من الأقوال والأعمال، فمَن حصل له هذا المطلوب حصل له خير الدُّنيا والآخرة.

قوله: (**وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ**)؛ هذا قد يقال: إنَّه من جملة فعل الخيرات، وأفرده بالذِّكر لشرفه وقُوَّة الاهتمام به، كما أفرد أيضًا ذكر حبِّ الله تعالى وحبِّ مَن يحبُّه وحبِّ عمل يبلِّغه إلى حبِّه، وذلك أصل فعل الخيرات كلِّها. وقد يقال: إنَّه طلب من الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقه أعمال الطَّاعات بالجوارح وترك المنكرات بالجوارح، وأن يرزقه ما يوجب له ذلك؛ وهو حبُّه وحبُّ مَن يحبُّه وحبُّ عمل يبلغه حبَّه، فهذه المحبَّة بالقلب موجبة لفعل الخيرات بالجوارح ولترك المنكرات بالجوارح، وسأل الله أن يرزقه المحبَّة فيه.

فقد تضمَّن هذا الدُّعاء سؤال حبِّ الله عَزَّوَجَلَّ وحبِّ أحبابه وحبِّ الأعمال الَّتِي تُقَرِّب من حبِّه والحبِّ فيه، وذلك مقتضٍ فعل الخيرات كلِّها، ومتضمِّن لترك المنكرات والسَّلامة من الفتن، وذلك يتضمَّن اجتناب الشَّرِّ كلِّه. فجمع هذا الدُّعاء طلب خير الدُّنيا، وتضمَّن سؤال المغفرة والرَّحمة، وذلك يجمع خير الآخرة كلَّه، فجمع هذا الدُّعاء خير الدُّنيا والآخرة.

قوله: (**وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي**)؛ المغفرة والرَّحمة يجمعان خير الآخرة كلَّه؛ لأنَّ المغفرة ستر الذُّنوب مع الوقاية من شرِّها، وقد قيل: إنَّه لا تجتمع المغفرة مع عقوبة عليها، ولذلك سُمِّي المِغْفَر: مِغْفرًا؛ لأنَّه يستر الرَّأس ويقيه الأذى، وهذا بخلاف العفو، فإنَّه يكون تارة قبل العقوبة وتارة بعدها.

وأمَّا الرَّحمة: فهي دخول الجنَّة وعلوُّ درجاتها، وجميع ما في الجنَّة من النَّعيم ومن رضى الله عَزَّوَجَلَّ وقربه ومشاهدته وزيارته فإنَّه من رحمة الله، وفي الحديث الصَّحيح[١]: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول للجنَّة: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي**»، فكلُّ ما في الجنَّة فهو من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، وإنَّما تنال برحمته لا بالعمل كما قال ﷺ: «**لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: «**وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ**»[٢].

قوله: (**وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**)؛ المقصود من هذا الدُّعاء سلامة العبد من فتن الدُّنيا مُدَّة حياته، فإن قدَّر الله عَزَّوَجَلَّ على عباده فتنة قبض عبده إليه قبل وقوعها، وهذا من أهمِّ الأدعية؛ فإنَّ المؤمن إذا عاش سليمًا من الفتن ثمَّ قبضه الله تعالى إليه قبل وقوعها وحصول النَّاس فيها كان في ذلك نجاةً له من الشَّرِّ كلِّه.

قوله: (**وأسألك حبَّك، وحبَّ مَن يحبُّك، وحبَّ العمل الَّذي يبلِّغني حبَّك**)؛ هذا الدُّعاء يجمع كلَّ خير، فإنَّ الأفعال الاختياريَّة من العبد إنَّما تنشأ عن محبَّة وإرادة، فإن كانت محبَّة الله ثابتةً في قلب العبد نشأت عنها حركات الجوارح فكانت بحسب ما يحبُّه الله ويرتضيه، فأحبَّ ما يحبُّه الله عَزَّوَجَلَّ من الأعمال والأقوال كلِّها، ففَعَل حينئذ الخيرات كلَّها وترَك المنكرات كلَّها، وأحبَّ مَن يحبُّه الله من خلقه.

ومحبَّة الله تعالى على درجتين:

إحداهما: واجبة؛ وهي المحبَّة الَّتي توجب للعبد محبَّة ما يحبُّه الله من الواجبات، وكراهة ما يكرهه من المُحَرَّمات؛ فإنَّ المحبَّة

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).
(٢) رواه البخاريُّ (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

التَّامَّة تقتضي الموافقة لمَن يحبُّه في محبَّة ما يحبُّه وكراهة ما يكرهه، خصوصًا فيما يحبُّه ويكرهه من المحبِّ نفسه، فلا تصحُّ المحبَّة بدون فعل ما يحبُّه المحبوب من مُحِبِّه، وكراهة ما يكرهه المحبوب من مُحِبِّه. ومتى أخلَّ العبد ببعض الواجبات أو ارتكب بعض المُحَرَّمات فمحبَّته لربِّه غير تامَّة، فالواجب عليه المبادرة بالتَّوبة، والاجتهاد في تكميل المحبَّة المفضية لفعل الواجبات كلِّها واجتناب المُحَرَّمات كلِّها.

وهذا معنى قول النَّبيِّ ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(١)]، فإنَّ الإيمان الكامل يقتضي محبَّة ما يحبُّه الله، وكراهة ما يكرهه الله عَزَّ وَجَلَّ، والعمل بمقتضى ذلك. فلا يرتكب أحد شيئًا من المُحَرَّمات أو يخلُّ بشيء من الواجبات إلَّا لتقديم هوى النَّفس المقتضي لارتكاب ذلك على محبَّة الله تعالى المقتضية لخلافه.

الدَّرجة الثَّانية من المحبَّة: درجة المقرَّبين؛ وهي أن يمتلئ القلب بمحبَّة الله تعالى حتَّى توجب له محبَّة النَّوافل والاجتهاد فيها، وكراهة المكروهات والانكفاف عنها، والرِّضا بالأقضية والأقدار المؤلمة للنُّفوس لصدورها عن المحبوب.

ولمَّا كانت محبَّة الله عَزَّ وَجَلَّ لها لوازم -وهي محبَّة ما يحبُّه الله عَزَّ وَجَلَّ من الأشخاص والأعمال، وكراهة ما يكرهه من ذلك- سأل النَّبِيُّ ﷺ الله تعالى مع محبَّته محبَّة **شيئين آخرين:**

أحدهما: محبَّة مَن يحبُّه الله؛ فإنَّ مَن أحبَّ الله أحبَّ أحباءه فيه ووالاهم، وأبغض أعداءه وعاداهم كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ**

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله...»[1]. الحديث. وأعظم مَن تجب محبَّتهم في الله أنبياؤه ورسله، وأعظمهم نبيُّه محمَّد ﷺ الَّذِي افترض الله على الخلق كلِّهم متابعته، وجعل متابعته علامة لصحَّة محبَّته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

والثَّاني: محبَّة ما يحبُّه الله تعالى من الأعمال، وبها يبلغ إلى حبِّه؛ وفي هذا إشارة إلى أنَّ درجة المحبَّة لله تعالى إنَّما تنال بطاعته وبفعل ما يحبُّه، فإذا امتثل العبد لأوامر مولاه وفعَل ما يحبُّه أحبَّه الله تعالى ورقَّاه إلى درجة محبَّته، كما في الحديث الإلهيِّ الَّذِي خرَّجه البخاريُّ[2]: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ».

وقد عقد ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه مدارج السالكين فصلًا في الأسباب الجالبة للمحبَّة والموجبة لها قال رَحِمَهُ اللهُ: «وهي عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتَّدبُّر والتَّفهُّم لمعانيه وما أريد به.

الثَّاني: التَّقرُّب إلى الله بالنَّوافل بعد الفرائض.

الثَّالث: دوام ذكره على كلِّ حال باللِّسان والقلب والعمل والحال؛ فنصيبه من المحبَّة على قدر نصيبه من هذا الذِّكر.

الرَّابع: إيثار محابِّه على محابِّك عند غلبة الأهواء.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها،

---

(١) رواه البخاريُّ (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٥٠٢).

وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمَن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبَّه لا محالة.

السَّادس: مشاهدة برِّه وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظَّاهرة؛ فإنَّها داعية إلى محبَّته.

السَّابع: وهو من أعجبها: انكسار القلب بكُلِّيَّته بين يدي الله تعالى.

الثَّامن: الخلوة به وقت النُّزول الإلهيِّ لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتَّأدُّب بآداب العبوديَّة بين يديه، ثمَّ ختم ذلك بالاستغفار والتَّوبة.

التَّاسع: مجالسة المحبِّين الصَّادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم.

العاشر: مباعدة كلِّ سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ.

فمِن هذه الأسباب العشرة وصل المُحِبُّون إلى أعلى المنازل، وبالله التَّوفيق»[(١)].

وهذه المحبَّة كما يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرَّة العيون، وهي الحياة الَّتِي مَن حُرمها فهو من جملة الأموات، والنُّور الَّذِي مَن فقده فهو في بحار الظُّلمات، والشِّفاء الَّذِي مَن عدمه حلَّت بقلبه جميع الأسقام، واللَّذَّة الَّتِي مَن لم يظفر بها فعيشه كلُّه همومٌ وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال الَّتِي متى خلت منها فهي كالجسد الَّذِي لا روح فيه»[(٢)].

---

(١) مدارج السَّالكين (٣/ ٣٨٢). (٢) مدارج السَّالكين (٣/ ٨).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»

روى أحمد والحاكم[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُمْ: «**أَتُحِبُّونَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟**» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**».

قوله صلى الله عليه وسلم: (**أَتُحِبُّونَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟**)؛ هذا أسلوب تشويق وترغيب تكثر نظائره في أحاديث نبيِّنا الكريم عليه الصلاة والسلام، وهذا نافع في تعليم الخير والدَّلالة عليه؛ ولهذا قالوا: «نعم يا رسول الله»، قالوا ذلك عن شوق قام في قلوبهم إلى هذه الدَّعوة الموصوفة بهذا الوصف.

والمعنى: أتُحبُّون أن تدعوا بدعاءٍ يكون فيه اجتهاد عظيم في الدُّعاء، وقد يُظنُّ أنَّه سيذكر دعاءً كثيرًا وألفاظًا مطولة، فذكر هذه الثَّلاثَ كلمات، وعدَّ صلى الله عليه وسلم هذا اجتهادًا في الدُّعاء، وهذا يؤكِّد لنا أنَّ نبيَّنا عليه الصلاة والسلام أوتي جوامع الكلم، وكان يعجبه من الأدعية الجوامع الكوامل ويرشد إليها عليه الصلاة والسلام، فحريٌّ بكلِّ مسلم أن يحافظ على هذه الدَّعوة الموصوفة في هذا الحديث بأنَّها اجتهادٌ في الدُّعاء.

قال ابن القيِّم رحمه الله: «ولهذا كان من أفضل ما يُسأل الرَّبُّ تبارك

---

(١) رواه أحمد (٧٩٨٢)، والحاكم (١٨٣٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح الجامع (٨١).

وتعالى الإعانة على مرضاته، وهو الَّذِي علَّمه النَّبِيُّ ﷺ لحبِّه معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فَلَا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(١)، فأنفع الدُّعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب. وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأمَّلها»(٢).

الحاصل: أنَّ هذه الدَّعوة دعوة عظيمة ينبغي أن يعتني بها العبد في أيَّامه ولياليه، وإذا كان من المعتنين بها فليبشر؛ فإنَّه من المجتهدين في الدُّعاء، فيواظب عليها دبر كلِّ صلاة وأوقات تحرِّي الإجابة؛ آخرِ اللَّيل، وساعة الجمعة، وبين الأذان والإقامة، وغير ذلك من الأوقات، وتكون من دعواته الَّتِي يستكثر منها، لأنَّها من أعظم ما يكون في باب الاجتهاد في الدُّعاء.

وهي وصيَّة المُحبِّ لمَن أحبَّه، فقد أوصى بها النَّبِيُّ ﷺ معاذًا رضي الله عنه بأسلوب فيه لطف وتشويق وترغيب، وكان السَّلف الصَّالح يتواصَوْن بها؛ فعن أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ عَنِ الصُّنَابِحِيِّ عَن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ**»، فَقَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(٣)، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

وقد أفاد هذا الحديث أنَّ لهذه الدَّعوة مزيدَ خصوصيَّة أدبار

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنَّسائيُّ (١٣٠٣)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٢) مدارج السَّالكين (١/ ١٢١).
(٣) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنَّسائيُّ (١٣٠٣)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

الصَّلوات، وأفاد الحديث الأوَّل أنَّها أيضًا من الأدعية المطلقة الَّتِي يستحبُّ الإتيان بها كلَّ وقت، وكثير من النَّاس عنايتهم بها مقصورة على أدبار الصَّلوات.

قوله ﷺ: (**قُولُوا: «اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»**)؛ يستحضر العبد في هذا المقام عجزه وضعفه، وأنَّه لا حول له ولا قُوَّة إلَّا بالله، وأنَّ مَن لم يكن له من الله عون على عمله لم تنهض نفسه للعمل ولم تقم بشيء من ذلك، لأنَّها ضعيفةٌ عاجزة، ولهذا ما أحوج العبد أن يكون مُلحًّا على الله بهذا الدَّعوة كلَّ وقت وبخاصَّة أدبار الصَّلوات، فإذا أدَّيت الفريضة وشهدتها مع المسلمين في بيوت الله بتيسير من الله؛ استحضر في هذا الموطن هذا التَّيسير والإنعام، وتذكر أنَّ هناك فرائض أخرى مقبلة، فبادر إلى دعاء الله عقِب الفريضة ودبرها أن يعينك على أداء ما يأتي كما أعانك على أداء هذا الَّذِي قد أدَّيته.
فكان في غاية المناسبة أن تواظب دبر كلِّ صلاة على: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»، وكأنَّك تقول: يا الله كما أعنتني على هذه الصَّلاة ووفَّقتني للقيام بها فأعنِّي على القادم من الصَّلوات والآتي من العبادات، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، فتلحُّ على الله سبحانه بهذه الدَّعوة دبر كلِّ صلاة، وأيضًا تجعلها من دعائك المطلق في الأوقات المختلفة.

قوله: (**اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ**)؛ أي: أعِنَّا على المواظبة على الذِّكر وعلى كثرة الاشتغال به والمداومة عليه، ما كان منه ذكرًا مطلقًا أو ذكرًا مقيَّدًا بأوقات، وأن نكون من الذَّاكرين لك بالكثرة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال عز وجل: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ

وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وليس المراد بالذِّكر مجرَّد الذِّكر اللِّسانِيِّ فقط، بل الذِّكر القلبيّ واللِّسانِيّ. وذِكره يتضمَّن: ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه، وذكر كلامه؛ وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفاته كماله ونعوت جلاله والثَّناء عليه بأنواع المدح. وذلك لا يتمُّ إلَّا بتوحيده. فذِكره الحقيقيُّ يستلزم ذلك كلُّه، ويستلزم ذِكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه.

قوله: (**وشكرك**)، أي: وأعنِّي على المداومة على شكرك على نعمائك وجميل آلائك وواسع فضلك وعطائك؛ فتطلب من الله المعونة على الشُّكر؛ لأنَّ كثيرًا من النَّاس عند حدوث النِّعم تأتيه ملهيات كثيرة وشواغل عديدة تلهيهم عن شكر المنعِم سبحانه. فما أحوجَ العبد إلى أن يسأل الله دائمًا أن يعينه على الشُّكر، ليكون من عباد الله الشَّاكرين. ويدخل في الشُّكر أن تُستعمَل نعم الله في طاعته؛ وألَّا تستعمَل فيما يسخطه ويغضبه سُبحانه وتعالى.

وقد أمر الله في كتابه عباده بالشُّكر ونهاهم عن ضدِّه، وأثنى على أهله، ووصف به خواصَّ خلقِه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سببًا للمزيد من فضله وعطائه، وحارسًا وحافظًا لنعمته، وأخبر أنَّ أهلَه هم المنتفعون بآياته، ونوَّع سبحانه دلالاته والحثَّ عليه. قال الله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [النَّحل: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وعلَّق سبحانه المزيدَ بالشُّكر، والمزيدُ منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن

كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧].

وأخبر سبحانه أنَّه إنَّما يعبدُه مَن شكَره، فمَن لم يشكُرْه لم يكن من أهل عبادته؛ فقال سبحانه: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٢]، وأخبر أنَّ رضاه في شكره فقال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزُّمر:٧].

وشكر الله سبحانه واجبٌ على كلِّ مسلم، وهو السَّبيل لبقاء النِّعم ودوامِها ونموها، كما أنَّ عدم شكر النِّعمة سببٌ لزوالها واضمحلالها، وقد قيل: «كلُّ شكرٍ وإن قلَّ ثمنٌ لكلِّ نوالٍ وإن جلَّ»، فإذا لم يشكر المرءُ فقد عرَّض النِّعمة للزَّوال، وقيل أيضًا: «الشُّكر قيدٌ للنِّعم الموجودة، وصيدٌ للنِّعم المفقودة»(١)، وكانوا يسمُّون الشُّكر: «الحافظ»؛ لأنَّه يحفظ النِّعم الموجودة، و«الجالب»؛ لأنَّه يجلب النِّعم المفقودة.

قوله: (**وحسن عبادتك**) لم يقل وعبادتك؛ لأنَّ العبادة لا تكون مقبولةً إلَّا إذا اتَّصفت بالحُسن، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود:٧]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك:٢]. فلا بُدَّ أن يكون العمل متَّصفًا بالحُسن ليكون مقبولًا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد قال العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ: لا يكون العمل حسنًا إلَّا إذا اجتمع فيه وصفان: أن يكون لله خالصًا، وأن يكون لسُنَّة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موافقًا؛ لأنَّه إن لم يكن خالصًا رُدَّ على صاحبه ولم يقبل منه، كما في الحديث القدسيِّ(٢): «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ**

---

(١) مدارج السَّالكين (٢/ ٥٩١). (٢) رواه مسلم (٢٩٨٥).

وَشِرْكَهُ»، وإن لم يكن موافقًا لهدي النَّبِيِّ الكريم ﷺ رُدَّ على صاحبه ولم يُقبل منه، كما قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(١)، أي: مردودٌ على صاحبه غيرُ مقبول منه.

فسؤال الدَّاعي المعونة على حسن العبادة يتضمَّن سؤال الله الإخلاص فيها والتَّوفيق لإصابة السُّنَّة. قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: «أخلصه وأصوبه»، قيل: يا أبا عليٍّ، وما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل حتَّى يكون خالصًا صوابًا، والخالص ما كان لله، والصَّواب ما كان على السُّنَّة»(٢).

وقد جُمع بين هذَيْنِ الأصلَيْنِ في آياتٍ؛ منها الآيةُ الَّتي خُتِمَتْ بها سورةُ الكهف، وهي قول الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وأحوال أعمال النَّاس مع هذين الأصلين أربعة:

الحالة الأولى: عمل خالص لله موافق لسُنَّة رسول الله ﷺ، وهذا وحده هو الَّذي يوصف بالصَّالح، وهو المقبول.

الحالة الثَّانية: عمل خالص لله لكنَّه ليس على وفق سنة رسول الله ﷺ، وهذا يكثر عند المتعبِّدة بالأهواء والبدع؛ فعندهم إخلاص للمعبود لكنَّهم لا يتَّبعون الرَّسول ﷺ، وإنَّما يعبدون الله بأمور يستحسنونها، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٦٩٧)، ومسلم واللَّفظ له (١٧١٨).

(٢) انظر: مدارج السَّالكين (١/ ١٠٥).

والحالة الثَّالثة: أن يكون العمل موافقا للسُّنَّة لكنَّه لا يكون خالصًا لله، وإنَّما يكون فيه الرِّياء أو السُّمعة أو إرادة الدُّنيا بالعمل. وقد جاء في الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرج يومًا على الصَّحابة وهم يتذاكرون قال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نتذاكر فتنة المسيح الدَّجَّال، قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**»، قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ؛ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»[(١)]؛ فهو يُصلِّي ويُزَيِّن صلاته لكن ليس لله، وإنَّما لما يرى من نظر رجل إليه، فقد يكون العمل على السُّنَّة في هيئته وصفته ولكنَّه لا يكون خالصًا لله، وهو بهذا افتقد شرطًا أساسيًّا للقبول.

الحالة الرَّابعة: أن يكون العمل ليس خالصًا لله ولا أيضًا على سُنَّة رسول الله ﷺ؛ بأن تكون العبادة محدثة والمتقرِّب بها إليه غير الله عز وجل.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسَّنه الألبانِيُّ.

شرح حديث:
«أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»

روى أحمد والحاكم(١) عَن رَبِيعَةَ بنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ».

وروى التِّرمذيُّ(٢) عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ».

هذا حديث عظيم عن نبيِّنا ﷺ في الحثِّ على هذه الوسيلة العظيمة في باب الدُّعاء وبين يدي الدُّعاء وفضل الدُّعاء بها، فيجدر بالمسلم أن يلازمها ويواظب عليها وأن يلظَّ بياذا الجلال والإكرام. أي: يلزم الدُّعاء بها ويستكثر، فإنَّ قوله: «أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ». معناه كما قال ابن الأثير: «أي: الْزَمُوه واثْبُتُوا عليه وأَكْثِرُوا من قوله والتَّلَفُّظِ به في دُعائِكم. يقال: أَلَظَّ بالشَّيء يُلِظُّ إلْظَاظا؛ إذا لَزِمَه وثابرَ عليه»(٣).

وليس المراد بقول نبيِّنا ﷺ: «أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ». أن يقول المرء: «يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الجلال والإكرام». يكرِّرها دون أن يدعو، ولا يوجد في الدَّعوات المأثورة عن نبيِّنا ﷺ تكرار

(١) رواه أحمد (١٧٥٩٦)، والحاكم (١٨٣٦)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح الجامع (١٢٥٠).
(٢) رواه التِّرمذيُّ (٣٥٢٥)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٣) النِّهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٥٢).

النِّداء بدون سؤال وطلب.

فقوله ﷺ: (**أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**)، أي: اجعلوا هذا التَّوسُّل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّه ذو الجلال والإكرام بين يدي أدعيتكم ومطالبكم عندما يسأل المسلم ربَّه؛ يُلظُّ بهذه الوسيلة يا ذا الجلال والإكرام، فيلزمها ويكثر من الإتيان بها بين يدي دعائه.

وقد ورد هذا التَّوسُّل به في أحاديث عديدة عن نبيِّنا ﷺ؛ فعَن ثَوْبَانَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**». قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ الاِسْتِغْفَارُ؟ قَالَ تَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ». رواه مسلم[(١)]. وفي رواية[(٢)]: إِذَا سَلَّمَ لَمْ يَقْعُدْ إِلَّا مِقْدَارَ مَا يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**»، وَفِي رِوَايَةِ لابْنِ نُمَيْرٍ[(٣)]: «**يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**».

وعن عبد الله بن أبي الهذيل قال: «كانوا يُحِبُّون إذا قضى الرَّجل الصَّلاة أن يقول: اللَّهُمَّ أَنْتُ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ». رواه أبو يعلى[(٤)].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ**

---

(١) رواه مسلم (٥٩١).
(٢) رواه مسلم (٥٩٢).
(٣) رواه مسلم (٥٩٢).
(٤) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٧٢٠)، وقال الألبانِيُّ: «إسناده صحيح على شرط مسلم». السِّلسلة الصَّحيحة (٢٠٧٤).

بِهِ أَعْطَى» رواه أبو داود[1].

وعَن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ»، فَقَالَ: «**أَيُّ شَيْءٍ تَمَامُ النِّعْمَةِ؟**» قَالَ: «دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا أَرْجُو بِهَا الخَيْرَ»، قَالَ: «**فَإِنَّ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ دُخُولَ الجَنَّةِ وَالفَوْزَ مِنَ النَّارِ**»، وَسَمِعَ رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ: «يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»، فَقَالَ: «**اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ**»، وَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ»، فَقَالَ: «**سَأَلْتَ اللهَ البَلَاءَ فَسَلْهُ العَافِيَةَ**». رواه التِّرمذيُّ[2]. وقول النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لهذا الرَّجل الَّذي سمعه يقول: «يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»؛ «**اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ**» هذا يؤكِّد ما سبق بيانه؛ أنَّ المسلم إذا قال «يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ» لا يكتفي بتردادها وتكرارها دون أن يدعو، بل يسأل الله عقب هذه النِّداءات وعقب هذا التَّوسُّل العظيم لله جَلَّ وَعَلَا.

و«**ذُو الجَلَالِ والإِكْرَامِ**» هذا من أسماء الله الحسنى، وقد ورد هذا الاسم في موطنين من القرآن كلاهما في سورة الرَّحمن؛ قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٢٧]. وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٧٨].

وهو من الأسماء المضافة، وهي معدودة عند جماعة من أهل العلم في أسماء الله الحسنى. قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الرَّاحمين، وخير الغافرين، وربِّ العالمين، ومالك يوم الدِّين، وأحسن الخالقين، وجامع النَّاس

(١) رواه أبو داود (١٤٩٥)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٢) رواه التِّرمذيُّ (٣٥٢٧).

ليوم لا ريب فيه، ومُقَلِّب القلوب، وغير ذلك ممَّا ثبت في الكتاب والسُّنَّة وثبت في الدُّعاء بها بإجماع المسلمين»[(١)].

وهو من الأسماء الدَّالَّة على جملة أوصافٍ عديدة لا على معنى مفرد، كما نبَّه على ذلك ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في القواعد المتعلِّقة بأسماء الله الحسنى الَّتِي ساقها في كتابه «بدائع الفوائد».

والإضافة في قوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، هي من باب إضافة صفاته القائمة به إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كقوله: ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، و﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ [الذَّاريات: ٥٨]؛ فالجلال والإكرام والرَّحمة والقُوَّة كلُّها صفات لله مختصَّة به، دالَّة على عظمته وكماله سبحانه، بخلاف قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج:١٥]، فإنَّه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه على وجه التَّشريف.

وفي قوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، جمعٌ بين نوعين من الوصف؛ كثيرًا ما يُقرن بينهما في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣]، وقوله: ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النَّمل:٤٠]، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النِّساء:١٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:٧]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج:١٤]، وهو كثير في القرآن.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في أثناء كلامٍ له عن اسمَيْ «الحميد المجيد» وأنَّهما إليهما يرجع الكمال كلُّه، قال: «وأمَّا المجد فهو مستلزم للعظمة والسَّعة والجلال...، والحمد يدلُّ على صفات الإكرام، والله سبحانه ذو الجلال والإكرام، وهذا معنى قول العبد: «لا إله إلَّا الله، والله أكبر»، فـ«لا

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٥).

إله إلَّا الله» دال على ألوهيَّته وتفرُّده فيها، فألوهيَّته تستلزم محبَّته التَّامَّة، و«الله أكبر» دالٌّ على مجده وعظمته، وذلك يستلزم تمجيده وتعظيمه وتكبيره، ولهذا يقرن سبحانه بين هذين النَّوعين في القرآن كثيرًا»(١).

فالجلال يتضمَّن التَّعظيم، والإكرام يتضمَّن الحمد والمحبَّة؛ قال الخطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان المعاني الَّتِي يحتملها هذا الاسم: «والمعنى: أنَّ الله جلَّ وعزَّ مستحِقٌّ أن يُجلَّ ويُكرَّم فلا يُجْحد ولا يُكْفر به، وقد يحتمل أن يكون المعنى: أنَّه يُكْرم أهل ولايته ويرفع درجاتهم بالتَّوفيق لطاعته في الدُّنيا، ويجلُّهم بأن يتقبَّل أعمالهم ويرفع في الجنان درجاتهم، وقد يحتمل أن يكون أحد الأمرين -وهو الجلال- مضافًا إلى الله سبحانه بمعنى الصِّفة له، والآخر مضافًا إلى العبد بمعنى الفعل منه، كقوله سبحانه: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦]، فانصرف أحد الأمرين، وهو المغفرة إلى الله سبحانه، والآخر إلى العباد، وهو التَّقوى»(٢).

نقل هذه الاحتمالات الثَّلاثة شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ ثمَّ قال: «القول الأوَّل أقربها إلى المراد»، ثمَّ قال: «وإذا كان مستحقًّا للإجلال والإكرام لزم أن يكون متَّصفًا في نفسه بما يوجب ذلك، كما إذا قال: الإله هو المستحقُّ لأن يؤلَّه، أي: يعبد؛ كان هو في نفسه مستحقًّا لما يوجب ذلك، وإذا قيل: هو أهل التَّقوى؛ كان هو في نفسه متَّصفًا بما يوجب أن يكون هو المُتَّقى.

ومنه قول النَّبِيِّ ﷺ إذا رفع رأسه من الرُّكوع بعدما يقول: «**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**»: «**مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ، وَكُلُّنَا**

---

(١) جلاء الأفهام (ص٣١٧).

(٢) كشف المشكل من حديث الصَّحيحين لابن الجوزيِّ (٤/ ٢١٧).

لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»[(١)]، أي: هو مستحقٌّ لأن يثنى عليه وأن تُمجَّد نفسه. والعباد لا يحصون ثناء عليه، وهو كما أثنى على نفسه، كذلك هو أهل أن يُجلَّ وأن يُكَرَّم، وهو سبحانه يجلُّ نفسه ويكرم نفسه، والعباد لا يحصون إجلاله وإكرامه.

والإجلال من جنس التَّعظيم، والإكرام من جنس الحبِّ والحمد، وهذا كقوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التَّغابن:١]، فله الإجلال والملك، وله الإكرام والحمد... ثمَّ قال: قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٢٧]، وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٧٨]، وهو في مصحف أهل الشَّام: «تبارك اسم ربِّك ذو الجلال والإكرام»، وهي قراءة ابن عامر، فالاسم نفسه يذوى بالجلال والإكرام، وفي سائر المصاحف وفي قراءة الجمهور: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾، فيكون المسمَّى نفسه، وفي الأولى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ فالمذوى وجهه سبحانه؛ وذلك يستلزم أنَّه هو ذو الجلال والإكرام، فإنَّه إذا كان وجهه ذا الجلال والإكرام كان هذا تنبيهًا كما أنَّ اسمه إذا كان ذا الجلال والإكرام كان تنبيهًا على المسمَّى. وهذا يبيِّن أنَّ المراد أنَّه يستحقُّ أن يُجلَّ ويكرَّم»[(٢)].

وينبغي أن يُعلم أنَّ الفقه في أسماء الله الحسنى والمعرفة بمعانيها ودلالاتها له أثره في حياة العبد وعبوديَّته لله، وله أثره في إجابة دعائه وتحقيق رجائه وإعطائه سؤله.

قال قوام السُّنَّة الأصفهانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعض العلماء: أوَّل فرض فرضه الله على خلقه: معرفته. فإذا عرفه النَّاس عبدوه. قال الله تعالى:

---

(١) رواه مسلم (٤٧٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣١٩ - ٣٢٢).

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمَّد:١٩]، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها، فيعظِّموا الله حقَّ عظمته. ولو أراد رجل أن يعامل رجلًا طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجدِّه، وسأل عن صغير أمره وكبيره. فالله الَّذِي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها»[١].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الله جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه إذا أراد أن يُكْرِم عبدًا بمعرفته ويجمع قلبه على محبَّته شرح صدره لقبول صفاته العلى وتلقيها من مشكاة الوحي، فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول، وتلقَّاه بالرِّضا والتَّسليم، وأذعن له بالانقياد، فاستنار به قلبه واتَّسع له صدره وامتلأ به سرورًا ومحبَّة، فعلِم أنَّه تعريف من تعريفات الله تعالى تعرَّف به على لسان رسوله ﷺ، فأنزل تلك الصِّفة من قلبه منزلة الغذاء، أعظم ما كان إليه فاقةً ومنزلة الشِّفاء أشدّ ما كان اليه حاجة، وسكن إليها قلبه، فجال من المعرفة في ميادينها، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها لتيقُّنه بأنَّ شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجلُّ ممَّن هذه صفته، وهو ذو الأسماء الحسنى والصِّفات العلى، وأنَّ شرفه أيضًا بحسب الحاجة إليه، وليست حاجة الأرواح قطُّ إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها ومحبَّته وذكره والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والزُّلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلَّا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكُلَّما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف وله أطلب وإليه أقرب، وكُلَّما كان لها أنكر كان بالله أجهل وإليه أكره ومنه أبعد، والله تعالى ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبدُ من نفسه»[٢].

---

(١) الحجَّة في بيان المحجَّة (١/ ١٣٣).

(٢) انظر: توضيح المقاصد شرح نونية ابن القيِّم (١/ ٢٣).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي...»

روى النَّسائِيُّ[(١)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا تَنْفَعُنِي بِهِ**».

هذه دعوة مهمَّة لطالب العلم ولكلِّ مسلم، لكن طالب العلم الَّذِي سلك طريق طلب العلم وخطا الخطوات المباركة في تحصيله بحاجة ماسَّة لهذه الدَّعوة العظيمة؛ لأنَّ هذا هو مقصود العلم وجلوسِ مجالسه وقراءةِ كتبه وحفظه؛ أن ينتفع به ويعمل، وإذا لم يعمل بهذا العلم أصبح علمه حجَّةً عليه لا له، ولهذا قال النَّبِيُّ ﷺ في القرآن الَّذِي هو أعظم العلم وأشرفه: «**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»؛ أي: حُجَّة لك إن عملت به، وحُجَّة عليك إن لم تعمل. ولهذا يجب على طالب العلم أن يجعل هذا أصلًا يعتني به وينصبه بين عينيه؛ وهو أن ينتفع بما علِمه، ويكثر من دعاء الله أن ينفعه بما علَّمه.

قوله: (**وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي**)، أي: علِّمني من العلم ما يكون نافعًا لي، لا أن يكون ما أتعلمه غير نافع لي أو حُجَّة عليَّ. فهذا فيه التجاء طالب العلم إلى الله سبحانه أن ينفعه بما علمه وأن يعلِّمه ما ينفعه.

---

(١) رواه النَّسائيُّ في السُّنن الكبرى (٧٨١٩)، وصحَّحه الألبانِيُّ في السِّلسلة الصَّحيحة (٣١٥١).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جماع الخير أن يستعين بالله سبحانه في تلقِّي العلم الموروث عن النَّبيِّ ﷺ؛ فإنَّه هو الَّذي يستحقُّ أن يُسَمَّى علمًا، وما سواه إمَّا أن يكون علمًا فلا يكون نافعًا، وإمَّا ألَّا يكون علمًا وإن سُمِّي به»[(١)].

وقد جمعت هاتان الكلمتان لطالب العلم الخير في هذا الباب؛ لأنَّ أمور العلم ومسائله منها أمور قد حصَّلها وتعلَّمها وعرفها؛ فهو بحاجة إلى أن يعينه الله على العمل بها، وأمور أخرى من العلوم لم يتعلَّمها؛ فهو بحاجة إلى أن يتعلَّمها تعلُّم المنتفع المستفيد، فجمعت هذه الدَّعوة هذا وهذا؛ أن ينفعك بالشَّيء الَّذي تعلَّمته وحصَّلته وحفظته وضبطته، هذا جانب، وفي جانبها الآخر تضمَّنت أن يعلِّمك من العلم ما يكون نافعًا لك، فهي دعوة بأن ينفعك بالموجود عندك من العلم وأن يعلِّمك المفقود الَّذي لم تتعلَّمه بعد. فقوله: (**انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي**)، أي: في الأزمنة السَّابقة، وقوله: «**وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي**»، أي: فيما بعد.

قوله: (**وَارْزُقْنِي عِلْمًا تَنْفَعُنِي بِهِ**)؛ فيه تأكيد المعنى الوارد في الجملة الثَّانية.

ومن هذا الباب ما كان النَّبِيُّ ﷺ يُلازمُ المحافظةَ عليها كلَّ صباحٍ فيما ثَبت في مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه[(٢)] من حديث أمِّ سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**».

ومَن يتأمَّل هذا الدُّعاءَ العظيمَ يَجدُ أنَّ الإتيانَ به في هذا الوقت

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٤).
(٢) رواه أحمد (٢٦٦٠٢)، وابن ماجه (٩٢٥)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

بعد صلاة الصُّبح في غاية المناسبة؛ لأنَّ الصُّبحَ هو بدايةُ اليوم ومُفتَتَحُه، والمسلمُ ليس له مَطمع في يومه إلَّا تحصيل هذه الأهداف العظيمة والمقاصد الجليلة المذكورة في هذا الحديث، وهي: العلمُ النَّافع، والرِّزق الطَّيِّب، والعمل المتقبَّل. وكأنَّه في افتتاحه ليومه بذكر هذه الأمور الثَّلاثة دون غيرها يُحدِّدُ أهدافَه ومقاصدَه في يومه، ولا ريب أنَّ هذا أجمعُ لقلب الإنسان وأضبط لسيره ومسلكه، بخلاف مَن يصبح دون أن يستشعر أهدافَه وغاياته ومقاصدَه الَّتِي يعزم على القيام بها في يومه.

ولذا نجد المعتنين بالتَّربية والآداب يُوصُون بتحديد الأهداف في كلِّ عمل يقوم به الإنسان، وفي كلِّ سبيل يسلكه؛ ليكون ذلك أَدعَى لتحقيق أهدافه، وأسلمَ من التَّشتُّت والارتباك، وأضبطَ له في مساره وعمله، وما من شكٍّ أنَّ مَن يسيرُ وَفْقَ أهدافٍ محدَّدةٍ ومقاصدَ معيَّنةٍ أكملُ وأضبطُ وأسلمُ مِمَّن يسير دون تحديد أهداف ودون تعيين مقاصد. والمسلمُ ليس له في يومه بأجمعه، بل ليس في أيَّامه كلِّها إلَّا الطَّمع في تحصيل هذه الأهداف الثَّلاثة وتكميلها، ونيلها من أقرب وجه وأحسن طريق؛ وعلى هذا فما أجملَ أن يُفتتح اليومُ بذكر هذه الأمور الثَّلاثة الَّتِي تُحَدِّد أهداف المسلم في يومه، وتُعَيِّن غاياتِه ومقاصدَه.

وليس المسلم في إتيانه بهذا الدُّعاء في مفتتح يومه يقصد تحديد أهدافه فحسب، بل هو يتضَرَّعُ إلى ربِّه ويلجأ إلى سيِّده ومولاه، بأن يَمُنَّ عليه بتحصيل هذه المقاصد العظيمة والأهداف النَّبيلة؛ إذ لا حول له ولا قُوَّة، ولا قدرة عنده على جَلب نفع أو دَفع ضُرٍّ إلَّا بإذن ربِّه سبحانه، فهو إليه يلجأ، وبه يستعين، وعليه يعتمد ويتوكَّل. فقول المسلم في كلِّ صباح: «اللهمَّ إنِّي أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيِّبًا، وعملًا متقبَّلًا». هو استعانةٌ منه في صباحه وأوَّل يومه بربِّه سبحانه بأن ييسِّر له العسير،

ويذلِّل له الصِّعابَ، ويعينه على تحقيق غاياته المباركة الحميدة.

وتأمَّل كيف بدأ النَّبِيُّ ﷺ هذا الدُّعاءَ بسؤال الله العلم النَّافع، قبل سؤاله الرِّزق الطَّيِّب والعمل المتقبَّل؛ وفي هذا إشارة إلى أنَّ العلمَ النَّافع مقدَّمٌ وبه يُبدأ، كما قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمَّد:١٩]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

وفي البدء بالعلم النَّافع حكمةٌ ظاهرة لا تخفى على المتأمِّل، ألا وهي: أنَّ العلم النَّافع به يستطيع المرءُ أن يميِّز بين العمل الصَّالح وغير الصَّالح، ويستطيع أن يميِّز بين الرِّزق الطَّيِّب وغير الطَّيِّب، ومَن لَم يكن على علمٍ نافع فإنَّ الأمور قد تختلط عليه، فيقوم بالعمل يحسبه صالحًا نافعًا وهو ليس كذلك، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤]. وقد يكتسب رزقًا ومالًا ويظنُّه طيِّبًا مفيدًا، وهو في حقيقته خبيثٌ ضارٌّ، وليس للإنسان سبيلٌ إلى التَّمييز بين النَّافع والضَّارِّ والطَّيِّب والخبيث إلَّا بالعلم النَّافع، ولهذا تكاثرت النُّصوصُ في الكتاب والسُّنَّة، وتضافرت الأدلَّة في الحَثِّ على طلب العلم والتَّرغيب في تحصيله وبيان فضلِ من سلك سبيله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزُّمر:٩].

وقوله ﷺ في الحديث: «**علمًا نافعًا**»؛ فيه دلالةٌ على أنَّ العلمَ نوعان؛ علمٌ نافعٌ وعلم ليس بنافع، وأعظمُ العلم النَّافع ما ينال به المسلمُ القربَ من ربِّه والمعرفةَ بدينه والبصيرةَ بسبيل الحقِّ الَّذِي ينبغي أن يسير عليه. وتأمَّل في هذا قول الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ

ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٥-١٦]، فحَريٌّ بالمسلم في يومه أن يَعْتَنِيَ بالقرآن الكريم وبمذاكرته ومدارسته، وأن يَعتَنِي بسُنَّة النَّبِيِّ ﷺ المبيِّنة له والشَّارحَة لدلالته ومقاصده.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «**العلم قسمان:**

أحدهما: ما كان ثمرتُه في قلبِ الإنسان، وهو العلمُ بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، المقتضي لخشيتِهِ، ومهابتِه، وإجلالِه، والخضوع له ولمحبَّتِه ورجائهِ ودعائه، والتَّوكُّل عليه، ونحو ذلك، فهذا هو العلمُ النَّافع، كما قال ابنُ مسعود: «إنَّ أقوامًا يقرءون القرآن لا يُجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع». وقال الحسنُ: «العلم علمان: علمٌ على اللِّسان، فذاك حُجَّة الله على ابن آدم، وعلمٌ في القلب، فذاك العلم النَّافع».

والقسم الثَّاني: العلمُ الَّذِي على اللِّسَانِ، وهو حجَّةُ الله كما في الحديث: «**الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»، فأوَّلُ ما يُرفعُ مِنَ العلم: العلمُ النَّافع؛ وهو العلم الباطنُ الَّذِي يُخالِطُ القلوبَ ويُصلحها، ويبقى علمُ اللِّسان حجَّةً، فيتهاونُ النَّاسُ به ولا يعملون بمقتضاه، لا حملتُه ولا غيرهم، ثمَّ يذهبُ هذا العلم بذهاب حَمَلتِه، فلا يبقى إلَّا القرآن في المصاحف، وليس ثَمَّ مَن يعلمُ معانيه ولا حدوده ولا أحكامه، ثمَّ يُسرى به في آخر الزَّمان، فلا يبقى في المصاحف ولا في القُلوب منه شيءٌ بالكُلِّيَّةِ، وبعد ذلك تقومُ السَّاعة، كما قال ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**»[1]، وقال ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعةُ وَفِي الأَرْضِ أَحَدٌ**

(١) رواه مسلم (١٩٢٤).

يَقُولُ: الله الله»[١]**»**[٢].

وقد دعا النَّبيُّ ﷺ لمَن أخذ العلم فوعاه وعمل به بالنَّضْرة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاث لَا يغلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاص العَمَلِ لَهُ، والنُّصْح لِأَئِمَّة المُسْلِمِينَ، وَلزُوم جَمَاعَتِهِم، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ من وَرَائهم**». رواه التِّرمذيُّ وابن ماجه وأحمد وابن حِبَّان[٣] وغيرهم.

ولو لم يكن في فضل العلم وبيان شرفه إلَّا هذا الحديث لكفى به شرفًا؛ فإنَّ هذه الدَّعوة النَّبويَّة الكريمة المباركة متضمِّنةٌ لجمال الظَّاهر والباطن، فإنَّ النَّضْرة هي البهجة والحُسن الَّذِي يكساه الوجه من آثار الإيمان، وابتهاجِ الباطن به، وفرح القلب وسروره والتذاذه به، فتظهر هذه البهجة والسُّرور والفرحة نضارةً على الوجه، ولهذا يَجْمع له سبحانه بين البهجة والسُّرور والنَّضرة كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]، فالنَّضرة في وجوههم، والسُّرور في قلوبهم، ثمَّ ما يتلقَّون من نعيم وثواب على ذلك يظهر نضارةً على وجوههم كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤].

ولا ريب أنَّ هذه الدَّعوة المباركة لمَن حمل السُّنَّة وبلَّغها للأُمَّة بالنَّضرة تحمل البشارة لمَن وقف نفسه ووفر جهده لخدمة السُّنَّة وإبلاغها، وفي هذا حفزٌ للهمم وإذكاءٌ للعزائم وحملٌ للنُّفوس على

---

(١) رواه مسلم (١٤٨).
(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٩).
(٣) رواه أحمد (١٣٣٥٠)، والتِّرمذيُّ (٢٦٥٨)، وابن ماجه (٣٠٥٦)، وابن حِبَّان (٦٧)، وصحَّحه الألبانيُّ.

الجِدِّ والمثابرة، والصَّبر والمصابرة، وبذل الوسع في تحقيق ذلك.

وقد دلَّ الحديث على أنَّ للعلم الَّذِي استحقَّ أهلُه هذه البشارة أربعَ مراتب:

أوَّلها وثانيها: سماعه وعقله؛ فإذا سمعه ووعاه بقلبه، أي: عقله واستقرَّ في قلبه كما يستقرُّ الشَّيء الَّذِي يوعى في وعائه ولا يخرج منه، وكذلك عَقْلُه هو بمنزلة عقل البعير والدَّابَّة ونحوها حتَّى لا تشرد وتذهب.

والمرتبة الثَّالثة: تعاهده وحفظه حتَّى لا ينساه فيذهب.

والمرتبة الرَّابعة: تبليغه وبثَّه في الأُمَّة ليحصل به ثمرته ومقصوده، وهو بثَّه في الأُمَّة، وإذا لم يُبذل فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الَّذِي لا يُنفق منه وهو معرَّض لذهابه، فإنَّ العلم ما لم يُنفق منه ويُعلَّم فإنَّه يوشك أن يذهب، فإذا أُنفق منه نما وزكا على الإنفاق، وإنَّما دعا ﷺ لسامع السُّنَّة ومبلِّغها بالنَّضارة جزاءًا وفاقًا؛ لِمَا قام به من بثِّها، وجعْلها بذلك غضَّة طريَّة، وسعى في نضارة العلم وإحياء السُّنَّة، فجازاه بالدُّعاء بما يناسب حاله، وقد جاء عن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه قال: «ما من أحد يطلب الحديث إلَّا وفي وجهه نَضْرة»[(١)].

---

(١) رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص١٩).

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ...»

روى أحمد والنَّسائِيُّ والحاكم[١] عن عُبَيْدِ بنِ رِفاعَةَ الزُّرَقِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي، فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ».

هذا من الأدعية العظيمة؛ قد بدأه النَّبِيُّ ﷺ بحمد الله والثَّناء عليه

---

(١) رواه أحمد (١٥٤٩٢)، والنَّسائيُّ في الكبرى (١٠٣٧٠)، والحاكم (١٨٦٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح الأدب المفرد (٦٩٧).

وتمجيده ثمَّ أردف بذكر دعوات جامعة.

قوله: (وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ)؛ أي: رجعوا خائبين خاسرين.

قوله: (قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ)؛ اسْتَوُوا، أي: قوموا صفوفًا مستوية، أراد النَّبيُّ ﷺ أن يثني على الله، وأن يتوجَّه إليه تبارك وتعالى بالدُّعاء.

قوله: (فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا) كما أمرهم عليه الصلاة والسلام.

فَقَالَ: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ)؛ والحمد: هو الثَّناء على الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والثَّناء عليه جلَّ وعلا بنعمه على عباده الَّتي لا تُعَدُّ ولا تحصى مع حبِّه وتعظيمه وإجلاله سبحانه.

وقوله: (كُلُّهُ)، أي: أوَّلُه وآخره، ظاهره وباطنه، سرُّه وعلانيته؛ لأنَّه سبحانه وليُّ النِّعمة ومسديها، ولأنَّه تبارك وتعالى ذو الجلال والكمال في أسمائه وصفاته وعظمته وجلاله وكبريائه، فالحمد كلُّه لله تبارك وتعالى.

قوله: (اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ)، أي: أيَّ شيء كتبت له البسط والسَّعة والبقاء والدَّوام ليس لأحد أن يقبضه أو يمنعه أو يحول من تحقيق هذا الَّذي أردته، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

قوله: (وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ)، أي: وما قبضه عن عبده من ذلك فلا باسط له؛ لأنَّ الأمر كلَّه بيده سبحانه بسطًا وقبضًا.

قوله: (وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ)، أي: لا سبيل إلى نيل الهداية إلَّا من الله، فهو الهادي المرشد لمصالح الدَّارين، ومَن يضلله سبحانه فلن تجد له وليًّا مرشدًا، وهو أعلم سبحانه وتعالى بمَن يصلح للهداية فيهديه، ممَّن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله.

قوله: (وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ)، أي: ما كتبه لعبده من عطاء ورحمة ونعمة وفضل لا يستطيع أحد منعه، وما منعه الله ﷻ عن عبده من الخير والرَّحمة والنِّعمة والفضل لا يستطيع أحدٌ عطاءه؛ ولهذا جاء في الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[(١)].

قوله: (وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ)؛ هذا نظير ما تقدَّم في الدُّعاء «أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إلا أَنْتَ»، فمَن أخَّره الله ﷻ وأبعده وطرده وأحلَّ به سخطه ومقته وغضبه لا يستطيع أحدٌ أن يقرِّبه.

قوله: (وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ)، أي: وما قرَّبه الله وقدَّمه ورفعه لا يستطيع أحد كائنًا مَن كان أن يباعده عن ذلك.

وهذا كلُّه تحقيق لوحدانيَّته سبحانه وتفرُّده بالرُّبوبيَّة خلقًا وقدَرًا وبدايةً وهداية، وأنَّه ﷻ المسخِّر، المعطي، المانع، المقدِّم، المؤخِّر، القابض، الباسط، المُعِزُّ، المذلُّ، المُكْرِم، المهين، الهادي المُضِلُّ إلى غير ذلك، الأمر كلُّه بيده ﷻ، لا معطي ولا مانع ولا ضارَّ ولا نافع إلَّا الله.

وفي هذا شدَّة حاجة المؤمن إلى الصِّلة بالله وكثرة دعائه؛ أن يحفظ عليه دينه، وأن يسلِّمه له، وأن يعافيه؛ فإذا نال ذلك وحفظه الله وعافاه وقرَّبه لا يستطيع أحد أن يباعده أو أن يفتنه أو أن يصرفه عن الحقِّ؛ لأنَّه محفوظ بحفظ الله سبحانه.

بعد هذه التَّوسُّلات العظيمة والثَّناء على الله بدأ بذكر المطلوب.

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٢٥١٦)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

قال: (اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ)، أي: وسِّع علينا في البركة والرَّحمة والفضل والرِّزق، وأعطنا من ذلك كلِّه عطاء واسعًا. والبسط: هو السَّعة في العطاء، فالمطلوب البسط، وكان في توسُّله أثنى على الله تبارك وتعالى بأنَّه لا قابض لما بسط ولا باسط لما قبض.

وقوله: (بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ)؛ فيه إقرار من العبد أنَّ الفضل بيد الله، والبركة من الله، والرَّحمة من الله، والرِّزق رزق الله، ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩].

قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ)؛ هذا فيه سؤال الله نعيم الجنَّة، فهو النَّعِيم الباقي الدَّائم المستمرُّ الَّذِي لا يحول ولا يزول، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ)؛ الْعَيْلَةِ: الفقر وشدَّة الحاجة؛ ففيه سؤال الله سبحانه أن يسدَّ حاجته وأن يغنيه من فقره، وأن يعيذه من الحاجة إلى النَّاس والافتقار إلى ما في أيديهم، بحيث لا أفتقر إلَّا إليك، ولا أحتاج إلَّا إليك.

قوله: (وَالأَمْنَ يَوْمَ الْحرب)، أي: أن تؤمِّنني عندما يصيبني أو ينتابني خوف، وقد كان عليه الصلاة والسلام إذا خاف عدوًّا قال: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»[(١)]. وهذا ما حصل للنَّبيِّ ﷺ وأصحابه في هذه المعركة معركة أحد؛ أمَّنهم الله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فمَنَّ

(١) رواه أبو داود (١٥٣٧)، وصحَّحه الألبانيُّ.

عليهم بنعاس وسكينة، حتَّى أنَّه جاء عن أبي طلحة ﵁ قال: «كنت فيمَن تَغَشَّاه النُّعاس يوم أحُد، حتَّى سقط سيفي من يدي مرارًا؛ يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه»(١).

قوله: (**اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا**)، أي: قد يعطى المرء النِّعمة من صحَّة أو مال أو ولد أو نحو ذلك وتكون شرًّا عليه، ولهذا سأل الله ﷻ أن يعيذه من شرِّ ما أعطاه، بحيث يكون ما أعطاه من مال أو نعمة أو ولد أو نحو ذلك عطاء خيرٍ ورضًا وبركة لا سوء فيه.

قوله: (**وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ**)، أي: ما منعتنا إيَّاه من النِّعمة، فقد يُمنع الإنسان من المال أو الصِّحَّة أو الولد ونحوها ويكون في ذلك خير له، وقد يُمنع منها ويكون في ذلك شرٌّ عليه، كأن يمنع من المال مثلًا ويصبح فقيرًا ويكون فقره خيرًا له، وقد يكون فقره شرًّا عليه؛ لأنَّ بعضهم لا يتورَّع حال فقره من الغشِّ والمكر والكذب والخيانة ونحوها من أجل تحصيل المال بأيِّ طريقة.

قوله: (**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا**)، أي: اجعل الإيمان حبيبًا إلى قلوبنا؛ تحبُّه قلوبنا وتجد له لذَّة وطعم وحلاوة، وعندما يكون الإيمان حبيبًا للقلب يعظم تمسُّك العبد به، وتعظم محافظته عليه وعنايته به ورعايته له، ولا بُدَّ مع الدُّعاء من فعل الأسباب. وممَّا يعين على حبِّ الإيمان: أن يقرأ المسلم في محاسن الدِّين وفضائله وخيراته وبركاته وعوائده الحميدة في الدُّنيا والآخرة.

وقوله: (**وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا**)، أي: اجعل قلوبنا متزيِّنة بزينة الإيمان؛ وهذا فيه أنَّ الإيمان أكمل زينة وأعظم لباس، كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ

---

(١) رواه البخاريُّ (٤٠٦٨).

ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦].

قال: (وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ)، أي: اجعل هذه الأمور مكروهةً عندنا؛ نكرهها ونبغضها. «والكفر»: هو الخروج من الدِّين والانتقال من المِلَّة، ولذلك أسباب كثيرة ونواقض عديدة جاء بيانها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة نبيِّه ﷺ، فيشمل هذا الدُّعاء أن يكَرِّه الله عَزَّوَجَلَّ إليك الكفر وأسبابه المفضية إليه. «والفسوق»، أي: الذُّنوب الكبار، «والعصيان»، أي: ما دون ذلك من الذُّنوب. وذكَرها مرتبة حسب خطورتها؛ فبدأ بالكفر وهو أخطرها، ثمَّ الفسوق، ثمَّ العصيان. قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات:٧-٨].

قوله: (وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ)، أي: اجعلنا من عبادك الرَّاشدين الَّذين عرفوا الحقَّ ولزموه وعملوا به.

قوله: (اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)، أي: وفِّقنا للوفاة على الإسلام؛ بحيث نبقى ثابتين عليه، محافظين عليه، مستقيمين عليه إلى أن نموت.

قوله: (وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ)، أي: أحينا على الإسلام؛ وهو الاستسلام لله بالإقبال على الأعمال الصَّالحة والطَّاعات والقربات الَّتي يتقرَّب بها إليك.

قال: (وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ)، أي: ألحقنا بعبادك الصَّالحين، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّساء:٦٩]، ووفِّقنا لنعمل بعملهم حتَّى نلحق بهم ونكون معهم.

قوله: (غَيْرَ خَزَايَا)، أي: غير مهانين ولا مفضوحين. وفي دعاء

الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء:٨٧-٨٩]. وفي دعاء أولي الألباب: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران:١٩٤].

قوله: (**وَلَا مَفْتُونِينَ**)، أي: غير مفتونين في ديننا بأمرٍ يصرفنا عنه ويحول بيننا وبين المحافظة عليه.

قوله: (**اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ**)، أي: أنزل عليهم عقوبتك ونقمتك وانصرنا عليهم. وخصَّ الَّذِين يصدُّون عن سبيله ولم يسأل ذلك لعموم الكُفَّار؛ لأنَّ الكافر الَّذِي لا يحارب المسلمين ولا يقاتلهم لا يُدعى عليه بهذا الدُّعاء، بل يُدْعَى له بالهداية ويُتلَطَّف به لعلَّ الله أن يهديه، كما قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

قوله: (**اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**)؛ خصَّ هؤلاء بالذِّكر؛ لما كان منهم من معاداة للنَّبِيِّ ﷺ، ولكونهم ضيَّعوا دينهم الَّذِي أنزله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم وعرَّفهم به فتخلُّوا عن هذا الدِّين وأحالوه إلى دينٍ محرَّف مبدَّلٍ فأضاعوا دينهم.

قوله: (**إِلَهَ الْحَقِّ**)، أي: المعبود بحقٍّ ولا معبود بحقٍّ سواك، كما قال الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحجُّ:٦٢].

شرح حديث:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُنُونِ...»

روى أحمد وأبو داود[١] عَن أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الأَسْقَامِ**».

في هذا الحديث استعاذة النَّبِيِّ ﷺ من هذه الأربع: البرص، والجنون، والجُذَام، وسيِّء الأسقام، فِفيه مَشْرُوعِيَّة التَّعَوُّذ من هَذِه الْأُمُور كلِّها اقْتِدَاء بالنَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام، وهو بابٌ عظيمٌ لردِّ البلاء ودفعه؛ فإنَّ ردَّ البلاء بالدُّعاء كردِّ السَّهم بالتُّرس؛ لأنَّ الدُّعاء سببٌ لردِّ البلاء واستجلاب الرَّحمة وتحصيل العافية، كما أنَّ التُّرس سبب لردِّ السِّهام، وكما أنَّ الماء سبب لخروج الزُّروع.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَمَا سُئِلَ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ العَافِيَةَ**»، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ**». رواه التِّرمذيُّ[٢].

قال ابن القيِّم رحمه الله: «والدُّعاء من أنفع الأدوية، وهو عدوُّ البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخفِّفه إذا نزل، وهو سلاح

---

(١) رواه أحمد (١٣٠٠٤)، وأبو داود (١٥٥٤)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٢) رواه التِّرمذيُّ (٣٥٤٨).

المؤمن... وله -أي: الدُّعاء- **مع البلاء ثلاثُ مقامات:**

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء؛ فيدفعه.

الثَّاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء؛ فيصاب به العبد، ولكن قد يخفِّفه وإن كان ضعيفًا.

الثَّالث: أن يتقاوما، ويمنع كلُّ واحد منهما صاحبه»[١].

ولهذا ينبغي أن يُعلم أنَّ «الأدعية والتَّعوُّذات بمنزلة السِّلاح، والسِّلاح بضاربه لا بحدِّه فقط؛ فمتى كان السِّلاح سلاحًا تامًّا لا آفة به، والسَّاعد ساعدًا قويًّا، والمانع مفقود؛ حصلت به النِّكاية في العدوِّ، ومتى تخلَّف واحد من هذه الثَّلاثة تخلَّف التَّأثير، فإن كان الدُّعاء في نفسه غير صالحٍ، أو الدَّاعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدُّعاء، أو كان ثَمَّ مانع من الإجابة، لم يحصل الأثر»[٢].

قوله: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ**)؛ البرص: عاهة تكون دائمة ومستمرَّة مع الإنسان تُحدث في الأعضاء بياضًا رديئًا، وليست من العاهات الطَّارئة الَّتِي تأتي وتذهب، مثل: الزُّكام والحُمَّى ونحو ذلك، بل هي شيء ملازم، ومنظر ليس بمستحسن يستقذره النَّاس كما في قصَّة الثَّلاثة النَّفر من بني إسرائيل الَّذِين ابتلاهم الله وامتحنهم.

فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ:**

(١) الدَّاء والدَّواء (ص١٠).

(٢) الدَّاء والدَّواء (ص١٥).

الإِبلُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِى قَذِرَنِي النَّاسُ. قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِى فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا. فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِى. فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ كَأَنِّى أَعْرِفُكَ؛ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ! فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِى فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». متَّفق عليه[١].

---

(١) رواه البخاريُّ (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

ومعنى (قذرني النَّاس)، أي: اشمأزُّوا من رؤيتي وكرهوا مخالطتي من أجله. فهو عاهة يستعاذ بالله منها، والسَّلامةُ منها واللَّونُ الحسن والجلد الحسن نعمةٌ يجب على العبد أن يرعى لها قدرها، وأن يستعملها في طاعة المنعِم، وأن يحذر من استعمالها في معصيته.

وإبراء الأبرص من الآيات الَّتي أعطيها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما قال تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ [المائدة: ١١٠]، فهو من الآيات؛ لأنَّ إبراء الأبرص لا يقدر عليها النَّاس لا بعلاج ولا غيره.

قوله: (وَالْجُنُونِ)، وهو زوال العقل وذهابه وفساده، والعقل هو خاصيَّة ابن آدم ومناط التَّكليف، فإذا فُقد لم يصحَّ منه الإيمان والعبادات ورُفع عنه التَّكليف.

قوله: (وَالْجُذَامِ)، وهو علَّة تحدث في البدن فتفسد الأعضاء، وربَّ
وتقطُّعها، ثُمَّ لا يزال يسري في البدن حتَّى يموت الإنسان. ويُسَمَّى الآكلة، وهو من الأمراض المعدية، فعَن عَمْرِو بنِ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ». رواه مسلم[1]. وروى البخاريُّ[2] عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ». وقد ذكر العلماء أنَّه يجب على السُّلطان أن يعزل مَن بهم جُذام في مكان واحد؛ لئلَّا يختلطوا بالنَّاس فينتشر هذا الدَّاء.

وقد عدَّ الفقهاءُ هذه الثَّلاثةَ -البرصَ والجنون والجُذَام- من

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣١). (٢) رواه البخاريُّ (٥٧٠٧).

العيوب المجوِّزة لفسخ النِّكاح إذا وَجد أحدُ الزَّوجين بالآخر عيبًا منها لم يَعلم به قبل العقد.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنَّما اخُتص الفسخُ بهذه العيوب؛ لأنَّها تمنع الاستمتاعَ المقصودَ بالنِّكاح، فإنَّ الجُذام والبرص يثيران نفرةً في النَّفس تمنع قربانه، ويُخشى تَعدِّيه إلى النَّفس والنَّسل فيمنع الاستمتاع، والجنون يُثير نفرةً ويُخشى ضررُه»(١).

قوله: (وَمِنْ سَيِّئِ الأَسْقَامِ)، أي: الأمراض الَّتِي تكون من هذا النَّوع وهي الأمراض الفاحشة الرَّديئة المؤديِّة إلى فرار الصَّديق وقلَّة الأنيس أو فقده، كالاستسقاء مثلًا والسّلِّ والأمراض المزمنة. ولم يستعذ من سائر الأسقام وعموم الأمراض: لأنَّ منها ما إذا تحامل الإنسان فيه على نفسه بالصَّبر خفَّت مؤنته كالحُمَّى والصُّداع والرَّمد، وإنَّما يستعاذ من سيِّء الأسقام.

قال الخطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يشبه أن يكون استعاذته من هذه الأسقام لأنَّها عاهات تُفسد الخلقة وتبقي الشَّين، وبعضها يؤثِّر في العقل، وليست كسائر الأمراض الَّتِي إنَّما هي أعراض لا تدوم كالحُمَّى والصُّداع وسائر الأمراض الَّتِي لا تجري مجرى العاهات»(٢).

وقال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحاصل أنَّه لمَّا استعاذ ممَّا يشوِّه الصُّورة الباطنة من زوال العقل، والصُّورة الظَّاهرة من الجُذام؛ عمَّم في استعاذة من كلِّ مؤذ للنَّفس أو البدن على سبيل الإجمال في قوله: «وسيِّء الأسقام» كالعمى والفالج، وإنَّما قيَّد الأسقام بالسَّيِّء لأنَّ الأمراض مطهِّرة للسَّيِّئات ومرقِّية للدَّرجات، وأكثر النَّاس بلاءً الأنبياء

---

(١) المغني لابن قدامة (١٠/ ٥٧). (٢) معالم السُّنن للخطَّابيُّ (١/ ٢٩٧).

ثمَّ الأولياء، فالتَّعوُّذ من جميع الأسقام ليس من دأب الكرام»[(١)].

وقد كانت العرب تعدُّ هذه الأمراض الثَّلاثة أخطر الأمراض وأشدَّها، وكان يلجؤون في طلب السَّلامة منها إلى الأصنام الَّتِي لا تملك كشف الضُّرِّ عنهم ولا تحويله، وتأمَّل هذه القِصَّة واحْمَد الله الَّذِي استنقذك ببعثة الرَّسول ﷺ من هذا الضَّلال ونجَّاك من هذه الجاهليَّة، وعرَّفك ألَّا تقول في تعوُّذك إلَّا «أعوذ بالله الَّذِي بيده كشفُ الضُّرِّ وتفريج الكروب وزوال الأسقام والعافيةُ منها».

عَن عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَعَثَتْ بَنُو سَعْدِ بنِ بَكْرٍ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَأَنَاخَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، وَكَانَ ضِمَامٌ رَجُلًا جَلْدًا أَشْعَرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «أَيُّكُمُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**»، قَالَ «مُحَمَّدٌ؟» قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقَالَ: «ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي سَائِلُكَ وَمُغَلِّظٌ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ»، قَالَ: «**لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ**»، قَالَ: «أَنْشُدُكَ اللهَ إِلَهَكَ، وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، آللهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟» فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قَالَ: «فَأَنْشُدُكَ اللهَ إِلَهَكَ، وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَتْ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ؟» قَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قَالَ: «فَأَنْشُدُكَ اللهَ إِلَهَكَ، وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ؟» قَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الإِسْلامِ فَرِيضَةً

---

(١) الفتوحات الرَّبانيَّة على الأذكار النَّواويَّة (٧/ ٢١٨).

فَرِيضَةً -الزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ وَشَرَائِعَ الإِسْلامِ كُلَّهَا- يُنَاشِدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ كَمَا يُنَاشِدُهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: «فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَسَأُؤَدِّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ»، قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى بَعِيرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ وَلَّى: «**إِنْ يَصْدُقْ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**» قَالَ: فَأَتَى إِلَى بَعِيرِهِ، فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِه، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «بِئْسَتِ اللَّاتُ وَالْعُزَّى»، قَالُوا: مَهْ يَا ضِمَامُ، اتَّقِ الْبَرَصَ وَالْجُذَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ، قَالَ: «وَيْلَكُمْ، إِنَّهُمَا وَاللهِ لَا يَضُرَّانِ وَلَا يَنْفَعَانِ، إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ»، قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا، قَالَ: يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ». رواه أحمد(١).

فقولهم: (**اتَّقِ الْبَرَصَ وَالْجُذَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ**)، يفيد أنَّ هذه الأمراض الثَّلاثة تعدُّ عندهم من الأمراض المهولة المخوفة وكانت أبغض شيء يخشونه. وكانوا من جاهليَّتهم الجهلاء يستدفعونها باللُّجوء إلى تلك الأصنام الَّتي لا تغني شيئًا، ويعتقدون أنَّ إغضاب هذه الأصنام جالبٌ لهذه الأمراض، فقال لهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَيْلَكُمْ، إِنَّهُمَا -أي: اللَّات والعُزَّى- وَاللهِ لَا يَضُرَّانِ وَلَا يَنْفَعَانِ، إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ».

---

(١) رواه أحمد (٢٣٨٠)، وحسَّن إسناده الألبانِيُّ، انظر: السِّلسلة الضَّعيفة (١٠/ ٧٦١).

ضَوَابِطُ الدُّعَاءِ الَّذِي لا يُرَدُّ

إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أمرَ عباده بالدُّعاء ووعدهم بالإجابة في آيٍ كثيرةٍ من كتابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم:٣٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وهو عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مِنْ عبادِه أن يسألوه، بل كُلَّما عَظُمَتْ عِنايةُ العبدِ بالدُّعاء عَظُمَ حَظُّهُ ونَصِيبُهُ مِن محبَّةِ الله له، حتَّى قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ**»[(١)]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّه مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»[(٢)].

وقد دلَّت نصوصٌ عديدة في كتاب الله وسُنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الدُّعاء المستجاب له ضوابط ينبغي للدَّاعي أن يحرص عليها عند

(١) رواه التِّرمذيُّ (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وحسَّنه الألبانِيُّ.
(٢) رواه التِّرمذيُّ (٣٣٧٣)، وحسَّنه الألبانِيُّ.

دعائه، وكذلك ثمَّة موانع عليه أن يَحْذَرَ منها لئلَّا يُردَّ دُعاؤُه.

وقد جمع العلَّامةُ الإمام ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ خُلاصَةً بديعةً حَوَتْ خيرًا عظيمًا، بيَّنَ فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهمَّ ما ينبغي أن يعتنيَ به الدَّاعون في دعائهم ليكون مستجابًا، ثمَّ ختمَ كلامَهُ بعد سردِهِ لتلك الضَّوابط بقوله: «فإنَّ هذا الدُّعاء لا يكاد يردُّ أبدًا»[1].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا جَمَعَ مع الدُّعاءِ حُضُورَ القلبِ وَجَمْعِيَّتَهُ بِكُلِّيَّتِهِ على المطلُوبِ، وصادَفَ وقتًا مِنْ أَوقاتِ الإِجابةِ السِّتَّةِ، وهي: الثُّلُثُ الأخيرُ منَ اللَّيلِ، وعندَ الأذانِ، وبين الأذانِ والإِقامةِ، وأَدْبارُ الصَّلَواتِ المكتوباتِ، وعند صُعُودِ الإِمامِ يومَ الجُمُعَةِ على المِنْبَرِ حَتَّى تُقْضى الصَّلاةُ مِنْ ذلكَ اليومِ، وآخِرُ ساعَةٍ بعدَ العَصْرِ، وصادَفَ خُشوعًا في القَلْبِ، وانكِسارًا بينَ يَدَي الرَّبِّ، وذُلًّا لَهُ، وتَضَرُّعًا، وَرِقَّةً، واستَقْبَلَ الدَّاعِي الْقِبلَةَ، وكانَ على طَهارَةٍ، ورَفَعَ يدَيْهِ إلى اللهِ، وبَدَأَ بِحَمْدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ، ثُمَّ ثَنَّى بِالصَّلاةِ على مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ. ثُمَّ قَدَّمَ بينَ يَدَيْ حاجَتِهِ التَّوبَةَ والاسْتِغفارَ، ثُمَّ دخلَ على اللهِ وأَلَحَّ عليهِ في المسأَلَةِ، وتَمَلَّقَهُ، ودعاهُ رغْبةً وَرَهْبةً، وتَوَسَّلَ إليهِ بِأَسمائِهِ وصفاتِهِ وتوحيدِهِ. وَقَدَّمَ بينَ يَدَيْ دُعائِهِ صدَقَةً؛ فإنَّ هذا الدُّعاءَ لا يكادُ يُرَدُّ أَبدًا. ولا سيَّما إن صادَفَ الأدعِيَةَ التي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أنَّها مَظِنَّةُ الإِجابَةِ، أو أَنَّها مُتَضَمِّنَةٌ للاسْمِ الأعظَمِ»[2].

وقد تقدَّم جملة منها في هذا الكتاب:

* **فالأمرُ الأوَّلُ:** أن يدعُوَ المسلمُ بقلبٍ حاضِرٍ، وحضور القلب: هو إقبالُهُ على الله سبحانه، فلا يكونُ دُعاؤُه مجرَّدَ حركاتٍ للِّسان وقلبُهُ

(١) الدَّاء والدَّواء (ص١٢).
(٢) الدَّاء والدَّواء (ص١٢).

غافِلٌ، بل يحرِّك لسانه بالدُّعاء مع حضور القلب، ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: «ادْعُوا اللهَ وأَنتُمْ مُوقِنونَ بِالإِجابَةِ، واعْلَموا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غافِلٍ لاهٍ»(١).

ومن علامات عدم حضور القلب في الدُّعاء: كثرة الانشغال والحركة وقتَ الدُّعاء؛ فتَجِدُ لسانَهُ يتحرَّك بالدُّعاء، ويدُهُ تعبَثُ بالأرض أو بالثَّوب أو بالجوَّال أو غير ذلك، أو تجدُهُ يلتفتُ ببصرِهِ يمينًا وشِمالًا وقت دعائه، وهذا كلُّه لأنَّ القلبَ لم يجتمع وقتَ الدُّعاء؛ لذا لمَّا رأى عمر بن عبد العزيز رحمه الله رجلًا يدعو اللهَ وبيدِهِ حصًى يلعَبُ بها قال له: «ألا ألقيتَ الحَصَاةَ، وأَخْلَصْتَ إلى الله الدُّعاءَ؟!»(٢).

* **الأمر الثَّاني:** تحرِّي أوقات الإجابة، **وقد عدَّد منها الإمام ابن القيِّم ستَّةَ مواضع:**

- **الأوَّل: «الثُّلث الأخير من اللَّيل»؛** ويعتبرُ هذا الوقت مِن أَحْرى أوقات إجابة الدُّعاء وأَعْظَمِها شأنًا، لِمَا ثبتَ في «الصَّحيحين»(٣) عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يَـنْزِلُ ربُّنا عَزَّوَجَلَّ كُلَّ لَيلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حِينَ يَبقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ فيقولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، ومَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، ومَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**».

- **الثَّاني: «عند الأذان»؛** أي: بعدَ الأذان مباشرة، فإنَّ هذا وقتٌ عظيمٌ في تحرِّي الدُّعاء، لما رواه عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَجُلًا قال للنَّبيِّ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ المُؤَذِّنينَ يَفْضُلُونَنا»، أي: سَبَقُونا بالفَضْلِ،

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (٣٤٧٩)، وحسَّنه الألبانِيُّ.
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٨٧).
(٣) رواه البخاريُّ (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

فقال النَّبيُّ ﷺ: «**قُلْ كَمَا يَقُولُونَ فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَه**»[١].

- **الثَّالث:** «بين الأذان والإقامة»؛ وقد ورد في فضل الدُّعاء بين الأذان والإقامة مُطلقًا عِدَّة نصوص، منها قول النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ**»[٢]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ**»[٣].

- **الرَّابع:** «أدبار الصَّلوات المكتوبة»، أي: قبل السَّلام، فإنَّ هذا الوقتَ فاضلٌ، وحَرِيٌّ بأن يُجابَ دُعاءُ الدَّاعي فيه؛ كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه في تعليم النَّبيِّ ﷺ للتَّشهُّدِ، قال في آخره: «**ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو**»[٤].

- **الخامس:** «عند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتَّى تقضى الصَّلاة»؛ وذلك لما صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ فِي الجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»[٥]. وقال بيده: يُقَلِّلُها.

وقد ذهبَ جماعةٌ من العلماء بأنَّ هذه السَّاعة: من صعود الإمام للمنبر إلى أن ينتهي من صلاة الجمعة، وذلك لِما أخرجَهُ الإمامُ مسلمٌ في «صحيحه»[٦] عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه: «**هي ما بين أن يَجْلِسَ الإمامُ إلى أن تُقْضى الصَّلَاةُ**».

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٤)، وقال الألبانِيُّ: «حسن صحيح».
(٢) رواه التِّرمذيُّ (٢١٢)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٣) رواه أبو داود الطَّيالسيُّ في مسنده (٢٢٢٠)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح الجامع (٨١٨).
(٤) رواه البخاريُّ (٨٣٥).
(٥) رواه مسلم (٨٥٢).
(٦) رواه مسلم (٨٥٣).

- **السَّادس:** «آخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم»، أي: السَّاعة الأخيرة بعد العصر إلى أن تغرُبَ الشَّمسُ من يوم الجمعة، فقد صحَّ عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يَوْمُ الجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا إِلَّا أَتَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ**»[1].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وعندي أنَّ ساعة الصَّلاة ساعةٌ ترجى فيها الإجابة أيضًا، فكلاهما ساعة إجابة وإن كانت السَّاعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر، فهي ساعة معيَّنة من اليوم لا تتقدَّم ولا تتأخَّر، وأمَّا ساعة الصَّلاة فتابعةٌ للصَّلاة تقدَّمت أو تأخَّرت؛ لأنَّ لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرُّعهم وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيرًا في الإجابة، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة، وعلى هذا تتَّفق الأحاديث كلُّها ويكون النَّبِيُّ ﷺ قد حضَّ أُمَّته على الدُّعاء والابتهال إلى الله تعالى في هاتين السَّاعتين»[2].

* **الأمر الثَّالث:** «خشوعُ القلب وانكسارُهُ بين يدي ربِّه عَزَّ وَجَلَّ تذلُّلًا وتضرُّعًا»؛ قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، قال الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره»: «﴿تَضَرُّعٗا﴾، أي: تَذَلُّلًا واسْتِكانةً لطاعته، و﴿وَخُفۡيَةً﴾، أي: بخشوع قلوبكم»[3].

* **الأمر الرَّابع:** «استقبال القبلة وقتَ الدُّعاء»؛ وذلك أنَّ استقبال الدَّاعي للقبلة من الأسباب الَّتي يُرْجَى معها أن يُسْتَجابَ دُعاؤه، وليس من شروط الدُّعاء.

---

(١) رواه أبو داود (١٠٤٨)، والنَّسائيُّ (١٣٨٩)، وصحَّحه الألبانِيُّ.
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٨٢).
(٣) جامع البيان (١٢/ ٤٨٥).

* **الأمر الخامس:** «الطَّهارة عند الدُّعاء»؛ والدَّاعي إذا كان على طهارة فإنَّهُ أفضلُ وأتمُّ لدعائه ومناجاته لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ حالةَ الوضوء مُطلقًا أكملُ من حال الحَدَث.

* **الأمر السَّادس:** «رفع اليدين عند الدُّعاء»؛ فعن سلمان الفارسيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِيِي مِنْ عَبدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيهِ إِلَيهِ أَنْ يرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[1].

* **الأمر السَّابع:** «البداءةُ بحمد الله وتمجيده ثمَّ الصَّلاة على نبيِّه محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الدُّعاء»؛ فَعَنْ فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يدعُو في صلاتِهِ لم يُمَجِّدِ اللهَ تعالى، ولم يُصَلِّ على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجِلَ هَذَا**»، ثُمَّ دَعَاهُ فقالَ لَهُ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ**»[2].

* **الأمر الثَّامن:** «التَّوبةُ والاستغفار بين يدي الدُّعاء»؛ فإنَّ الذُّنوبَ من الموانع والحواجز المؤثِّرة على إجابة الدُّعاء، كما صحَّ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه: «**ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ؛ «يَا رَبِّ، يَا رَبِّ»، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!**»[3].

* **الأمر التَّاسع:** «الإلحاح في الدُّعاء وعدم استعجال الإجابة»؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُم مَا لَمْ**

---

(١) رواه أبو داود (١٤٨٨)، والتِّرمذيُّ (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٢) رواه التِّرمذيُّ (٣٤٧٧)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

(٣) رواه مسلم (١٠١٥).

يَعْجَلْ، يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يُسْتَجِبْ لِي»[(١)].

* **الأمر العاشر:** «أن يجمعَ في دُعائه بين الرَّغبة والرَّهبة»؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ في وصف النَّبيِّين -عليهم الصَّلاة والسَّلام-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

* **الأمر الحادي عشر:** «التَّوسُّل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأَسْمائِهِ وصفاتِهِ وتوحيدِهِ»؛ فهذا يُعدُّ من أعظم الوسائل في إجابة الدُّعاء، وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ به في قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

* **الأمر الثَّاني عشر:** «التَّصَدُّقُ بين يدي الدُّعاء»؛ والصَّدقة لها شأنٌ عظيم، وقد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**»[(٢)]، ولا شكَّ أنَّ السَّلامة من غضبِ الرَّبِّ على العبد سببٌ لإجابة دعائه، وإعطائه سُؤْله.

* **الأمر الثَّالث عشر:** «تحرِّي الأدعية الَّتِي أخبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّ الدُّعاء معها مستجاب»؛ فإذا تحرَّى المسلم هذه الدَّعوات المأثورة -وقد تقدَّم في هذا البرنامج طائفة منها- ودعا بها بِصِدْقٍ وإقبالٍ وإلحاحٍ على الله، مع استحضار جميع الأمور السَّابقة، فإنَّ دعاءَهُ لا يكادُ يُرَدُّ أبدًا، كما ذكر ذلك ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «فَإِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَا يَكَادُ يُرَدُّ أبدًا»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٥).
(٢) رواه الطَّبرانِيُّ في الكبير (١٠١٨)، وقال الألبانِيُّ: «حسن لغيره».
(٣) الدَّاء والدَّواء (ص١٢).

الخاتمة

وفيها سردٌ للأدعية التي تم شرحها في هذا المجموع لمن رغب في حفظها أو نشرها مفردة.

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى».

«اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجهلِي، وَإِسرَافِي فِي أَمرِي، وَمَا أَنتَ أَعلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِندِي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي مَا قَدَّمتُ وَمَا أَخَّرتُ، وَمَا أَسرَرتُ وَمَا أَعلَنتُ، وَمَا أَنتَ أَعلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنتَ المُقَدِّمُ وَأَنتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ».

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

«اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ

الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن أَن أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن فِتنَةِ الدُّنيَا، وَعَذَابِ القَبْرِ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَشَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا».

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ

أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا».

«رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي».

«اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، وَالأَهْوَاءِ، وَالأَعْمَالِ، وَالأَدْوَاءِ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

«سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، المَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ».

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَارْحَمْنِي».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ».

«اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

«يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ».

«اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا تَنْفَعُنِي بِهِ».

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ».

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الأَسْقَامِ».

هذا وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يُوَفِّقنا أجمعين لكلِّ خير، وأن يتقبَّل مِنَّا، وأن يتجاوز عَنَّا، وأن يصلح لنا شأننا كلَّه، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

الفهرس